

ذِكْرُ أَخْبَارِ الْعَرَبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قيل : إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام .

والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل ، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وأُمَيَّة وجُرْهم والعماليق ، وأمَّ آخرون لا يعلمهم إلا الله ، كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً .

فأما العرب المُستعربة ، وهم عرب الحجاز ، فمن ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان ، واسمه مهزم . قاله ابن ماكولا . وذكروا أنهم كانوا أربعة إخوة : قحطان وقاحط ومقحط وفالغ .

وقحطان بنُ هود ، وقيل هو هود . وقيل هود أخوه . وقيل من ذريته . وقيل إن قحطان من سلالة إسماعيل ، حكاه ابن إسحاق وغيره . فقال بعضهم : هو قحطان [ابن الهميسع ^(١)] بن تيمن بن قيذر [بن نبت ^(١)] بن إسماعيل . وقيل غير ذلك في نسبه إلى إسماعيل والله أعلم .

وقد ترجم البخاري في صحيحه على ذلك فقال : (باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام) حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا يحيى ، عن يزيد بن أبي عبيد ، حدثنا سلمة رضى الله عنه

قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أسلم يتناضلون بالسيوف فقال : « ارموا بنى إسماعيل وأنا مع بنى فلان » لأحد الفريقين ، فأمسكوا بأيديهم ، فقال : مالكم ؟ قالوا : وكيف نرمي وأنت مع بنى فلان ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم »^(١) .

تفرّده البخارى . وفى بعض ألفاظه : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع ابن الأذرع » فأمسك القوم فقال ارموا وأنا معكم كلكم .

قال البخارى : وأسلم^(٢) بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة . يعنى : وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم . كما سيأتى بيانه . وكانت الأوس والخزرج منهم ، وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام : « ارموا بنى إسماعيل » فدل على أنهم من سلالة . وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب ، لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل .

لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل .

وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين : قحطانية وعدنانية . فالقحطانية شعبان : سبأ وحضر موت . والعدنانية شعبان أيضاً : ربيعة ومضر ، ابن زيار بن معد بن عدنان ، والشعب الخامس وهم قضاة مختلف فيهم ، ف قيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر : وعليه الأكثر . ويروى هذا عن ابن عباس وابن عمر وجبير بن مطعم ، وهو اختيار الزبير بن بكار وعنه مصنف الزبيرى وابن هشام . وقد ورد فى حديث : « قضاة بن معد » ولكنه لا يصح . قاله ابن عبد البر وغيره .

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٢ . (٢) البخارى : ومنهم أسلم .

ويقال : إنهم لم ^(١) يزالوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام ينتسبون إلى عدنان ، فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية ، وكانوا أخواله ، انتسبوا إلى قحطان ، فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له :

أَبْلِغْ قُضَاعَةَ فِي الْقِرْطَاسِ أَنَّهُمْ لَوْلَا خِلَافُ آلِ اللَّهِ مَا عُنِقُوا
قَالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِي يَمَنٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا بَرَّوْا وَلَا ^(٢) صَدَقُوا
قَدْ ادَّعَوْا وَالِدًا مَا نَالَ أُمَّهُمْ قَدْ يَعْلَمُونَ وَلَكِنْ ذَلِكَ الْفَرْقُ
وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تمييز ^(٣) قضاة في
في انتسابهم إلى اليمن . والله أعلم .
والقول الثاني أنهم من قحطان ، وهو قول ابن إسحاق والكلبى وطائفة من
أهل النسب .

قال ابن إسحاق : وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان . وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة ، صحابي له حديثان :
يَا أَيُّهَا الدَّاعِي ادْعُنَا وَأَبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تُنْزِرْ
نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْحِجَّانِ الْأَزْهَرِ ^(٤) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ حَمِيرٍ
النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ اللَّسِيرِ
قال بعض أهل النسب : هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير .
وقال ابن لهيعة : عن معروف بن سويد ، عن أبي عشابة ^(٥) محمد بن موسى ، عن عتبة بن
عامر ، قال : قلت يارسول الله أما نحن من معد ؟ قال لا . قلت : فمن نحن ؟ قال :
أنتم من قضاة بن مالك بن حمير .

(١) في الأصل : لن ، وهو خطأ (٢) المطبوعة : وما
(٣) المطبوعة : تفسير . وهو خطأ
(٤) الحيجان : الرجل الحسيب . والأزهر : المشرق الوجه .
(٥) كذا بالمطبوعة وفي المخطوطة :
مشابة ولا وجود لهما . ولعله أبو عشابة حتى بن يؤمن .

قال أبو عمر بن عبد البر : ولا يختلفون أن جُهَيْنَةَ بن زيد بن أسود بن أسلم بن عمران بن الحاف بن قضاعة قبيلة عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِي ، فعلى هذا قضاعة في اليمن في حِمِير بن سبأ .

وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاعة امرأة من جُرْهم تزوجها مالك بن حِمير فولدت له قُضَاعَةَ ، ثم خَلَفَ عليها معدُّ بن عدنان ، وابنها صغير ، وزعم بعضهم أنه كان حَمَلاً فنسب إلى زوج أمه ، كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه ^(١) والله أعلم .

وقال محمد بن سلام البَصْرِي النَّسَابَةُ : العرب ثلاثة جرائم : العدنانية والقحطانية وقُضَاعَةَ . قيل له : فأيهما أكثر العدنانية أو القحطانية ؟ فقال : ماشاءت قُضَاعَةُ ، إن تَيَأَمَّنَتْ فالقحطانية أكثر وإن تعدَّ نَتَتْ فالعدنانية أكثر .

وهذا يدل على أنهم يتلونون في نسبهم ، فإن صح حديث ابن لهيعة المتقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم . وقد قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٢) .

قال علماء النسب : يقال شُعُوب ، ثم قبائل ، ثم عَمَائِر ، ثم بطون ، ثم أَخْفَاز ، ثم فِصَائِل ، ثم عشائر ، والعشيرة أقرب الناس إلى الرَّجُل وليس بعدها شيء .
ولنبداً أولاً بذكر القَحْطَانِيَّة ، ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ، ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

(١) قال الجواني في كتابه أصول الأحساب : « نجأت بقضاعة على فراش مالك بن مرة ، فنسبته العرب إلى زوج أمه مالك بن مرة ، وهي عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه . وقيل إن اسم الجرهمية قضاعة ، فلما جاءت بولدها سمته باسمها ، وقيل : بل كان اسمه عمرأ ، فلما تقضع عن قومه أي بعد سمي قضاعة » (٢) سورة الحجرات ١٣ .

وقد قال البخارى ﴿باب ذكر قحطان﴾ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان ابن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»^(١) وكذا رواه مسلم، عن قتيبة عن الدَّرَّاءِ وَرَدِي، عن ثور بن زيد به .
قال السهيلي : وقحطان أول من قيل له «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» وأول من قيل له «أَنْعِمَ صَبَاحًا» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة، عن جرير حدثني راشد بن سعد المُقْرَائِيّ عَزَّ، أبي حنيفة، عن ذِي فَجَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حُمَيْرٍ فَفَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ فَجَعَلَهُ فِي قَرِيشٍ (وَسَيِّدِي عَوْدِلَى هُم) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كَانَ هَذَا فِي كِتَابِ أَبِي وَحَيْثُ حَدَّثَنَا بِهِ تَكَلَّمَ بِهِ عَلَى الْإِسْتِوَاءِ ، يَعْنِي : «وَسَيَّعُودُ إِلَيْهِمْ» .

قصة سبأ

قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلِ خَطْبٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بِأَعْدٍ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١) .

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق : اسم سبأ عبدُ شمس بن يشجب بن يعزب ابن قحطان . قالوا : وكان أول من سبى من العرب فسبى سبأ لذلك . وكان يقال له الرأش ، لأنه كان يعطى الناس الأموال من متاعه . قال السهيلي : ويقال إنه أول من تنوّج . وذكر بعضهم أنه كان مُسلماً ، وكان له شعر بشرّ فيه بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله :

سَيِّمُكَ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظِيمًا	نَبِيٌّ لَا يُرْخَصُ فِي الْحَرَامِ
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ	يَدِينُونَ الْعِبَادَ بِفِيرٍ ذَامٍ
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُمْ مِنْهَا مُلُوكٌ	يَصِيرُ الْمُلْكُ فِينَا بِاقْتِسَامٍ
وَيَمْلِكُ بَعْدَ قَحْطَانٍ نَبِيٌّ	تَقَى ، مُحِبٌّ (٢) خَيْرُ الْأَنَامِ
يُسَمَّى أَحْمَدًا يَا لَيْتَ أَنِّي	أَعْمَرَ بَعْدَ مَبْعَثِهِ نِعَامِ

فَأَغْضَدُهُ وَأَحْبُوهُ بَنَصْرِي بِكُلِّ مُدَجَّجٍ وَبِكُلِّ رَامِي
مَنْ يَظْهَرُ فَكُونُوا نَاصِرِيه وَمَنْ يَأْتِيهِ يُبْلِغُهُ سَلَامِي

حكاه ابن دحية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن كهيبة ، عن عبد الله [بن هبيرة السبائي عن عبد الرحمن بن وعله قال ^(١)] سمعت عبد الله بن عباس يقول : إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو ؟ أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال : « بل هو رجل ولدت عشرة ، فسكن اليمين منهم ستة ، وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحخير [عرباً كلها ^(٢)] وأما الشامية فلخيم وجذام وحاملة وغسان ^(٣) » .

وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الفطيفي هو السائل عن ذلك ، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك والله الحمد .

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها ، وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمين واحدهم تبع ، وكان ملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم ، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك ، وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمين مع الشجر وحضر موت تبعاً ، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر ، ومن ملك الفرس كسرى ، ومن ملك مصر فرعون ، ومن ملك الحبشة النجاشي ، ومن ملك الهند بطليموس ، وقد كان من جملة ملوك حخير بأرض اليمين باقيس . وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة ، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد ، فلما بدّلوا نعمة الله كفرأ أحلوا قومهم دار البوار .

(١) سقط من المطبوعة ا وكان فيها : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن دعدة .

(٢) من المسند (٣) المسند حديث رقم ٢٩٠٠

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً . وزعم السدّي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي ! فالله أعلم .

والمقصود أنهم عدّوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبائها أيضاً ، واستمرّ ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيّل العرم كما قال تعالى ﴿ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ حَمْطٍ وَأُتْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم أن سدّ مأرب كان صنعته أن المياح تجري من بين جبّلين ، فعمدوا في قديم الزمان فسّدوا ما بينهما ببناء مُحْكَم جداً ، حتى ارتفع الماء فحكم على أعلى الجبلين ، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة ، وزرعوا الزروع الكثيرة ، ويقال كان أول من بناه سبأ بن يعرب وساط إليه سبعين وادياً يَفِدُ إليه وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء ، ومات ولم يكمل بناؤه ، فكمّلته حخير بعده ، وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ ، وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة ، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالكتل على رأسها فيمتلئ من الثارما يتساقط فيه من نضجه وكثرته ، وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية ، لصحة هوائهم وطيب فنائهم كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته ، وسألوا بعدّ تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينها من البساتين وأمن الطرق ، سألوا أن يباعد بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق

وتعب . وطلبوا أن يبدّلوا بالخير شراً ، كما سأل بنو إسرائيل بدل المنّ والسّلوى
البقول والقثاء والفوم والعدس والبصل ، فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة
بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد ، كما قال تعالى (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم
سَيْلَ الْعَرَمِ) .

قال غير واحد : أرسل الله على أصل السد الفأر وهو الجرذ ويقال له الخلد ، فلما فطنوا
لذلك أرسدوا عندها السنانير فلم تُغنِ شيئاً ، إذ قد حُمّ القدر ولم ينفع الحذر كلاً لا وِزر ،
فلما تحكّم في أصله الفساد سقط وانهار ، فسلك الماء القرار ، فقطّعت تلك الجداول والأنهار
وانقطعت تلك الثمار ، وبادت تلك الزروع والأشجار ، وتبدّلوا بعدها بردىء الأشجار
والأثمار ، كما قال العزيز الجبار « وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّةَيْهِمْ جَنَّاتٍ ذَوَاتِىْ أَكْلِ حَمَاطٍ وَأَثَلٍ »
قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هو الأراك وثمره البربر ، وأثل وهو الطرفاء . وقيل
يشبهه ، وهو حطب لا ثمر له « وَشِىءٌ مِنْ سِدْرٍ لَّيْلٍ » وذلك لأنه لما كان يشمر البق
كان قليلا مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه ، كما يقال فى المثل : لحمٌ جَلٍ غَشٍ
على رأس جبلٍ وعَرٍ ، لا سهل فيُرْتَقَى ولا سمين فينتقى . ولهذا قال تعالى « ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ
بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِيْ إِلَّا الْكَافِرِينَ » أى إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة مَنْ كَفَرَ
بنا وكذب رُسُلنا وخالف أمرنا واتهمك محارمنا .

وقال تعالى : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » وذلك أنهم لما هلكت
أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها ، ففترقوا فى غور البلاد
ونجدها أيدي سبأ شذر مذر ، فنزلت طوائف منهم الحجاز ، ومنهم خزاعة ، نزّلوا ظاهر
مكة ، وكان من أمرهم ما سذكروه ، ومنهم المدينة المنورة اليوم ، فكانوا أول من
سكنها ، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ،
فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ، وكان من أمرهم ما سذكروه ، ونزلت طائفة

أخرى منهم الشام وهم الذين تنصّروا فيما بعد ، وهم غَسَّان وعاملة وبهراء وغلج وخدام وتنوخ وتغلب وغيرهم .

قال محمد بن إسحاق : حدثني أبو عبيدة قال : قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة ، وهو ميمون بن قيس :

وفي ذاك للموتسى أسوة^(١) . ومأرب^(٢) عفى عليها العرم
رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ خَيْرٌ إِذَا جَاءَ مَوَارُهُ^(٣) لَمْ يَرَمْ
فَارَوَى الزروع^(٤) وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَةِ مَاؤِهِمْ إِذْ قُسِمَ
فَصَارُوا أَيَادِي^(٥) لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَرْبِ طِفْلِ إِذَا مَا فُطِمَ

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي ، وغلج هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أد^(٥) بن زيد بن هَمَيْسَع^(٦) بن عمرو بن عريب بن يَشْجُب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال لغلج بن عدي بن عمرو بن سبأ . قاله ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان سبب خروجه من اليمن ، فيما حدثني أبو زيد الأنصاري ، أنه رأى جُرَدًا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغرُ ولدي . وعرض أمواله . فقال أشراف من

(١) المطبوعة : ومأرب . وهو خطأ
(٢) المطبوعة : الزرع ، وهو خطأ
(٣) المطبوعة : أزد ، وهو تحريف
(٤) موارهُ : ماؤه الذي يضطرب ويتموج .
(٥) ابن هشام : ما يقدرُونَ
(٦) المطبوعة : مهج ، وهو تحريف .

أشراف اليمن : اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله . وانتقل في ولده وولد ولده .
وقالت الأزد لا تتخلف عن عمرو بن عامر . فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، فساروا حتى
نزلوا بلاد عكَّ مُجْتَازِينَ يَرْتَادُونَ الْبِلَادَانَ ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سِجَالًا ، ففي
ذلك قال عباسُ بن مِرْدَاس :
وعكُّ بن عدنان الذين تلعبوا^(١) بفسان حتى طردوا كلَّ مطردٍ

قال : فارتحلوا عنهم ففترقوا في البلاد ، فنزل آلُ جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر الشام ،
ونزل الأوسُ والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعةُ مرًّا^(٢) ، ونزلت أزدُ السَّرَاةِ السَّراةِ ،
ونزلت أزدُ عُمانِ عُمانَ . ثم أرسل الله تعالى على السد السيلَ فهدمه ، وفي ذلك أنزل الله
هذه الآيات . وقد روى عن السدى قريب من هذا .

وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهنًا . وقال غيره : كانت
امراته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة فأخبرت بقرب هلاك بلادهم ، وكانهم رأوا شاهد
ذلك في الفأر الذي سَاطَ على سدِّهم ففعلوا ما فعلوا والله أعلم .
وقد ذكرتُ قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير .

فصل :

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العَرم ، بل أقام أكثرهم بها ،
وذهب أهلُ مأرب الذين كان لهم السد ففترقوا في البلاد ، وهو مقتضى الحديث المتقدم
عن ابن عباس أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن ، بل إنما تشاءم منهم أربعة وبقى

(١) في أصول الأحساب للجواني ص ١١١ : تلقبوا

(٢) هو الذي يعرف بحر الظهران ، على مرحلة من مكة .

باليمن ستة ، وهم مَذْحِج وكنندة وأنمار والأشعريون . وأنمار هو أبو خثعم وبَحِيلَة وحير ، فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن ، واستمر فيهم الملك والتبابعة ، حتى سلمهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميره أبرهة وأرياط نحواً من سبعين سنة ، ثم استرجعه سيف بن ذى يزن الحيرى ، وكان ذلك قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل ، كما سند كره مفصلاً قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن عليّاً وخالد بن الوليد ، ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبينون لهم الحجج ، ثم تغلب على اليمن الأسود العنسى وأخرج نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، فلما قُتِلَ الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

قصة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر

المتقدم ذكره اللّخمي . كذا ذكره ابن اسحاق . وقال السهيلي : ونُسبَ اليمن تقول : نصر بن ربيعة^(١) . وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن نخم . وقال الزبير ابن بكار : ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوذ بن ملك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن نخم . ونخم أخو جذام ، وسمى نخماً لأنه نخم أخاه على خده أى لطمه فعضه الآخر في يده فجذمها ، فسمى جذاما .

وكان ربيعة أحد ملوك حمير التَّبَّاعَة ، وخبره^(٢) مع شِقِّ وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما سَطِيح فاسمه رَبِيع بن ربيعة بن مسعود بن مَارِن بن ذُئْب بن عَدِيّ بن مازن

(١) الذى فى السهيلي : وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو فى قول نسب اليمن ربيعة بن نصر .

(٢) عطفها على قوله : قصة ربيعة .

غسان . وأما شِقِّ فهو ابن صَعْب بن يَشْكُر بن رُهم بن أَفْرَك بن قيس ^(١) بن عَبَّقر
ابن أَمَار بن نَزَار . ومنهم من يقول أَمَار بن إِرَاش بن حُليان بن عمرو بن الغوث بن
نابت ^(٢) بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ . ويقال إن سَطِيحاً كان لا أعضاء له ،
وإنما كان مثل السطيحة ، ووجهه في صدره ، وكان إذا غضب انتفخ وجلس . وكان شِقِّ
نصف إنسان ، ويقال إن خالد بن عبد الله القسري كان من سلالة . وذكر السهيلي
أنهما ولدا في يوم واحد ، وكان ذلك يوم ماتت طريفة بنت الخير الحميرية ،
ويقال إنها تفلت في فم كل منهما فورث الكهنة عنها ، وهي امرأة عمرو بن عامر
المتقدم ذكره . والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ،
فراى رؤيا هالته وفتّح بها ^(٣) ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائناً ولا منجماً من
أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفتّحت بها ، فأخبروني
بها وتأويلها . فقالوا : أقصصها علينا نخبرك بتأويلها . فقال : إني إن أخبرتكم بها لم
أطمئن إلى خبركم بتأويلها ، لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها . فقال
له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى شِقِّ وسطيح ، فإنه ليس أحد أعلم
منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

فبعث إليهما ، فقدم إليه سطيح قبل شق ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي
وفتّحت بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها . فقال أفل . رأيت

(١) وتروى : نبت ، كما في الاشتقاق لابن دريد

(١) في ١ : قسر .

(٣) فتح بها : اشتدت عليه .

تُحَمَّة^(١) خرجت من ظُلَمَة ، فوقعت بأرض تِهْمَة^(٢) ، فأكلت منها كل ذات جُحْمَة . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح ؛ فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من حَش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جُرش^(٣) . فقال له الملك : يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى هو كائن أفي زمانى أم بعده ؟ فقال : لا وأبيك بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم ذلك من ساطانهم أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاريين . قال ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال يايه^(٤) إرم ذى وزن^(٥) ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال : أفيدوم ذلك من ساطانه أم ينقطع ؟ قال بل ينقطع . قال ومن يقطعه ؟ قال : نبى زكى^(٦) ، يأتيه الوحي من قبل العلى . قال ومن هذا النبى ؟ قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه السيئون . قال أحق ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشفق والفسق ، والفلق إذا اتسق ، إنَّ ما أنبأتك به لحق .

قال : ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم رأيت تُحَمَّة خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد ، إلا أن سطيحاً قال « وقعت بأرض تِهْمَة فأكلت منها كل ذات جحمة » وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة » فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئاً ، فما عندك

(١) الحمّة : قطعة النار .

(٢) تِهْمَة : منخفضة ومنه سميت تِهْمَة . (٣) أبين وجرش : مختلفان من مخالفين .

(٤) المطبوعة : يليهم وهو خطأ .

(٥) إرم ذى وزن : واسمه سيف ، لأنه شبهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة .

في تأويلها؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ، وليلكن ما بين أبين إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك ياشق إن هذا لنا لعاظ موجه ، فمتى هو كائن أفي زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ، ثم يستنقذك منهم عظيم دوشان ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال غلام ليس بدني ولا مدني^(١) يخرج عليهم من بيت ذى يزن . قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال : بل ينقطع برسول مُرسل ، يأتي بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاية ، يُدعى فيه من السماء بدعوات تسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع الناس فيه للميقات ، يكون فيه لمن اتقى النور والخيرات . قال أحق ماتقول ؟ قال إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رَفَعٍ وخَفَضٍ ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض^(٢) .

قال ابن إسحاق : فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنييه وأهل بيته إلى العراق ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة .

قال ابن إسحاق : فمن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، بن النعمان بن المنذر ، بن عمرو بن عدى ، بن ربيعة بن نصر ، يعنى الذى كان نائباً على الحيرة لملوك الأكاسرة ، وكانت العرب تفد إليه وتمتدحه . وهذا الذى قاله محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر قاله أكثر الناس .

وقد روى ابن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جىء بسيف النعمان بن المنذر سأل جُبَيْر بن مُطعم عنه ممن كان ؟ فقال من أشلاء^(٣) قَنَص بن مَعَد بن عدنان . قال ابن إسحاق : فأنه أعلم أى ذلك كان .

(١) المدن : المقصر في الأمور (٢) الأمض : الشك ، بلسان حمير (٣) الأشلاء : البقايا (٢ - السيرة - ١)

قصة تُبَّع أَبِي كَرِبِ ثُبَّانَ أَسْعَدَ ، ملك اليمن مع أهل المدينة
وكيف أراد غزو البيت الحرام ، ثم شرفه وعظمه وكساه الحلال
فكان أول من كساه

قال ابن إسحاق . فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان بن
ثُبَّانَ أَسْعَدَ أَبِي كَرِبِ . وَثُبَّانَ أَسْعَدَ هو تبع الآخر ابن كُلْكِ كَرِبِ ^(١) بن زيد ،
وزيدُ تَبَّعِ الأول بن عمرو ذى الأذعار ، بن أبرهة ذى المنار ، بن الرائش ^(٢) ، بن
عَدِيٍّ ، بن صيفي ، بن سبأ الأصغر ، بن كعب كهف الظلم ، بن زيد ، بن سهل ، بن
عمرو ، بن قيس ^(٣) ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن النوث ،
ابن قطن ، بن عريب ، بن زهير بن أيمن ^(٤) بن الهيمسع بن العرنجج ^(٥) . والعرنجج
هو حمير بن سبأ الأكبر ، بن يعرب بن يشجب بن قحطان .

قال عبد الملك بن هشام : سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ^(٦) .

قال ابن إسحاق : وَثُبَّانَ أَسْعَدَ أَبُو كَرِبِ هو الذى قدم المدينة وساق الخبرين من
يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان مُلْكُهُ قبل مُلْكِ ربيعة بن نصر ،
وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق ^(٧) على المدينة ، وكان قد مر بها
فى بدأته فلم يهيج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلةً ، فقدمها وهو مُجْمَعٌ لإخراها .

(١) كذا فى الروض الأنف ، وفى ابن هشام : كلبي كرب . (٢) ويقال الريش ، كما فى ابن هشام

(٣) الأصل : « قس » وهو خطأ . (٤) الأصل : أنس والتصويب من ابن هشام ٢٠/١

(٥) المطبوعة : العرنجج وهو خطأ . وليست النون فى العرنجج زائدة ، وهو من قولهم اعرنجج الرجل
فى أمره : إذا جد فيه ، كأنه افعلنل . الاشتقاق ٣٦٢ . (٦) الذى فى ابن هشام : يشجب بن يعرب .

بدون ذكر سبأ . (٧) ابن هشام : حين أقبل من المشرق .

واستئصال أهلها وقطع نخلها ، فجمع له هذا الخي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طَلَّة^(١) أخو بني النجار ثم أحد بني عمرو بن مبذول ، واسم مبذول عامر بن مالك ابن النجار ، واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وقال ابن هشام : عمرو بن طَلَّة^(١) هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطَلَّة أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيْق الخزرجية .

قال ابن اسحاق : وقد كان رجل من بني عدى بن النجار ، يقال له أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تُبَعِّعَ وجده يُحْدُ عَدَقًا له فضربه بمنجله فقتله وقال : إنما التمر لمن أبرّه . فزاد ذلك تبعًا حنقًا عليهم فاقتتلوا .

فنزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونَهُ بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ويقول : والله إن قومنا لكرام !

وحكى ابن اسحاق عن الأنصار أن تُبَعِّعًا إنما كان حنقه على اليهود وأنهم^(٢) منعوهم منه .

قال السهيلي : ويقال إنه إنما جاء لنصرة الأنصار أبناء عمه على اليهود الذين نزلوا عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم . والله أعلم .

قال ابن اسحاق : فَبَيْنَا تُبَعِّعَ على ذلك من قتالهم إذا جاءه حَبْرَان من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا^(٣) له : أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبَيْتَ إلا ما تريد حِيلَ بينك وبينها ولم نأمن عليك

(١) الأصل : طلحة وهو خطأ (٢) المطبوعة أنهم .

(٣) المطبوعة : فقالوا .

عاجل^(١) العقوبة . فقال لهما ولم ذلك ؟ قالا هي مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ .

فَتَنَاهَيَّ [عَنْ ذَلِكَ] وَرَأَى أَنَّ لَهَا عِلْمًا وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهَا ، فَانصَرَفَ عَنِ الْمَدِينَةِ وَاتَّبَعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا .

قال ابن اسحاق : وَكَانَ تُبَعُّ وَقَوْمُهُ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا ، فَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ وَهِيَ طَرِيقُهُ إِلَى الْيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَأَمَجَ^(٢) أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ هُذَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ أَلْيَاسِ بْنِ مُصَّرِّ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَلَا نَذَلِكَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ دَائِرٍ أَغْفَلْتَهُ الْمُلُوكُ قَبْلَكَ ، فِيهِ اللَّوْلُؤُ وَالزَّبَرْجَدُ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالُوا : بَيْتٌ بِمَكَّةَ يَعْبُدُهُ أَهْلُهُ وَيَصْلُونَ عِنْدَهُ .

وَإِنَّمَا أَرَادَ الْهُذَيْلِيُّونَ هَلَاكَهُ بِذَلِكَ لَمَّا عَرَفُوا مِنْ هَلَاكِ مَنْ أَرَادَهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ

فَلَمَّا أَجْمَعَ لَمَّا قَالُوا أَرْسَلْ إِلَى الْخَبَرَيْنِ فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَا لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَوْمُ إِلَّا هَلَاكَكَ وَهَلَاكَ جَنْدِكَ ، مَا نَعْلَمُ بَيْتًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَهُ فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ غَيْرَهُ ، وَلَئِنْ فَعَلْتَ مَا دَعَوْكَ إِلَيْهِ لَتَهْلِكَنَّ وَلِيَهْلِكَ مِنْ مَعَكَ جَمِيعًا . قَالَ : فَاذًا تَأْمُرَانِي أَنْ أَصْنَعَ إِذَا أَنَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : تَصْنَعُ عِنْدَهُ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ ، تَطُوفُ بِهِ وَتَعْظُمُهُ وَتَكْرُمُهُ ، وَتَحْلُقُ رَأْسَكَ عِنْدَهُ وَتَذَلُّ لَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْتُمَا مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَا : أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَيْتُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِنَّهُ لَكَمَا أَخْبَرْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَهْلُهُ حَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْأَوْثَانِ الَّتِي نَصَبُوهَا حَوْلَهُ وَبِالدَّمَاءِ الَّتِي يَهْرِيْقُونَ عِنْدَهُ ، وَهُمْ نَجَسٌ أَهْلُ شَرِّكَ . أَوْ كَمَا قَالَا لَهُ .

(١) الطَّبُوعَةُ : جُلٌّ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) عُسْفَانُ : مَنَهْلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ . وَأَمَجٌ : بَلَدٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَدِينَةِ .

فعرف نُصَحَّها وصدَّقَ حديثهما ، وقرَّبَ^(١) النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون يَنْحَرُ بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل ، وأرى في المنام أن يكسوا البيت ، فكساه الخَصَفَ^(٢) ، ثم أرى في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر^(٣) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصلات^(٤) ، فكان تُبَعِّعَ فيما يزعمون أول من كسا البيت ، وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاًة وهي المحايض ، وجعل له باباً ومفتاحاً .

ففي ذلك قالت سُبَيْعة بنت الأَحَبِّ تذكر ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيْمٍ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب وتنهاه عن البنى بمكة وتذكر له ما كان من أمر تُبَعِّعَ فيها :

أَبْنَى لَا تَظْلِمَ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
واحفظ محارمها بُنَى وَلَا يَفْرَنْكَ الْغُرُوزُ
أَبْنَى مِنْ يَظْلِمُ بِمَكَّةَ يَلْقَ أَطْرَافَ الشَّرُورِ
أَبْنَى يُضْرَبُ وَجْهَهُ وَيَلْحُ بِخَدَّيْهِ السَّعِيرِ
أَبْنَى قَدْ جَرَّبَتْهَا فَوَجَدَتْ ظَالِمًا يُّورِ
اللَّهُ آمَنَهَا وَمَا بُنِيَتْ بِعَرَصَتِهَا قُصُورُ
وَاللَّهُ آمَنَ طَيْرَهَا وَالْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي ثِيَرِ
وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَعِّعَ فَكَسَا بِنِيَّتِهَا الْحَبِيرُ

(١) ابن هشام : قُرب

(٢) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف .

(٣) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن .

(٤) الملاء : جمع ملاءة ، والوصلات : ثياب مخططة يمنة يوصل بعضها ببعض .

وأذلَّ ربِّي مُلكه فيها فأوفى بالندور
يمشى إليها حافياً بفنائها ألفاً بعير
ويظلُّ يُطعم أهلها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى فى الرحيض من الشعير
والفيلُ أهلك جيشه يُرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا دوفى الأعاجم والخزير^(١)
فاسمع إذا حدثت وافهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن إسحاق : ثم خرج تبع متوجها إلى اليمن بمن معه من الجنود وبالحزيرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا . فدعاهم إلى دينه وقال إنه خير من دينكم . قالوا : تحاكمنا^(٢) إلى النار ؟ قال : نعم .

قال : وكانت باليمن ، فيما يزعم أهل اليمن ، نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأخذ الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها ، حتى قعدوا للنار عند تحرجها الذى تخرج منه ؛ فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم^(٣) من حضرهم من الناس

(١) الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزير أيضاً . وفى المطبوعة : الخزور وهو تحريف .

(٢) ذمهم : حضهم . وفى المطبوعة : فزجرهم .

(٣) ابن هشام : فحاكنا

وأمرهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حجير ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما فأصفت^(١) عند ذلك حجير على دينهما ، فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق : وقد حدثني محدث أن الخبرين ومن خرج من حجير إنما اتبعوا النار ليُرَدُّوها ، وقالوا : من رَدَّها فهو أولى بالحق . فدنا منها رجال حجير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحاذوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّها ، فدنا منها الخبران بعد ذلك وجعلتا يتلوان التوراة وهى تنكص^(٢) عنهما حتى رَدَّاهما إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفت عند ذلك حجير على دينهما . والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن اسحاق : وكان رثام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الخبران لتبّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخل بيننا وبينه . قال . فشأنكما به . فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبجاه ، ثم هدمّا ذلك البيت ، فبقاياها اليوم — كما ذكر لى — بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه .

وقد ذكرنا فى التفسير الحديث الذى ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم » قال السهلى : وروى معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا أسعد الحيرى فإنه أول من كسى الكعبة » .

قال السهلى : وقد قال تبع حين أخبره الخبران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله بارئ النسمِ

(١) أصفت : اجتمعت .

(٢) المطبوعة : تنقص ، وهو تحريف .

فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره لكنت وزيراً له وابنَ عمِّ
وجاهدتُ بالسيف أعداءه وفرَّجتُ عن صدره كلَّ همِّ

قال : ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم ، وكان عند أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه وأرضاه

قال السهيلي : وذكر ابن أبي الدنيا فى كتاب القبور أن قبراً حفر بصنعاء ، فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه : هذا قبر لميس وحبي ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما .

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تبان أسعد ، وهو أخو اليمامة الزرقاء التى صلبت على باب مدينة « جو » فسميت من يومئذ اليمامة .

قال ابن إسحاق : فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبان أسعد ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حنظل وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ونملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا . فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميرى ، فإنه نهى عمراً عن ذلك فلم يقبل منه ، فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان :

ألا من يشترى سهراً بنوم سيده من بيت قرير عَيْنِ
فإمّا حمير غدرت وخانت ^(١) فمذرة الإله لذي رعينِ

ثم استودعها عمرًا . فلما قتل عمرو أخاه حسانَ ورجع إلى اليمن مُنِع منه النوم وُسِّلَ عليه السهر ، فسأل الأطباء والخِزاة^(١) من الكهان والعرافين عما به ، فقيل له : إنه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رَحِمٍ بَغِيًّا إلا ذهب نومُه وسلط عليه السهر . فعند ذلك جعل يقتل كلَّ من أمره بقتل أخيه ، فلما خُلص إلى ذى رُعين قال له : إن لى عندك براءة . قال وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعته إليك . فأخرجه فإذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نَصَحَه .

وهلك عمرو فمرَّج أمرُ حمير عند ذلك وتفرقوا .

وثوب لَخْنِيعَة ذى شناتر على مُلْك اليَمَن

وقد ملكها سبعا وعشرين سنة .

قال ابن إسحاق : فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت الملك^(٢) يقال له لَخْنِيعَة^(٣) بنوف ذو شَنَاتر ، فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان مع ذلك امرا فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبة^(٤) له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومَن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه ، ليعلمهم أنه قد فرغ منه .

حتى بعث إلى زُرْعَة ذى نواس بن تَبَّان أسعد أخى حسان ، وكان صبيا صغيرا حين قتل أخوه حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيا ذاهيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً نجَّاه بين قدميه ونعله ، ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه فوثابه ذو نواس فوجَّاه حتى قتله ، ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يُشرف منها ،

(١) الخِزاة : جمع خِز وهو الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها . وفى المطبوعة : الخِزاق .

(٢) ابن هشام : المملكة . (٣) قال ابن دريد : المعروف فيه لَخْنِيعَة بغير نون ، وهو مشتق من اللخن

وهو استرخاء اللحم — الاشتقاق (٤) المشربة : الغرفة المرتفعة .

ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطبُ أم يباس ؟ فقال
مثلُ نَحْمَاسِ استرطبان لا باس ^(١) فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا
في أثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من
هذا الخبيث .

فلَّكوه عليهم ، واجتمعت عليه حِجْر وقبائل اليمين ، فكان آخرَ ملوك حمير ،
وتسمى يوسف ، فأقام في ملكه زمانا ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه
السلام على الإنجيل ، أهلُ فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبد الله
ابن الناصر .

ثم ذكر ابن إسحاق سبب دخول أهل نجران في دين النصرى ، وأن ذلك كان على
يدى رجل يقال له فَيْمِيُون ، كان من عبّاد النصرى بأطراف الشام ، وكان مُجَاب
الدعوة ، وصَحْبُه رجل يقال له صالح ، فكانا يتعبدان يوم الأحد ويعمل فيمبون بقية
الجمعة في البناء ، وكان يدعو للمرضى والزَّمنى وأهل العاهات فيُشْفَوْنَ ، ثم استأسره
وصاحبه بعضُ الأعراب فباعوها بنجران ، فكان الذى اشترى فَيْمِيُون يراه إذا قام في
مُصَلَّاه بالبيت الذى هو فيه في الليل يمتلىء عليه البيتُ نوراً ، فأعجبه ذلك من أمره .

وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عايبها حُلِيَّ نسائهم ويعكفون عندها ،
فقال فَيْمِيُون لسيده : أرأيتَ إن دعوتُ الله على هذه الشجرة فهلكتُ أتعلمون أن الذى
أتم عليه باطل ؟ قال : نعم . فجمع له أهل نجران ، وقام فَيْمِيُون إلى مُصَلَّاه فدعا الله عليها ،
فأرسل الله عليها قاصفاً فَجَعَفَهَا ^(٢) من أصلها ورمائها إلى الأرض ، فاتبه أهل نجران على

(١) نَحْمَاسِ الرأس بلغة حمير . ومعنى استرطبان : أخذته النار ، وهى كلمة فارسية .

(٢) جَعَفَهَا : اقتلعها .

دين النصرانية ، وحملهم على شريعة الإنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض .

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة عبد الله بن الثامر حين تنصّر على يدي فيميون ، وكيف قتله وأصحابه ذو نواس وخذّ لهم الأخدود . قال ابن هشام : وهو الحفر المستطيل في الأرض مثل الخندق . وأجّج فيه النار وحرّقهم بها ، وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً . كما هو مستقصى في تفسير سورة (والسماء ذات البروج) من كتابنا التفسير والله الحمد .

ذكر خروج الملك باليمن من حمير

وصيرورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شق وسطيح الكاهنان . وذلك أنه لم يَنْجُ من أهل نجران إلا رجل واحد يقال له دَوْسٌ ذو ثعلبان على فرس له ، فبلك الرمل فأعجزهم ، فضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، وذلك لأنه نصراني على دينهم . فقال له بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة ، فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك . فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

فقدم دَوْسٌ على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط . ومعه في جنده أبرهة الأشرم ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ، وسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن .

فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس منازل به وبقومه وجّه فرسه في البحر ثم ضر به فدخل فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى نمره . فأدخله فيها ، فكان آخر العهد به ، ودخل أرياط اليمن ومَلَكها .

وقد ذكر ابن إسحاق هاهنا أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة ، وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ، ولكن تركنا إيرادها خشية الإطالة وخوف الملالة . والله المستعان .

ذكر خروج أبرهة الأشرم على أرياط واختلافهما واقتتالهما وصيرورة مُلْك اليمن إلى أبرهة بعد قتله أرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ، ثم نازعه أبرهة حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فأنحاز إلى كل منهما طائفة ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فأبرز لي وأبرز لك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفت .

فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرا لحيا ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفي يده حربة له ، وخلف أبرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وودى أبرهة أرياط .

فلما بلغ ذلك النجاشى ملك الحبشة الذى بعثهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة ، وقال : عَدَا عَلَى أَمِيرِي فَقَتْلُهُ بَغِيرُ أَمْرِي ! ثم حلف لا يَدْعُ أَبْرَهَةَ حَتَّى يَطَأَ بِلَادَهُ وَيُحْزِرَ نَاصِيَتَهُ .

فخلق أبرهة رأسه ، وملاً جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشى ثم كتب إليه : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّمَا كَانَ أَرِيَاظُ عَبْدِكَ ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، فَاخْتَلَفْنَا فِي أَمْرِكَ ، وَكُلُّ طَاعَتِهِ لَكَ ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْوَى عَلَى أَمْرِ الْحَبِشَةِ وَأَضْطَرُّ لَهَا وَأُسْوَسُ مِنْهُ ، وَقَدْ حَلَقْتُ رَأْسِي كُلَّهُ حِينَ بَلَغَنِي قَسَمُ الْمَلِكِ ، وَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِجَرَابِ تَرَابٍ مِنْ أَرْضِي لِيَضَعَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَبْرَرَ قَسَمَهُ فِيَّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه وكتب إليه أن اثبت برأض اليمن حتى يأتيتك أَمْرِي . فَأَقَامَ أَبْرَهَةُ بِالْيَمَنِ .

ذَكَرَ سَبَبَ قَصْدِ أَبْرَهَةَ بِالْفِيلِ مَكَّةَ لِيُخْرِبَ الْكَعْبَةَ

فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ

كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

قيل : أول من ذلّل الفيلة إفريدون بن أثقيان الذى قتل الضحّاك . قاله الطبرى . وهو أول من اتخذ للخيّل السُرُج . وأما أول من سخر الخيل وركبها فطهمورث ، وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ، ويقال إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب . والله تعالى أعلم .

و يقال إن الفيل مع عظمة خافه يَفَرِّق من الهرّ ، وقد احتال بعض أمراء الحروب في قتال الهنود بإحضار سنانير إلى حومة الوعى فنفرت الفيلة .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبرهة بنى القلّيس بصنعاء ، كنيسة لم يُرَ مثُها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك كنيسة لم يُبْنَ مثُها لملك كان قبلك ، ولست بمُنْتَه حتى أصرف إليها حجّ العرب .

فذكر السهيلي أن أبرهة استذل أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخسيسة ، وسخرهم فيها أنواعا من السخر ، وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة ، وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة ، ورَّكَب فيها صلباناً من ذهب وفضة ، وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس ، وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها باهراً ، فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء ، وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين ، كعيب وامراته ، وكان طول كل منهما ستون ذراعاً ، فتركها أهل اليمن على حالها . فلم تزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس ، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا .

قال ابن إسحاق : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النِّسَاء من كنانة ، الذين ينسئون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم ، كما قررنا ذلك عند قوله : ﴿ إِنَّمَا النِّسَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : فخرج الكِنَانِي حتى أتى القلّيسَ فقعدها^(١) ، أى أحدث حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال من صنع هذا ؟ فقيل له : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة ، لمَّا سمع بقولك أنك

(١) المطبوعة : فيه .

تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك^(١) هذا ، فغضب فجاء فقعدها فيها ، أى أنه ليس لذلك بأهل .

فغضب أبرهة عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت . ثم سار وخرج معه بالقليل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفطّعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفَرٍ ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله . فهزِمَ ذو نَفَرٍ وأصحابه ، وأخذ له ذو نَفَرٍ فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفَرٍ : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من القتل . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثَمَ عرض نُفَيْلَ بنِ حَبِيبٍ الخثعمى فى قَبِيلِهِ^(٢) خثعم وهما شَهْرَانُ ونَاهِسُ ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزِمه أبرهة وأخذ له نَفِيلَ أسيراً ، فأتى به فلما هم بقتله قال له نَفِيلُ : أيها الملك لا تقتلنى ، فإنى ذليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قَبِيلِ خثعم ، شهران وناهس ، بالسمع والطاعة . فغلى سبيله وخرج به معه يده .

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتَّبِ بنِ مُلَاحِ بنِ كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، فى رجال ثقيف ، فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيننا هذا البيت الذى تريد ،

(١) عبارة ابن اسحق مختلفة عما أورده المؤلف . . . (٢) المطبوعة : قبيلتي .

يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه .
فتجاوز عنهم .

قال ابن إسحاق : واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .
قال : فبعثوا معه أبارغال يدلّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى
أنزله بالمغمس ، فلما أنزله به مات أبورغال هنالك ، فرجت قبره العرب ، فهو القبر
الذي يرمي الناس بالمغمس . وفي قصة ثمود أن أبارغال كان رجلاً منهم وكان يمتنع
بالحرم ، فلما خرج منه أصابه حجر فقتله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لأصحابه : « آية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب » فحفروا فوجدوها . قال
وهو أبو ثقيف .

قلت : والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق ، أن أبارغال هذا المتأخر وافق اسمه
اسم جده الأعلى ورجحه الناس كما رجحوا قبر الأول أيضاً والله أعلم . وقد قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجوه كرجحكم لقبر أبي رغال

الظاهر أنه الثاني .

قال ابن إسحاق : فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن
مقصود^(١) على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش
وغيرهم ، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش
وسيدها ، فهزمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنه
لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث أبرهة حنّاطة الحميري إلى مكة وقال له : سلّ عن سيد أهل هذا البلد
وشر يفهم ، ثم قل له إن الملك يقول إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ،

(١) الأصل : مقصود . والتصويب من ابن هشام

فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم . فإن هو لم يُرد حربى فأتنى به .
فلما دخل حنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن
هاشم . فجاؤه فقال له ما أمره به أبرهة .

فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله
الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام . أو كما قال . فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ،
وإن يُخلَّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه .
فقال له حنَاطة : فانطلقى معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك .

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نَفَر ،
وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفر هل عندك من غَنَاء
فما نزل بنا ؟

فقال له ذو نَفَر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيا !
ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك ، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى ، فسأرسل إليه
وأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ،
ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك .

فقال : حسبى .

فبعث ذو نَفَر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَيْن^(١) مكة ،
يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذن
له عليه وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل .

فكَلَّمَ أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ،

(١) الطبرى : غير . والمقصود بعين مكة زمزم التى حفرها عبد المطلب .

وهو صاحب عين مكة ، وهو الذى يظعم الناس بالسهل والوحوش فى رءوس الجبال ، فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته ، فأذن له أبرهة .

قال : وكان عبد المطلب أوَّسم الناس وأعظمهم وأجلهم ^(١) ، فلما رآه أبرهة أجَّله وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريرته فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال حاجتى أن يردَّ علىَّ الملكُ مائتي بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد كنت أعجبته حين رأيتك ، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني ؛ أتكلمنى فى مائتي بعير أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دينك . ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمنى فيه ! ؟

فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه .

فقال : ما كان ليمتنع منى . قال : أنت وذاك . فردَّ على عبد المطلب إبله .

قال ابن إسحاق : ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمرُ بن نفثة ابن عدى بن الدَّيل ^(٢) بن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بنى بكر ، وخويلد بن وائلة سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت . فأبى عليهم ذلك . فآله أعلم أكان ذلك أم لا .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رءوس الجبال ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، وقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

(١) وتروى : أوَّسم الناس وأجله وأعظمه .

(٢) الطبرى : الدئل ، بضم الدال وبكسر الهمزة .

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ رِحَالَكَ
لَا يَفْعَلَنَّ صُلَيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ^(١) غَدَوْا مِحَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ لَمَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شحف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل .

فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيله وعبى جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك في بلد الله الحرام . وأرسل أذنه ، فبرك الفيل .

قال السهيلي : أى سقط إلى الأرض ، وليس من شأن الفيلة أن تبرك ، وقد قيل إن منها ما يبرك كالبعير . فالله أعلم .

وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أصدد في الجبل ؛ وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطَّبْرَزِينَ ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقَهُ فَبَزَغَوْهُ^(٢) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(٣) مع كل طائر منها

(١) محالهم : قوتهم وبأسهم . وغدوا : غدا . استعملت تامة ولا تستعمل كذلك إلا في الشعر .

(٢) الطبرزين : آلة معققة من حديد . والمحاجن جمع محجن وهو عصا معوجة قد يجعل فيها حديدة ، وبزغوه : ضربه حتى آدموه ، ومراق البطن : مارق منه ولان ، جمع مرق ، أولاً واحد لها .

(٣) قال ابن الأثير : قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير . النهاية ١١١/١

ثلاثة أحجار يحماها ، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والعس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت .

وخرجوا هاربين يتندرون الطريق التي منها جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل في ذلك :

أَلَا حِيَّتِ عَنَا يَارْدَيْنَا نَعْمِنَا كَمَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ فَلَا تَرَيْنِي لَدَى جَنْبِ الْحَصْبِ مَارَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَدَّثَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَافَاتِ بَيْنِنَا^(١)
حَدَّثَ اللَّهُ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخَفْتُ حَجَارَةً تُتَلَقَّى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَىَّ لِلْحُبُشَانِ دَيْنَا

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أئمة أئمة ، كلما سقطت أئمة اتبعها منه مدّة تمث^(٢) قيجا ودما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه . فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَةَ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَارُؤِيَتِ الْحَصْبَةِ وَالْجُدْرَى بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ ، وَأَنَّهُ أَوَّلَ مَارُؤِيَتِهَا مَرَاثِرُ الشَّجَرِ : الْحَرْمَلُ وَالْحَنْظَلُ وَالْعُشْرُ ، ذَلِكَ الْعَامَ .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان مما يعدد الله على قریش من نعمته عليهم وفضله ماردٌ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى :

(١) بينا : نصب نصب المصدر المؤكّد لما قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه .
(٢) تمث ترشح .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .
ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها .
وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى ، وله
الحمد والمنة .

قال ابن هشام : الأبايل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه .
قال : وأما السجِّيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب
الشديد الصَّلب .

قال : وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وأنها
سَنْجٌ وَجِلٌّ فالسنج : الحجر ، والجل : الطين . يقول الحجاره من هذين الجنسيتين الحجر
والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب .

وقال الكسائي^(١) : سمعت بعض النحويين يقول واحد الأبايل إِبْيَل .
وقال كثيرون من السلف : الأبايل : الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضا من
ههنا وههنا .

وعن ابن عباس : كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكُفَّ كأُ كف الكلاب .
وعن عكرمة كانت رموسها كرموس السباع خرجت عليهم من البحر
وكانت خُضْرًا .

وقال عبيد بن عمير : كانت سوداً بحرية ، في مناقيرها وأكفها الحجارة .
وعن ابن عباس : كانت أشكالها كعنقاء مغرب . وعن ابن عباس كان أصغر

(١) من هنا ليس عن ابن هشام .

حجر منها كراس الإنسان . ومنها ماهو كالإبل . وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق . وقيل : كانت صفراء والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرعة ، حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عُبَيْدِ بْنِ مُعْمِرٍ ، قال لما أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكَ أَصْحَابُ الْفِيلِ بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَنْشَأَتْ مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ ، كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا يَحْمِلُ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ : حَجَرَيْنِ فِي رِجْلَيْهِ وَحَجَراً فِي مَنْقَارِهِ ، قَالَ لِحِجَاةٍ حَتَّى صَفَّتْ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، ثُمَّ صَاخَتْ وَأَلْقَتْ مَا فِي رِجْلَيْهَا وَمَنْقَارِهَا ، فَمَا يَقَعُ حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ ، وَلَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَبَعَثَ اللهُ رِيحاً شَدِيدَةً فَضَرَبَتْ الْحِجَارَةَ فَزَادَتْهَا شِدَّةً ، فَأَهْلَكُوا جَمِيعاً .

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال : وليس كلهم أصابته الحجارة . يعني بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال . وذكروا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أئمة أئمة ، فلما وصل إلى اليمن انصدع صدره فمات لعنه الله .

وروى ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرَةَ^(١) عن عائشة ، قالت : لقد رأيت قائدَ الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ . وتقدم أن سائسَ الفيل كان اسمه أنيسا ، فأما قائده فلم يُسَمَّ . والله أعلم .

وذكر النقاش في تفسيره أن السيل احتمل جشهم فألقاها في البحر .

قال السهيلي : وكانت قصة الفيل أول الحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة^(٢) من تاريخ ذي القرنين .

(١) المطبوعة : سمرة . وهو تحريف . وهي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارعة ، كانت في حجر عائشة رضي الله عنها فحفظت عنها ، توفيت سنة ٩٨ هـ وقيل سنة ١٠٦ .
(٢) والذي في السهيلي : سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

قلت : وفي عامها ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشهور ، وقيل كان قبل مولده بسنين ، كما سند كر إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

ثم ذكر ابن إسحاق ماقالته العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام ، الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ، ويطهره ويوقره ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما يشرع له من الدين القويم ، الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه ، وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ، ولم يكن مافعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة ، فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركى قريش ، وإنما كان النصر للبيت الحرام ، وإرهاصا وتوطئة لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ماقاله عبد الله بن الزبعرى السهمى :

تَنَكَّلُوا ^(١) عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى لِيَالَى حَرَّمَتْ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلُ أَمِيرِ الْحَبَشِ ^(٢) عَنْهَا مَارَأَى	فَلَسَوْفَ يُنْبِى الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سِتُونُ أَلْفًا لَمْ يَتُوبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

ومن ذلك قول أبى قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فَيْلِ الْحُبُو	شِ إِذْ كَلِمَا بَعَثُوهُ رَزَمَ ^(٣)
مَحَاجِنَهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ	وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَانْحَرَمَ ^(٤)
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَطَهُ مِقْوَلًا	إِذَا يَمْمُوهُ قَفَاهُ كَلِمَ ^(٥)
فَوَلَّى وَأَذْبَرَ أَدْرَاجَهُ	وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ

(١) رويت أيضا : تنكبوا بالباء . ومعناها على كلا الروايتين : انصرفوا وارجعوا خوفا وهيبة .

(٢) ابن هشام : أمير الجيش . (٣) رزم : أقام في مكانه لم يتحرك . (٤) الأقرب جمع قرب بضمين ،

وهو الحاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن . (٥) المقول : سكينة كبيرة .

فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ^(١)
تَحَضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجَّجُوا كَثُورًا عَلَى الْغَنَمِ^(٢)

ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي ، قال ابن

هشام : ويروى لأمية ابن أبي الصلت :

إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ مَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّ مُسْتَبِينٍ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ بِمَهَاةٍ شُعَاعِهَا مَنُشُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْسِ حَتَّى صَارَ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَمْقُورُ
لَا زِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُدَّ مِنْ صَخَرٍ كَبْكَبٍ يَخْدُورُ^(٣)
حَوَّلَهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَا لَمْ يَلَاوِثْ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ^(٤)
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُوا جَمِيعًا كُلَّهُمْ عَظُمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ^(٥)
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْخَنِيفَةِ^(٦) بُورُ

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت أيضاً :

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ^(٧) وَتَمَسَّحُوا بَارَكَانَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ^(٨)
كَتَيْبَتِهِ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رِءُوسِ الْمَنَاقِبِ^(٩)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ^(١٠)

(١) القرم : جمع قزم ، وهو الضئيل الجسم . (٢) تأججوا : صاحوا . (٣) ابن هشام : كما
قطر . وكبك : جبل (٤) الملاوثة جمع ملأ ، وهو الشريف . (٥) ابذعروا : تفرقوا وفروا
(٦) أى الأمة الخنيفة ، وهو دين التوحيد دين إبراهيم (٧) صلوا ربكم : ادعوا ربكم .
(٨) أبو يكسوم : هو أبرهة . (٩) وتروى تمسى (١٠) الساق : الذى يرمى بالتراب والحاصب :
الذى يرمى بالحصى .

فَوَلُّوا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَوْتِبُوا إِلَى أَهْلِهِ مَلْحُوشٍ غَيْرُ عَصَائِبٍ^(١)
ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرُّقِيَّاتِ فِي عَظْمَةِ الْبَيْتِ وَحِمَايَتِهِ بِهَلَاكِ مَنْ
أَرَادَهُ بِسُوءٍ :

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفَيْءِ لِيَفُوكَلِّيَ وَجِيشُهُ مَهْزُومٌ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجُنْدِ دَلٌّ حَتَّى كَانَهُ مَرْجُومٌ
ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعُ وَهُوَ قَلٌّ مِنَ الْجِيُوشِ ذَمِيمٌ^(٢)

قال ابن إسحاق وغيره : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشة بعده ابنه يكسوم ، ثم من بعده أخوه مسروق ابن أبرهة ، وهو آخر ملوكهم ، وهو الذي انتزع سيفُ بن ذِي يَزَنَ الحَمِيرِي المُلُكَ مِنْ يَدِهِ بِالْجِيْشِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ مِنْ عِنْدِ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ . كما سيأتى بيانه .

وكانت قصة الفيل في الحَرَمِ سنة ستِّ وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذِي القرنين ، وهو الثاني اسكندر ابن فلبس المقدوني الذي يورُخُّ له الروم .

ولما هلك أبرهة وابناه ، وزال مُلْكُ الحبشة عن اليَمَنِ هُجِرَ القُلَيْسُ الَّذِي كَانَ بَنَاهُ
أبرهة وأراد صَرْفَ حَبْجِ الْعَرَبِ إِلَيْهِ ، لَجْهَهُ وَقَلَّةَ عَقْلِهِ ، وَأَصْبَحَ يَبَايَا لَا أُنَيْسَ بِهِ . وَكَانَ
قَدْ بَنَاهُ عَلَى صَنْمَيْنِ ، وَهَمَا كَعِيبَ وَامْرَأَتَهُ ، وَكَانَا مِنْ خَشَبِ طُولِ كُلِّ مِنْهُمَا سِتُونَ ذِرَاعًا
فِي السَّمَاءِ ، وَكَانَا مَصْحُوبَيْنِ مِنَ الْجَانِ ، وَلِهَذَا كَانَ لَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ إِلَى أَخْذِ شَيْءٍ مِنْ بِنَاءِ
الْقُلَيْسِ وَأَمْتَعْتُهُ إِلَّا أَصَابُوهُ بِسُوءٍ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَيَّامِ السَّفَاحِ أَوَّلِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ
فَذَكَرَ لَهُ أَمْرُهُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالرَّخَامِ الَّذِي كَانَ أَبْرَهَةٌ تَقْلَهُ إِلَيْهِ مِنْ صَرْحِ بَاتْمِيسَ

(١) ملحش : أصلها من الحبش . (٢) القل : المهزوم

الذى كان باليمن ، فبعث إليه من خربه حجراً حجراً ، وأخذ جميع ما فيه من الأمتعة والحواصل ^(١) . هكذا ذكره السهيلي . والله أعلم .

ذكر خروج المَلِك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى يزن الحميرى
كما أخبر بذلك الكاهنان
لريعة بن نصر اللخمي

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما هلك أبرهة مَلَك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يُكَنَّى ، فلما هلك يكسوم مَلَك اليمَن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

قال : فلما طال البلاء على أهل اليمَن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى .

وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الفوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن ابن الهميسع بن العرنجج ، وهو حمير بن سبأ ^(٢) وكان سيف يكنى أبا مَرَّة .

حتى قَدِم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ما هم ^(٣) فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويوليهم هو ، ويُخرج إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمَن ، فلم يُشْكِه ^(٤) .

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وفادة فى كل عام ، فأقم عندى حتى يكون ذلك . ففعل .

ثم خرج معه فأدخله على كسرى .

(١) سبق أن ذكر المؤلف هذا القول آتفا ص ٣٠ . (٢) ليست فى ابن هشام
(٣) المطبوعة : هو . (٤) أى لم يستجب لشكواه

وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يُدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا برك هيبه له .

فلما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا لأحق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه !

فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لَهَمِّي لأنه يضيق عنه كل شيء .

ثم قال له : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة .

قال كسرى : أيُّ الأغربة ، الحبشة أم السُّند ؟

قال : بل الحبشة ، فحُتَّتْ لتتصرنى ويكون مُلك بلادى لك .

فقال له كسرى : بَعْدَتْ بلادُك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك . ثم أجازته بعشرة آلاف درهم وافي وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك فقال : إن لهذا لشأنا . ثم بعث إليه فقال : عمدت إلى حبياء الملك تنثره للناس !

قال وما أصنع بحبائلك^(٢) ما جبالُ أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة .
يرغبه فيها .

فجمع كسرى مرازبته فقال لهم : ماترون في أمر هذا الرجل وما جاء له ؟

(١) القنقل : الكيال . (٢) ابن هشام : وما أصنع بهذا .

فقال قائل : أيها الملك إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكاً ازددته .

فبعث معه كسرى من كان في سجنه ، وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم [رجالاً منهم يقال له] وهَرَز ، وكان ذا سِن فيهم وأفضلهم حسباً وبيتاً ، فخرجوا في ثمان سفائن ففرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن .

فجمع سيفٌ إلى وهَرَز من استطاع من قومه وقال له : رجلى ورجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . فقال له وهَرَز : أنصفت .

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وهَرَز ابناً له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهَرَز فزاده ذلك حَقّاً عليهم .

فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهَرَز : أروني ملكهم . فقالوا له : أتري رجالاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء .

قال : نعم . قالوا : ذلك ملكهم . فقال أتركوه .

قال فوقفوا طويلاً ثم قال علام هو ؟ قالوا قد تحول على الفرس . قال : أتركوه .

فتركوه طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا على البغلة . قال وهَرَز : بنت الحمار ،

ذلّ وذللّ ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فائتوا حتى أؤذنكم فإني

قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا به ولا ثوا فقد أصبت الرجل .

فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يؤترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه

فعضباً له ، ثم رماه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه وتغلّغت النشابة في رأسه حتى

خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولائت به ، وحملت عليهم

الفرس فانهمزوا فقتلوا وهربوا في كل وجه .

وأقبل وَهْرَزُ ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي مُنْكَسَةً أَبَدًا ،
اهدموها هذا الباب . فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته .

فقال سيف بن ذى يَزَنَ الحميري :

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلَكِيَّةِ ن أَنَّهُمَا قَدِ التَّامَا
وَمَنْ يَسْمَعُ بِأَلْمِهَا فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقَمَا ^(١)
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا وَرَوَيْنَا الْكَيْبَ دَمَا
وَإِنَّ الْقَيْلَ قَيْلُ النَّاسِ س وَهْرَزُ مُقْسِمٌ قَسَا
يَذُوقُ مُشْعَشَعًا ^(٢) حَتَّى يُفِيءَ السَّبَى وَالنَّعَا

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهنئونه بعود الملك إليه وامتدحوه ،
فكان من جملة مَنْ وَفَدَ قريشٌ وفيهم عبد المطلب بن هاشم ^(٣) ، فبشّره سيفٌ
برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من أمره ، وسيأتي ذلك مفصلاً في باب
البشارات به عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ، قال ابن هشام : وتروى لأمية
ابن أبي الصلت .

لِيَطْلُبَ الْوَتْرُ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنَ رِيَمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا ^(٤)
يَتِمُّ قَيْصَرٌ لَمَّا حَانَ رَحْلَتُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالَا
ثُمَّ اثْنَى نَحْوَ كَسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ مِنَ السَّنِينَ يُهِنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا

(١) فقم : اشتد وعظم . (٢) يذوق : يريد لا يذوق . والمشعشع : الشراب المزوج بالماء .
(٣) المخطوطة ١ : فكان من جملة وفد قريش عبد المطلب . (٤) كذا في ابن هشام وفي نسخة من
الإلاكتفاء للكلاعي : بذأم . أى ابتداء يطلب الوتر منذ غادر بلاده واتجه في البحر يطلب العون من قيصر
وكسرى . والمعنى على الرواية المثبتة : أنه أقام في البحر ، أو غاب زماناً وأحوالاً ثم رجع للأعداء .

حتى أتى بينى الأحرار يحملهم إنك عمرى لقد أسرعت قلقالاً^(١)
 لله درهم من عضبة خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
 غلبا مرازمة ييضا أساوره أسدا ترَبُّب في الغيضا أشبالا^(٢)
 يرمون عن شدفٍ كأنها غبط بزخري يعجل المرعى إعجالا^(٣)
 أرسلت أسدا على سود الكلاب قد أضحي شريدهم في الأرض فلالا^(٤)
 فاشرب هنيئا عليك التاج مرتقا في رأس غمدان داراً منك محلالا^(٥)
 واشرب هنيئا قد شالت نعامتهم وأسبل اليوم في برؤدك إسبالا
 تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوآلا
 يقال : إن غمدان قصر باليمن بناء يعرب بن قحطان ، وملكه^(٦) بعده واحتله وأثله
 ابن حمير بن سبأ ، ويقال كان ارتفاعه عشرين طبقة . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عدي بن زيد الحيرى^(٧) وكان أحد بني تميم :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولأه ملك جزل مواهبها
 رققها من بنى لذي قزع مزن وتندى مسكا محاربها^(٨)
 مخفوفة بالجبال دون عرى كائد ما ترثقى غواربها^(٩)
 يأنس فيها صوت النهم إذا جاوبها بالعشى قاصبها^(١٠)
 ساق إلى الأسباب جند بنى أحرار فرسانها مواكبها

(١) القلقال : شدة الحركة . (٢) ابن هشام : ييضا مرازمة غلبا أساوره . والغاب : الشجعان
 (٣) الشدف : جمع شدفاء ، وهى القوس الموجهة الفارسية . كما فى القاموس ، وقد اضطرب السهيل فى
 تفسيرها إذ فسرها بالشخص ثم تكلف تكلفا بعيدا . والغبط : الهواذج . والزخري : النشاب .
 (٤) الفلال : المنزومون . (٥) غمدان : قصر كان باليمن بناء يشرح بن يحصب . (٦) المخطوطة :
 وأكمله . (٧) المطبوعة والأصل : الحيرى وهو خطأ . (٨) قزع المزن : السحاب المنفرق .
 (٩) عرى الكائد : يريد عرى السماء وأسبابها . (١٠) النهم : ذكر اليوم . والقاصب : الذى
 يزم فى القصب .

وَفُوزَتْ بِالْبَغَالِ تُوسَقُ^(١) بِالْا
حَتَّى رَأَاهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرَفِ^(٢) ا
يَوْمَ يَنَادُونَ آلَ بَرْبَرٍ^(٣) وَالْا
فَكَانَ يَوْمًا^(٤) بَاقِيَ الْحَدِيثِ وَزَا لَتِ إِمَّةٌ^(٥) ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا
وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ^(٦) وَالْأَيَّامُ خُونٌ جَمٌّ^(٧) عَجَائِبُهَا
بَعْدَ بَنِي تَبَعٍ نَخَاوِرَةٌ^(٨) قَدْ اطْمَأْنَتَ بِهَا مَرَازِبُهَا

قال ابن هشام : وهذا الذي عَنَى سَطِيحُ بقوله : « يليه إرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عَدَنَ ، فلا يترك منهم أحداً باليمن » والذي عَنَى شق بقوله : « غلام ليس يدنى ولا مُدَنَّ ، يخرج من بيت ذى يزن » .

قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء^(٩) الذين باليمن اليوم .

وكان مُلْكُ الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ ابن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسُومُ بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

(١) فوزت : ركبت المفاوز . وتوسق بالحنف : أى وسقها المحتوف . والتوالب : جمع تولب وهو ولد الحمار ، والتاء فيه بدل من واو . (٢) الأقوال : الملوك . والمنقل : الحصن . ونخصرة كتابتها : يعنى من الحديد ، ومنه الكتبية الحضراء . (٣) ابن هشام : وكان يوم . (٤) إمة : أى نعمة . (٥) الفج : المنفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة . (٦) النخاورة : الكرام . (٧) قال فى النهاية : ويقال لأولاد فارس الأبناء ، وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن . . . فليل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم .

ذكر ما آل إليه أمر الفُرس باليمن

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرَزُ فَأَمَرَ كَسْرَى ابْنَهُ الْمَرْزُبَانَ بْنِ وَهْرِزٍ عَلَى الْيَمَنِ ،
ثم مات الْمَرْزُبَانُ فَأَمَرَ كَسْرَى ابْنَهُ التَّيْنُجَانَ ، ثم مات فَأَمَرَ ابْنَ التَّيْنُجَانَ ، ثم عزله عن
الْيَمَنِ وَأَمَرَ عَلَيْهَا بَاذَانَ ، وفي زمنه بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن هشام : فبلغني عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَتَبَ كَسْرَى إِلَى بَاذَانَ : إِنَّهُ
بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قَرِيشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فِيسِرَ إِلَيْهِ فَاسْتَتَبَهُ ، فَإِنْ تَابَ
وِإِلَّا فَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ .

فَبِعِثَ بَاذَانَ بِكُتَابِ كَسْرَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ اللَّهُ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كَسْرَى فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا
مِنْ شَهْرِ كَذَا » فَلَمَّا أَتَى بَاذَانَ الْكِتَابُ وَقَفَ لِيَنْتَظِرَ ، وَقَالَ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيَكُونُ
مِاقَالًا . فَقَتَلَ اللَّهُ كَسْرَى فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ
ابْنُ هِشَامٍ : عَلَى يَدَيِ ابْنِهِ شَيْرَوِيهِ .

قُلْتُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَنُوهُ تَمَالَأُوا عَلَى قَتْلِهِ .

وَكَسْرَى هَذَا هُوَ أَبْرُويزُ بْنُ هُرْمِزَ بْنِ أَنْوَشْرِوَانَ بْنِ قَبَاذَ ، وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ الرُّومَ .
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَلَمْ غَايِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ » كَمَا سَأَتِي بَيَانُهُ .

قَالَ السَّهِيلِيُّ : وَكَانَ قَتْلُهُ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ خُلُونِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ (١)
مِنْ الْهِجْرَةِ . وَكَانَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ فَغَضِبَ وَمَزَّقَ كِتَابَهُ ، كَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ بِالْيَمَنِ يَقُولُ لَهُ مَا قَالَ .

(١) الَّذِي فِي السَّهِيلِيِّ : سَنَةِ سَبْعٍ .

وفى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرسول ياذان : « إن ربي قد قتل الليلة ربك » فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قُتِلَ تلك الليلة بعينها ، قتله بنوه لظلمه بعد عدله ، بعد ما خلعوه وولوا ابنه شيرويه فلم يعش بعد قتله أباه إلا ستة أشهر أو دونها .

وفى هذا يقول خالد بن حِقِّ الشَّيْبَانِي :

وَكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسَمَ الْحَمَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بَيَوْمٍ أَلَا وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

قال الزُّهْرِي : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل [من الفرس] ^(١) : إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أتم منّا وإلينا أهل البيت » . قال الزهري : ومن ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منّا أهل البيت » .

قلت : والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله عز وجل ، فبعث أولا خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب ، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل ، ودانت اليمن وأهلها للإسلام .

ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان ، وهو الذي قتله الأسود العنسي حين تنبأ وأخذ زوجته ، كما سيأتي بيانه ، وأجلى عن اليمن نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قُتِلَ الأسود عادت اليدُ الإسلامية عليها .

قال ابن هشام : وهذا هو الذي ^(٢) عَنَى به سَطِيح بقوله : « نبي زَكِيٌّ ، يأتيه

(٢) ابن هشام : فهو الذي

(١) من ابن هشام

الوحي من قِبَلِ الْعَلِيِّ» والذي عَنَى شِقُّ بقوله: «بل ينقطع برسول مُرْسَلٍ ، يَأْتِيه بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل» .
قال ابن إسحاق : وكان في حَجَرٍ باليمن ، فيما يزعمون ، كتابٌ بالزُّبُورِ كُتِبَ في الزمان الأول : لمن مُلْكُ ذِمَارٍ ؟ لِحَمِيْرٍ الْأَخْيَارِ ، لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ ؟ لِلْحَبْشَةِ الْأَشْرَارِ .
لِمَنْ مُلْكُ ذِمَارٍ ؟ لِفَارِسِ الْأَحْرَارِ ، لمن مُلْكُ ذِمَارٍ ؟ لِقَرِيْشِ التُّجَّارِ .

وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره المسعودي :

حين شِدتْ^(١) ذِمَارُ قِيلَ لِمَنْ أَذِ تِ ؟ فقالت لِحَمِيْرٍ الْأَخْيَارِ
ثم سِيلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فقالت أَنَا لِلْحَبْشِ أَخْبَثِ الْأَشْرَارِ
ثم قالوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِمَنْ أَذِ تِ فقالت لِفَارِسِ الْأَحْرَارِ
ثم قالوا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِمَنْ أَذِ تِ فقالت إِلَى قَرِيْشِ التُّجَّارِ

ويقال : إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق ، وجد مكتوباً عند قبر هود عليه السلام ، حين كَشَفَتْ الرِّيحُ عن قبره بأرض اليمن ، وذلك قبل زمن بلقيس يسير في أيام مالك بن ذى النمار ، أخى عمرو ذى الأذعار بن ذى النمار . ويقال كان مكتوباً على قبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام .
حكاه السهيلي . والله أعلم .

قصة السَّاطِرُونِ صاحبِ الحَضَرِ

وقد ذكر قصته هاهنا عبدُ الملك بن هشام لأجل ماقاله بعض علماء النسب : أن النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في ورود سيف بن ذى يزن عليه ، وسؤاله في مساعدته في رَدِّ مُلْكِ اليمن إليه ، أنه من سلالَةِ السَّاطِرُونِ صاحبِ الحَضَرِ .

(١) المطبوعة شدت . وهو خطأ .

وقد قدمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر ، وأنه روى عن جُبَيْر بن مُطْعِم أنه من أَشْلَاء قَنْص^(١) بن مَعَد بن عدنان . فهذه ثلاثة أقوال في نسبه فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضّر .

والحضّر حصن عظيم بناه هذا الملك ، وهو الساطرون ، على حافة الفرات ، وهو منيفٌ مرتفع البناء ، واسع الرحبة والفناء ، دُوره بقدر مدينة عظيمة . وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء ، وإليه يُجَبَى ماحوله من الأقطار والأرجاء .

واسم الساطرون : الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح^(٢) بن حلوان ابن الحاف بن قضاة . كذا نسبه ابن الكلبي .

وقال غيره : كان من الجرامقة ، وكان أحد ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا للحرب عدوٍّ من غيرهم ، وكان حصنه بين دجلة والفرات .

قال ابن هشام : وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون^(٣) ملك الحضّر .

وقال غير ابن هشام : إنما الذي غزا صاحب الحضّر سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان ، أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة . وأما سابور ذو الأكتاف بن هُرْمَز فبعد ذلك بدهر طويل . والله أعلم . ذكره السهيلي .

قال ابن هشام : فخصّره سنتين . وقال غيره : أربع سنين .

وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته بأرض العراق . فأشرفت بنتُ الساطرون وكان اسمها النَّصِيرَة ، فنظرت إلى سابور وعليه ثيابٌ دِيبَاجٌ وعلى رأسه تاج

(١) المطبوعة : قيصر . وهو خطأ . (٢) المخطوطة : ١ : بن عبيد بن سليح .

(٣) ابن هشام : ساطرون .

من ذهب مكلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، [وكان جميلاً] ^(١)، فدست إليه : أتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال : نعم .

فلما أُمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب . ويقال : بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضر . ويقال : بل دلتهم على طلسم كان في الحضر ، وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة وزقاء وتخضب رجلاها ببيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل ، فإذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم ففتح الباب . ففعل ذلك فانفتح الباب .

فدخل سابور قتل ساطرون واستباح الحضر وخرَّبه وسار بها معه فزوجه . فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تملل لا تنام ، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها ، فوجد عايه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم .

قال : فما كان أبوك يصنع بك . قالت : كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المنخ ويسقيني الخمر .

قال : أفكان جزاء أهلك ما صنعت به ! أنت إلى ذلك أسرع .

فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها . ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

ألم تر للحضر إذ أهله بنعمى وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنو دحو لئن تضرب فيه القدم

فَلَمَّا دَعَا رَبَّهُ دَعْوَةً أَنَابَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَنْتَقِمْ (١)
 فَهَلْ زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمَثَلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يَقُمْ
 وَكَانَ دَعَا قَوْمِهِ دَعْوَةً هَلُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
 فَوَتُوا كَرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يُجَشِّمُهُ مَنْ جَشِمَ
 وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي ذَلِكَ :

وَالْحَضْرُ صَابَتْ عَلَيْهِ دَاهِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِ ، أَيْدٍ مَنَاكِبَهَا (٢)
 رَيْبِيَّةٌ لَمْ تُوقِ وَالِدَاهَا لَحْنِيهَا إِذَا أَضَاعَ رَاقِبُهَا (٣)
 إِذَا غَبَقَتْهُ صِهْبَاءٌ صَافِيَةٌ وَالْحُمْرُ وَهَلْ يَسِيمُ شَارِبَهَا (٤)
 فَأَسَلَمْتُ أَهْلَهَا بَلِيلَتَهَا تَظُنُّ أَنَّ الرَّئِيسَ خَاطِبُهَا
 فَكَانَ حَظُّ الْعُرُوسِ إِذَا جَشَرَ الصُّبْحُ دَمَاءُ تَجْرَى سِبَابُهَا (٥)
 وَخُرْبُ الْحَضْرُ وَاسْتَبِيحَ وَقَدْ أَحْرَقَ فِي خِدْرِهَا مَشَاجِبُهَا (٦)
 وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ أَيْضًا :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْدهِ رِأْنْتُ الْمُبَرِّءَ الْمَوْفُورُ !
 أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ
 مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أُمَّ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ ؟ !
 أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَأَنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامِ الْمُلُوكُ السُّرُومُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحَضْرُ إِذَا بَنَاهُ وَإِذَا دَجَّ لَمَّةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ

(١) اقتصر ابن هشام على هذه الأبيات .

(٢) صاب السهم من باب باع ، لغة في أصاب . والأيد : القوى . والمعنى أنها هائلة .

(٣) ريبية : فصيل بمعنى مفعول ، أى مرباة . والحين : الهلاك . والراقب : المراقب .

(٤) غبقتها : سقته الغيبوق ، وهو ما يشرب بالعتشى . والوهل : الهم .

(٥) جشِر الصبح : طلع . (٦) الشاجب : جمع مشجب . ما تعلق به الثياب .

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّاهُ كَيْدًا سَاءَ فَلِطَّيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّهُ الرِّبُّ الْمُنُونُ فَبَانَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ
 وَتَذَكَّرَ رَبُّ الْخُورَنْقِ إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَفْكِيرُ^(١)
 سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُوتُ لَكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْرُ^(٢)
 فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : وَمَا غِبَ طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالِدَبُورُ^(٣)

قلت : وربُّ الخورَنْقِ الذى ذكره فى شعره رجل من الملوك المتقدمين ، وعظه
 بعضُ علماء زمانه فى أمره الذى كان قد أسرف فيه وعتا^(٤) وتمرد فيه وأتبع نفسه هواها
 ولم يراقب فيها مولاها ، فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول ، وكيف بادوا ولم يَبْقَ
 منهم أحد ، وأنه ماصار إليه عن غيره إلا وهو منتقل عنه إلى من بعده ، فأخذته موعظته
 وبلغت منه كل مبلغ ، فارعوى لنفسه ، وفكر فى يومه وأمسِه ، وخاف من ضيق رَمْسِه ،
 فتاب وأناب ونزع عما كان فيه ، وترك الملك ولبس زى الفقراء ، وساح فى الفلوات
 وحظى بالخلوات ، وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان
 رب السموات .

وقد ذكر قصته مبسوطه الشيخ الإمام موفق بن قدامة المقدسى رحمه الله تعالى فى
 كتاب « التوايين » وكذلك أوردها بإسناد متين الحافظ أبو القاسم الشَّهْبِيلِ فى كتاب
 « الروض الأنف » المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين .

(١) : تذكير . (٢) : معرض . (٣) ألوت به : ذهبت به ، والصبأ : ريح مهبها من
 مطلع الثريا إلى بنات نعل . والدبور ريح تقابل الصبا . (٤) : وعق .

خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضرة وهو ساطرون ، فقد تقدم أنه كان مقدما على سائر ملوك الطوائف ، وكان من زمن اسكندر بن فليس المقدوني اليوناني ، وذلك لأنه لما غاب على ملك الفرس دارا بن دارا ، وأذل مملكته وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ، ومزق شمل الفرس شذر مذر ، عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر .
فجعل يُقِرُّ كلَّ ملك على طائفة من الناس في إقليم من أقاليم الأرض ما بين عربها وأعاجمها ، فاستمر كلُّ ملك منهم يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محلته ، فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه ، فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة .
حتى كان أردشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن يشتاسب بن هراسب ، فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت الممالك برمتها إليه ، وأزال ممالك ملوك الطوائف ، ولم يبق منهم تالد ولا طارف ، وكان تأخر عايه حصار صاحب الحضرة الذي كان أكبرهم وأشدهم وأعظمهم إذ كان رئيسهم ومقدمهم ، فلما مات أردشير تصدى له ولده سابور فحاصره حتى أخذه ، كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب ذكر بنى إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

ذكرنا إسماعيل نفسه عليه السلام مع الأنبياء^(١)، وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فأسكنها بواى مكة بين جبال فاران، حيث لا أنيس به ولا حسيس، وكان إسماعيل رضيعا، ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك، ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء، فلما نفذ ذلك أنبع الله هاجر زمزم التي هى طعام طعم وشفاء سقم، كما فى حديث ابن عباس الطويل الذى رواه البخارى رحمه الله.

ثم نزلت جرهم، وهم طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة، على أن ليس لهم فى الماء شئ إلا ما يشربون منه وينتفعون به، فاستأنست هاجر بهم.

وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم فى كل حين. يقال إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس فى ذهابه وإيابه.

ثم لما ترعرع الغلام وشبَّ وبلغ مع أبيه السعى كانت قصة الذبح، والذبيح هو إسماعيل على الصحيح.

ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة ثم فارقها وتزوج غيرها، وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته بالبنين الاثنى عشر كما تقدم ذكرهم وهم: نابت وقيدَر [وأذبل^(٢)]. ومشا، ومسمع، وماشى، ودِما، وأذر، ويطور، ونبش، وطيا،

(١) وذلك فى الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف . (٢) من ابن هشام . .

وَقَيْدُما . هكذا ذكره محمد بن إسحاق وغيره عن كتب أهل الكتاب ، وله ابنة واحدة اسمها نسمة ، وهى التى زوجها من ابن أخيه العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، فولد له منها الروم وفارس ^(١) والأشبان أيضا فى أحد القولين .

ثم جمیعُ عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون فى انسابهم " " . ولديه نائب وقيدُر .

وكان الرئيس بعده والقائم بالأمور الحاكم فى مكة ، والناظر فى أمر البيت وزمزم ، نائب بن إسماعيل وهو ابن أخت الجرهميين .

ثم تغابت جرهم على البيت طمعا فى بنى أختهم ، فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بنى إسماعيل مدة طويلة ، فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نائب مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر ^(٢) بن نبت بن جرهم .

وجرهم بن قحطان ، ويقال : جرهم بن يقطن بن عيبر ^(٣) بن شالح بن أرغشذ بن سار ابن نوح الجرهمي . وكان نازلا بأعلى مكة بَقْعَيْعَانَ .

وكان السَّمِيدَع سَيْدُ قَطُوراء نازلا بقومه فى أسفل مكة ، وكلٌّ منهما يَعْشُر ^(٤) مَنْ مَرَّ به مجتازاً إلى مكة .

ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقْتَتَلوا ، فُقُتِلَ السَّمِيدَع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت ، لا ينازعه فى ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم ^(٥) بمكة وبغيرها وذلك لخوولتهم له ولعظمة البيت الحرام .

ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ، ثم إلى عمرو بن الحارث . ثم بَغَتْ جرهم بمكة وأكثرت فيها الفساد ، وألحدوا بالمسجد الحرام ، حتى ذكر

(١) ١ : واليونان . (٢) ١ : هير . (٣) يعشر : يأخذ عشر الأموال (٤) الطمعة وانتشارهم . وهو خطأ .

أن رجلاً منهم يقال له إساف بن بغيٍّ وامرأةٌ يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه إليها الفاحشة ، فسخما الله حجرين ، فنصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبرا بهما ، فلما طال المطال بعد ذلك بمُدَّ عِدَا من دون الله في زمن خزاعة . كما سيأتى بيانه في موضعه . فكأنا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة .

فلما أكرت جرهمُ البغيَّ بالبلد الحرام تمايلات عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم ، وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم . وقيل إن خزاعة من بنى إسماعيل . والله أعلم .
والمقصود أنهم اجتمعوا لحرهم وآذَنوهم بالحرب واقتتلوا .
واعترل بنو إسماعيل كلا الفريقين .

فغابت خزاعة ، وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان ، وأجلَّوهم عن البيت .
فعبد عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي ، وهو سيدهم ، إلى غزالي الكعبة ، وهما من ذهب ، وحجر الركن وهو الحجر الأسود ، وإلى سيوف مُحَلَّاة وأشياء أخر ، فدفنها في زمزم وطمَّ زمزم ، وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن .
وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وقد شَرِقَتْ بالدَّمع منها الحَاجِرُ	وقائِلَةٌ والدَّمعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرُ	كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا
يُجَلِّجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحِينَ طَائِرُ	فَقَلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مَنَّى كَأَنَّمَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ	بَلَى نَحْنُ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالُنَا
نُظُوفُ بِذَاكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ	وَكُنَّا وُلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ

ونحن ولينا البيت من بعد نابت
مَلَكْنَا فَمَزَزْنَا فَأَعْظِمُ بِمَلِكِنَا
ألم تُنَكِّحُوا من خير شخص علمته
فإن تَنْتَنِ الدينِـا علينا بحالها
فأُخْرِجْنَا منها المليكُ بقدره
أقول إذا نام الخـلى ولم أُنم
وبُدِّلْتُ منها أوجهًا لا أحبها
وصِرْنَا أحاديثًا وكنا بِغِبْطَةٍ
فَسَحَّتْ دموعُ العين تبكى لبلدة
وتبكي لبيت ليس يؤذى حَمامُه
وفيه وحوشٌ لا تُرامُ أنيسةٌ
بِعزٍّ فما يَحْظَى لدينا المكثُرُ
فليس لحيٍّ غَيْرِنا ثمَّ فَأَخِرُ
فأبـناؤه منا ونحن الأصاهرُ
فإنَّ لها حالاً وفيها التشاجرُ
كذلك يا للناس تجرى المقادِرُ
أذا العرش لا يَبْعُدُ سُهَيْلٌ وعامرُ
قبائلَ منها خـيرٌ ويُحَابِرُ
بذلك عَصَتْنَا السنونُ الغَوَابِرُ
بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المَشَاعِرُ
يَظَلُّ به أَمْنًا وفيه العَصَافِرُ
إذا خَرَجَتْ منه فليست تُغَادِرُ

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث بن مُضاض أيضا يذكرُ بنى بكر وغبشان الذين خلفوا بعدهم بمكة :

يا أيها الناس سيروا إن قَصْرَكُمْ^(١)
حُثُوا المَطِيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا
كنا أناسًا كما كنتم ففـيرنا
أن تُصَبِّحُوا ذاتَ يومٍ لا تَسِيرُونَا
قبل الممات وقَضُوا ما تُقَضُّونَا
دهرٌ فأنتم كما صـرنا تصـيرونَا

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يُسَمَّ قائلها .

(١) المطبوعة : قصارك . وهو خطأ . وقصركم : أى نهايتكم .

وذكر السهيلي لهذه الأبيات إخوة ، وحكى عندها حكاية معجبة وإنشادات مُغرّبة .

قال : وزاد أبو الوليد الأزرقي في كتابه « فضائل مكة » على هذه الأبيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مُضاض :

قد مالَ دهرٌ علينا ثم أَهْلَكَنَا بِالْبَغْيِ فِيهِ ^(١) وَبَزَّ النَّاسَ نَاسُونَا
وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عَنْدهُ الْهُونَا
كُنَّا زَمَانَا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ بِمَسْكَنِ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

قصة خُزَاعَة ، وخبر عمرو بن لُحَيٍّ ، وعبادة الأصنام

بأرض العرب

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشَانَ من خُزَاعَة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مَنَاة وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشَانِي .

وقريش إذ ذاك حُلُولٌ وَصِرْمٌ ^(٢) وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة .

قالوا : وإنما سميت خُزَاعَة خُزَاعَة لأنهم تَخَزَّعُوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فزَلُّوا بِمَرِّ الظَّهَرَانِ فَأَقَامُوا بِهِ .

قال عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي في ذلك :

فلما هبطنا بطنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةٌ مَنَا فِي حُلُولٍ كَرَّا كَرَّ ^(٣)

(١) المطبوعة : فينا .

(٢) الحُلُول : جمع حال بتشديد اللام . والصِرْم بكسر الصاد وسكون الراء : الطائفة من القوم ينزلون بإبلام ناحية من الماء والجمع أصرام . (٣) الكراكر : جمع كركرة بكسر الكاف وسكون الراء ومى الجماعة من الناس .

حَمَتُ كُلِّ وَاِدٍ مِنْ تِهَامَةٍ وَاحْتَمَتْ بِصُحْمِ الْقَنَاءِ وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصارى الأوسى :

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَكَّةَ أَتَحَدْتُ خُرَاعَةَ دَارِ الْآكِلِ الْمُتَحَامِلِ
فَلَمَّتْ أَكَارِيْسًا شَتَّتْ قَنَابِلًا عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ تَجْدٍ وَسَاحِلِ^(١)
نَفَوَاجِرُهُمَا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَاحْتَبَوْا بَعِزَّ خُرَاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَوَاهِلِ

فوليت خزاعة البيت ، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْلُ
ابن جُبَشِيَّةِ بن سُلُولِ بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ، الذى تزوج قصيُّ بن كلاب
انتهى حَيُّى ، فولدت له بَنِيهِ الأربعة : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ،
وعبدا ، ثم صار أمر البيت إليه . كما سيأتى بيانه وتفصيله فى موضعه إن شاء الله
تعالى وبه الثقة .

واستمرت خُرَاعَةُ عَلَى ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة
والله أعلم . وكانوا مشثومين^(٢) فى ولايتهم ، وذلك لأن فى زمانهم كان أولُ عبادة
الأوثان بالحجاز .

وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لُحَيٍّ لعنه الله ، فإنه أول من دعاهم إلى ذلك .
وكان ذا مال جزيل جداً . يقال : إنه فقاً أعين عشرين بعيراً ، وذلك عبارة عن أنه
ملك عشرين ألف بعير .

وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير فقاً عين واحد منها ، لأنه يدفع بذلك
العين عنها . ومن ذكر ذلك الأزرقى .

(١) الأَكَاريس : جمع الجمع للكُرس وهو أبيات من الناس مجتمعة . والقنابل جمع قنبل ، وهو
الطائفة من الناس والجيل . (٢) المطبوعة : سوس . وهى تحريف بالأصل عما أثبتناه .

وذكر السهيلي : أنه ربما ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة ، يطعم العرب ويحيس لهم الخيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق . قالوا : وكان قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع ، لشرفه فيهم ومحلته عندهم وكرمه عليهم .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العالقي وهم ولد عملاق ، ويقال ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنامُ نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا .

فقال لهم : ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ^(١) فأعطوه صنما يقال له هُبَل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم .

فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة .

حتى سآخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خَلَفَت الخُلُوف ونسوا ما كانوا عليه .

وفي الصحيح عن أبي رَجَاء العطاردي ، قال : كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حشية من التراب وجئنا بالشاة فخبناها عليه ثم طُفْنَا بها .

(١) كذا بالأصول . والقياس : فيعبدوه

قال ابن إسحاق . واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات .

وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفات والمزدلفة ، وهذى البدن والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه

فكانت كنانة وقريش إذا أهّلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ^(١) » أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى .

وقد ذكر السهيلي وغيره : أن أول من لّجى هذه التلبية عمرو بن لُحى وأن إبليس تبدّى له فى صورة شيخ ، فجعل ياقنّه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول ، واتبعه العرب فى ذلك .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمعهم يقولون : لبيك لا شريك لك : يقول : « قَدْ قَدِرَ » أى حَسَبَ حسب .

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حفص عن أبي هريرة . عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « إن أول من سبّ السوائب وعبد الأصنام ، أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإنى رأيته يجر أمتعاه فى النار » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وهذا يقتضى أن عمرو بن لُحَيٍّ هو أبو خزاعة الذى تُنسب إليه القبيلة بكاملها ، كما زعمه بعضهم من أهل النسب ، فيما حكاه ابن إسحاق وغيره .

ولو تركنا مجرد هذا المكان ظاهراً فى ذلك بل كالنص ، ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه .

فقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شُعَيْب ، عن الزُّهْرَى ، قال : سمعت سعيد ابن المسيب قال : الْبَحِيرَةُ : التى يُمنَحُ^(١) دَرُّهَا للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة : التى كانوا يسيّبونها لآلهم لا يُحمَلُ عليها شيء .

قال : وقال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر الخَزَاعِى يجر قُصْبَهُ فى النار ، كان أول من سَيَّب السوائب » .

وهكذا رواه البخارى أيضاً ومسلم من حديث صالح بن كيسان عن الزُّهْرَى عن سعيد عن أبى هريرة به .

ثم قال البخارى : ورواه ابن الهادِّ عن الزهري .

قال الحاكم : أراد البخارى : رواه ابن الهادِّ عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري . كذا قال .

وقد رواه أحمد عن عمرو بن سَلَمَةَ الخَزَاعِى ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن الزهري ، عن سعيد ، عن أبى هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عمرو بن عامر يجر قُصْبَهُ فى النار ، وكان أول من سَيَّب السوائب وبَحَرَ الْبَحِيرَةَ » .

(٣) المنبوعة : يمنع . وهو خطأ

ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بُحْت كما قال الحاكم . فالله أعلم .

وقال أحمد أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخَزَاعِي يجرُ قُصْبَهُ في النار ، وهو أول من سَيَّبَ السَّوَابِ (١) » .

وهذا منقطع من هذا الوجه . والصحيح : الزُّهْرِي عن سعيد عنه كما تقدم .
وقوله في هذا الحديث والذي قبله : « الخَزَاعِي » يدل على أنه ليس والد القبيلة ، بل منتسب إليها ، مع ما وقع في الرواية من قوله أبو خزاعة تصحيف من الراوي من : « أخو خزاعة » أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ، ولا يكون ذلك من باب الإخبار بأنه أبو خزاعة كلهم . والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن أبا صالح السَّمان حَدَّثَهُ أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لَأَكْمَنُ بَنِ الْجَوْثَنِ الْخَزَاعِي : « يَا أَكْمَنُ ، رأيت عمرو بن لحي بن قَمْعَةَ بن خِنْدَفٍ يجرُ قُصْبَهُ في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه » .
فقال أكمَن : عسى أن يضرني شَبَهُهُ يارسول الله .

قال : « لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غيَّر دين إسماعيل ، فنصب الأوثان وبَحَرَ البحيرة وسَيَّبَ السَّائِبَةَ ووصل الوصيلة وحَمَى الحامِي » .
ليس في الكتب من هذا الوجه .

وقد رواه ابن جرير عن هَنَادِ بن عُبْدَةَ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سامة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله ، وليس في الكتب أيضاً .

وقال البخارى : حدثنى محمد بن أبى يعقوب أبو عبد الله الكرمانى ، حدثنا حسان ابن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، ورأيت عمرأً يجر قصبه ، وهو أول من سب السوائب » .

تفرّد به البخارى .

وروى الطبرانى من طريق صالح ، عن ابن عباس ، مرفوعاً فى ذلك .

والمقصود أن عمرو بن لُحى لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء فى الدين غير بها دين الخليل ، فاتبعه العرب فى ذلك ، فضلّوا بذلك ضلالاً بعيداً بيناً فظيعاً شنيعاً .

وقد أنكر الله تعالى عليهم فى كتابه العزيز فى غير ما آية منه . فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ ^(١) الآية . وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَاحِرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) .

وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطاً وبيننا اختلاف الساف فى تفسير ذلك ، فمن أرادَه فليأخذه من ثمّم ، والله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ، تَاللَّهِ لُتَسْلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ

إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ .
وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَرْوَاحِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١﴾ .

وقال البخارى فى صحيحه : ﴿باب جهل العرب﴾ (٢) :

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن
عباس ، قال : إذا سَرَّكَ أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام :
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

وقد ذكرنا تفسير هذه الآية ، وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة ، التى
ظنها كبيرهم عمرو بن لُحَيٍّ قَبَّحَهُ اللَّهُ مصلحةً ورحمةً بالدواب والبهائم ، وهو كاذب
مُفْتَرٍ فى ذلك .

ومع هذا الجبل والضلال اتبعه هؤلاء الجيلة الطغام فيه .
بل قد تابعوه فيما هو أَطْمَ من ذلك وأعظم بكثير ، وهو عبادة الأوثان مع
الله عز وجل .

وبَدَّلُوا مَا كَانَ اللَّهُ بَعَثَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، مِنْ تَوْحِيدِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَحْرِيمِ الشِّرْكِ .

وغيرُوا شعائرَ الحجِّ ومَعَالِمَ الدِّينِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا بَرَهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ .
وَاتَّبِعُوا فِي ذَلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُشْرِكِينَ .

وشابهوا قومَ نوحَ ، وكانوا أولَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ وَلِهَذَا بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا ، وَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بُعِثَ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، كَمَا فِي قِصَّةِ نُوْحٍ ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ ^(١) .

قال ابن عباس : كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم ، وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته ها هنا .

قال ابن إسحاق وغيره : ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبدلهم دينَ إسماعيل ، فكان وَدٌّ لِبْنِي كَلْبٍ بَنِ وَبَرَةَ ^(٢) بَنِ ثَعْلَبِ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْخَافِ بْنِ قُضَاعَةَ . وكان منصوبًا بِدُومَةَ الْجَنْدَلِ .

وكان سُوَاعٌ لِبْنِي هُذَيْلِ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ مِصْرَ . وكان منصوبًا بِمَكَّانٍ يُقَالُ لَهُ رُهَاطٌ .

وكان يَغُوثُ لِبْنِي أَنْعَمَ مِنْ طَيْئِ الْأَهْلِ جُرَشٍ مِنْ مَذْحِجٍ . وكان منصوبًا بِجُرَشٍ .
وكان يَعُوقُ منصوبًا بِأَرْضِ هَمْدَانَ مِنَ الْيَمَنِ لِبْنِي خَثِیَوَانَ بَطْنِ مَنْ هَمْدَانَ .

وكان نَسْر منصوباً بأرض حَير لقبيلة يقال لها ذو الكَلَّاع .

قال ابن إسحاق : وكان لحولان بأرضهم صنم يقال له عم أنس ^(١) يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله ، فيما يزعمون ^(٢) ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه ^(٣) له تركوه له ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس ردَّوه عليه ، وفيهم أنزل الله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ .

قال : وكان لبني مِلْكان بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة صنم يقال له سعد ، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له مُؤَبَّلَةٌ لِيَقْفَهَا عَلَيْهِ التَّمَسُّ بَرَكْتَهُ ، فيما يزعم ، فلما رآته الإبل ، وكانت مَرْعِيَّةً لَا تُرْكَبُ وكان الصنم يُهْرَاقُ عَلَيْهِ الدَّمَاءُ ، نفرت منه فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجراً فرماه به ثم قال : لا بَارِكُ الله فيكَ نَفَرْتُ عَلَى إِبِلِي . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بَتْنُوفَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَدْعُو لِنَاصِيٍّ وَلَا رُشْدٍ

قال ابن إسحاق : وكان في دَوْسٍ صنم لعمر بن مُحَمَّمة الدَّوْسِي .

قال : وكانت قریش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هُبَل .

وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لُحْي لعنه الله .

قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافاً ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، ثم ذكر أنهما كانا رجلاً وامراً فوق عليهما في الكعبة فسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزَم ، عن عمرة أنها قالت : سمعت عائشة تقول : مازِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةً كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمِ أَحَدُنَا فِي الْكَعْبَةِ فَسَخَّاهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَجَرَيْنِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) والأصنام لابن الكلبي : عِمَانَس . (٢) ابن هشام : بزعمهم . (٣) ابن هشام : سموه

وقد قيل إن الله لم يُمهاهما حتى فحرا فيها ، بل مَسَخَهما قبل ذلك ، فعند ذلك نصبا عند الصفا والمروة .

فلما كان عمرو بن لُحَيّ نقاهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما .
وفي ذلك يقول أبو طالب :

وحيث يُنِيخُ الأشْعَرُونَ ركبهم بِمَقْضَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
وقد ذكر الواقدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بكسر نائلة يوم الفتح
خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور .
وقد ذكر السهيلي : أن أجا وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز ، إنما سُميا باسم رجل
اسمه أجا بن عبد الحى ، فخرَ بـُسلمى بنت حام ، فصلبا في هذين الجبلين فعُرِفَا بهما .
قال : وكان بين أجا وسلمى صنمٌ لطيفٌ يقال له قلس .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهلُ كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل
منهم سَفَرًا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ،
وإذا قدم من سَفَره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبداً به قبل أن يدخل على أهله .
قال : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قریش : أَجْعَلِ الْآلِهَةَ
إِلَهاً واحداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ .

قال ابن إسحاق : وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طَوَاغِيتَ ، وهى بيوت تعظمها
كتعظيم الكعبة لها سَدَنَةٌ وَحُجَابٌ ، وَتَهْدِيْ لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها

بها وتنحدر عندها . وهى [مع ذلك] ^(١) تعرف فضل الكعبة عليها ، لأنها بناء إبراهيم
الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخلة ، وكان سدتها وحجابها بنى شيبان
من سليم حلفاء بنى هاشم ، وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح . كما سيأتى .

قال : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدتها وحجابها بنى مُعْتَب من
ثقيف ، وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة بعد مجيء أهل الطائف . كما سيأتى .

قال : وكانت مناةً للأوس والخزرج ومن دأن بدّينهم من أهل المدينة ^(٢) على
ساحل البحر من ناحية المُشَلَل بقديد ، وقد خربها أبو سفيان أيضاً ، وقيل على بن أبى طالب
كما سيأتى .

قال : وكان ذو الخلصة لدؤس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة ،
وكان يقال له الكعبة اليمانية ؛ وليت مكة الكعبة الشامية . وقد خربه جرير بن عبد الله
البجلي كما سيأتى . قال :

وكان قاس لطيء ومن يليها بجلى طيئ ، يعنى ^(٣) أجأ وسلهى . وهما جبلان مشهوران
كما تقدم .

قال : وكان رثامُ بيتا لحمير وأهل اليمن كما تقدم ذكره فى قصة تبع أحد ملوك حمير
وقصة الحبرين حين خرباه وقتلا منه كلباً أسود .

قال : وكانت رضاءُ بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم ؛ ولها
يقول المُستَوغر ، واسمه كعب بن ربيعة بن كعب :

ولقد شددتُ على رضاء شدةً فتركتها قفراً بقاءِ أسحماً ^(٤)

(١) ليست فى ابن هشام . (٢) ابن هشام يثرب . (٣) المطبوعة : بن . وهو خطأ .

(٤) الأسحُم : الأسود

وأعان عبدُ الله في مَكْرُوهاها وَبِمَثَلِ عَبْدِ اللَّهِ أُغْشِيَ الْحَرَمَ^(١)
وَيُقَالُ إِنَّ الْمُسْتَوْغَرَ هَذَا عَاشَ ثَلَاثُمِائَةَ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَطْوَلَ مُضَرٍّ كُلِّهَا
عُمَرَاً ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ طَوِيلَهَا وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِثْلَنَا
مِائَةً حَدَّثَهَا بَعْدَهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا
هَلْ مَا بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمٌ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَخْذُونَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَتُرَوَّى هَذِهِ الْآيَاتُ لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ بْنِ هَبَلٍ^(٢) .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ : وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ الَّذِينَ جَازَوْا الْمِائَتِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةَ : زُهَيْرٌ هَذَا ، وَعُبَيْدُ
ابْنُ شَرِيَّةٍ ، وَدَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةِ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ ضَبْعٍ الْفَزَارِيُّ ، وَذُو الْإِصْبَعِ
الْعَدَوَانِيُّ ، وَنَصْرُ بْنُ دِهَانَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غُفَّانٍ ، وَكَانَ قَدْ اسْوَدَّ شَعْرُهُ بَعْدَ
إِبْيَاضِهِ وَتَقَوَّمَ ظَهْرُهُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ .

قَالَ^(٣) : وَكَانَ ذُو الْكَعْبَاتِ لِبَكْرِ وَتَغْلِبِ ابْنِي^(٤) وَائِلَ وَإِيَادَ بَسَنْدَادَ ، وَلَهُ
يَقُولُ أُعْشِيَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةٍ :

بَيْنَ^(٥) الْخَوَرَنْقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سَنْدَادِ^(٦)
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ تَطَاوَلَ بِي الْمَدَى أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقِ تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ ، وَبَعْدَ إِيَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَحْيَى مِنْ أَطْوَادِ
أَرْضِ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سَنْدَادِ

(١) لم يرد هذا البيت في ابن هشام . (٢) ابن هشام : بن جناب الكلبي . (٣) أي ابن اسحق
(٤) المطبوعة : ابن . وهو خطأ . (٥) ابن هشام : أهل الخورنق .
(٦) السنداد : منازل لإياد أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِعَادٍ
وَأَرَى النِّعِمَ وَكُلَّ مَا يُبْلَغُ بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَنِي وَفَادٍ
قال السهيلي : الْخَوَزَنْقُ : قَصْرُ بَنِي النِّعَمَانِ الْأَكْبَرِ لِسَابُورَ لِيَكُونَ وَلَدُهُ فِيهِ عِنْدَهُ ،
وَبَنَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سِنْمَارٌ فِي عَشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يُرَ بَنَاهُ أَعْجَبَ مِنْهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَبْنِيَ
لغيره مثله ، فَأَلْقَاهُ مِنْ أَعْلَاهُ فَقَتَلَهُ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

جَزَانِي ، جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنْمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَضْفَةِ الْبَنِيَانِ عَشْرِينَ حِجَّةً يَعْدُ عَلَيْهِ بِالْقَرَامِدِ وَالسَّكْبِ^(١)
فَلَمَّا انْتَهَى الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ وَأَضْ كَمَثَلِ الطَّوْدِ وَالْبَاذِخِ الصَّعْبِ
رَمَى بِسِنْمَارٍ عَلَى حُقِّ رَأْسِهِ وَذَاكَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الْخَطْبِ
قال السهيلي : أَنَشَدَهُ الْجَاهِظُ فِي كِتَابِ الْحَيَوَانِ . وَالسِّنْمَارُ مِنْ أَسْمَاءِ الْقَمَرِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذِهِ الْبُيُوتَ كُلَّهَا هَدَمَتْ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ ، جَهَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ سَرَايَا تَحْرِبُهُ ، وَإِلَى تِلْكَ الْأَصْنَامِ مَنْ كَسَرَهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِلْكُفَّةِ مَا يَضَاهِيهَا ، وَعُبِدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ فِي مَوَاضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِهِ الثَّقَةُ .

(١) الْقَرَامِدُ : حِجَارَةٌ لَهَا خُرُوقٌ تَنْضَجُ وَيَبِي بِهَا ، وَالْآجِرُ ، وَمَا طُلِيَ بِهِ كَالزَّعْفَرَانِ وَالْحِجْسِ . وَالسَّكْبُ : النِّحَاسُ أَوْ الرِّصَاصُ .

خبر عدنان جدّ عرب الحجاز ، وهو الذى ينتهى إليه

نسب النبی صلى الله عليه وسلم

لا خلاف أن عدنان من سُلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .
واختلفوا فى عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة .

فأكثر ما قبل أربعون أباً ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب
رخيا كاتب أرميا بن حلقيا . على ما سند كره .

وقيل بينهما ثلاثون . وقيل عشرون . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرة . وقيل
تسعة . وقيل سبعة .

وقيل إن أقل ما قيل فى ذلك أربعة ، لما رواه موسى بن يعقوب ، عن عبد الله بن
وهب بن زُمعة الزُمعى ، عن عمته ، عن أم سلمة ، عن النبی صلى الله عليه وسلم أنه قال
« مَعَدُّ بن عدنان ابن أدد بن زند بن اليرى بن أعراق الثرى » .

قالت أم سلمة : فزند هو الهَمَيْسَع . واليرى هو نابت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل .
لأنه ابن إبراهيم ، وإبراهيم لم تأكله النار كما أن النار لا تأكل الثرى .

قال الدارقطنى : لا نعرف زنداً إلا فى هذا الحديث ، وزند بن الجون ، وهو
أبو دلالة الشاعر .

قال الحافظ أبو القاسم الشَّهْبَلِيّ وغيره من الأئمة : مُدَّة ما بين عدنان إلى زمن
إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون ، وذلك أن مَعَدَّ
ابن عدنان كان عمره زمنَ بَحْتَنْصَر اثنتى عشرة سنة .

وقد ذكر أبو جعفر الطبرى وغيره أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى أرمياء بن

حلقياً أن اذهب إلى بُحْتَنَصَّر فَأَعْمِمْهُ أَنِي قَدْ سَلَّطْتُهُ عَلَى الْعَرَبِ . وَأَمَرَ اللَّهُ أَرْمِيَاءَ أَنْ يَحْمَلَ
مَعَهُ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ عَلَى الْبُرَاقِ كَيْ لَا تَصِيبَهُ النِّقْمَةُ فِيهِمْ ، فَإِنِّي مُسْتَخْرِجٌ مِنْ صُلْبِهِ نَبِيًّا
كَرِيمًا أَخْتَمُ بِهِ الرُّسُلَ .

فَفَعَلَ أَرْمِيَاءُ ذَلِكَ وَاحْتَمَلَ مَعَدَّا عَلَى الْبُرَاقِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، فَشَاءَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَعْدَ خَرَابِ بَيْتِ الْقُدْسِ ، وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ امْرَأَةً اسْمُهَا مَعَانَةُ بِنْتُ جَوْشَنَ مِنْ
بَنِي دَبِّ بْنِ جُرْهُمَ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى بِلَادِهِ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ أَنْ هَدَّاتِ الْفِتْنِ وَتَمَحَّضَتْ
جَزِيرَةُ الْعَرَبِ ، وَكَانَ رَخِيًّا كَاتِبَ أَرْمِيَاءَ قَدْ كَتَبَ نَسَبَهُ فِي كِتَابٍ عِنْدَهُ لِيَكُونَ فِي
خِزَانَةِ أَرْمِيَاءَ فَيَحْفَظَ نَسَبَ مَعَدَّ كَذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلِهَذَا كَرِهَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفْعَ النَّسَبِ إِلَى مَا بَعْدَ عَدْنَانَ .
قَالَ السَّهْلِيُّ : وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي رَفْعِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى ذَلِكَ وَلَمْ
يَكْرَهُهُ ، كَابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ الْبَخَّارِيِّ ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ ، وَالطَّبْرِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ .
وَأَمَّا مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَدْ سَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ يَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى آدَمَ فَكَرِهَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَيْنَ لَهُ عِلْمُ ذَلِكَ ؟ !

فَقِيلَ لَهُ : فَإِلَى إِسْمَاعِيلَ ؟ فَأُنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَقَالَ : وَمَنْ يُخْبِرُهُ بِهِ !
وَكْرِهَ أَيْضًا أَنْ يُرْفَعَ فِي نَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ ، مِثْلَ أَنْ يَقَالَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ فُلَانٍ بْنُ فُلَانٍ .
هَكَذَا ذَكَرَهُ الْمَعِيطِيُّ فِي كِتَابِهِ .

قَالَ : وَقَوْلُ مَالِكٍ هَذَا نَحْوُ مَا رَوَى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : مَا وَجَدْنَا
أَحَدًا يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ .
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَلَغَ عَدْنَانَ يَقُولُ : كَذَبَ النَّسَابُونَ . مَرَّتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثًا . وَالْأَصَحُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ .

وقال عمر بن الخطاب : إنما ننسب إلى عدنان .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في كتابه : « الأنباه في معرفة قبائل الرواة » : روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول : ما وجدنا أحدا يعرف ماوراء عدنان ولا ماوراء قحطان إلا تحرّصاً .

وقال أبو الأسود : سمعت أبا بكر سليمان بن أبي خيثمة ، وكان من أعلم قریش بأشعارهم وأنسابهم ، يقول : ما وجدنا أحداً يعرف ماوراء معدّ بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم .

قال أبو عمر : وكان قومٌ من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأزدی ومحمد بن كعب القرظی إذا تَلَوْا ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) قالوا : كَذَبَ النَّسَابُونَ .

قال أبو عمر رحمه الله : والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا ، والمراد أن من ادّعى إحصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم ، وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وَعَوْا وَحَفِظُوا جَاهِيزَهَا وَأَمَهَا قِبَائِلَهَا ، واختلفوا في بعض فروع ذلك .

قال أبو عمر : والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا : عدنان بن أدد ، ابن مُقَوِّم ، بن ناحور بن تيرح ، بن يمرُب ، بن يَشْجُب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام . وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة . قال ابن هشام : ويقال عدنان بن أدد . يعني عدنان بن أدد ، بن أدد . ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم .

وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جداً ، لا يتبارى فيها اثنان .

والنسب النبوى إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح ، وقد ورد حديث مرفوع بالنص عليه ، كما سنورده فى موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها فى سلك النسب الشريف والأصل المنيّف . إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وما أحسن ما نظم النسب النبوى الإمام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ فى قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهى قوله :

وَفُورَ حُطُوْطَى مِنْ كَرِيْمِ الْمَارِبِ	مَدَحْتُ رَسُوْلَ اللهِ اُنْبِئْ بِمَدْحِهِ
بِأَوْصَافِهِ عَنْ مُبْعَدٍ وَمُقَارِبِ	مَدَحْتُ امْرَأً فَاقَ الْمَدِيْحَ مُوَحِّدًا
فَلَا حَتَّ هَوَادِيهِ لِأَهْلِ الْمَغَارِبِ	نَبِيًّا تَسَامَى فِي الْمَشَارِقِ نُوْرُهُ
وَشَاعَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ	أَتَتْنَا بِهِ الْأَنْبَاءُ قَبْلَ حَمِيَّتِهِ
وَتَنَفَّى بِهِ رَجَمَ الظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ	وَأَصْبَحَتِ الْكُفَّانُ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ
إِلَى اللهِ فِيهِ مِنْ مَقَالِ الْأَكَاذِبِ	وَأُنْطِقَتِ الْأَصْنَامُ نُطْقًا تَبَرَّاتُ
أَتَاكُمْ نَبِيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ	وَقَالَتْ لِأَهْلِ الْكُفْرِ قَوْلًا مَبِينًا :
مَقَاعِدُهُمْ مِنْهَا رُجُومُ الْكَوَاكِبِ	وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ حِينَ فَرِيْلَتِ
لَطُولِ الْعَمَى مِنْ وَاضِحَاتِ الْمَذَاهِبِ	هَذَا نَا إِلَى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِى لَهُ
دَلَالُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ	وَجَاءَ بَأْيَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا
شُعُوبُ الضِّيَا مِنْهُ رِيَّوسُ الْأَخَاشِبِ	فَمِنْهَا انْشَقَّاقُ الْبَدْرِ حِينَ تَعَمَّمَتْ
وَقَدْ عَدِمَ الْوُرَادُ قُرْبَ الْمَشَارِبِ	وَمِنْهَا نُبُوعُ الْمَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ

فروى به جمعا غفيرا وأسهلت
 وبئر طغت بالماء من مس سهمه
 وضرع مراه فاستدر ولم يكن
 ونطق فصيح من ذراع مينة
 وإخباره بالأمر من قبل كونه
 ومن تلکم الآيات وحى أتى به
 تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع
 حوى كل علم واحتوى كل حكمة
 أتنا به لا عن روية مرثى
 يواتيه طورا فى إجابة سائل
 وإتيان برهان وفرض شرائع
 وتصريف أمثال وتثبيت حجة
 وفى مجمع النادى وفى حومة الوغى
 فيأتى على ما شئت من طرقاته
 يصدق منه البعض بعضا كأنما
 وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما
 تآبى بعبد الله أكرم والد
 وشيعة ذى الحنود الذى فخرت به
 ومن كان يستسقى النمام بوجهه
 وهاشم البانى مشيد افتخاره
 وعبد مناف وهو علم قومه اش

بأعناق طوعا أكف المذائب
 ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب
 به درة تضى إلى كف حالب
 لكيد عدو للعداوة ناصب
 وعند بواديه بما فى العواقب
 قريب الماتى مستحجم العجائب
 بليغا ولم يحظر على قلب خاطب
 وفات مرام المستمر الموارب
 ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب
 وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب
 وقص أحاديث ونص مارب
 وتعريف ذى جحد وتوقيف كاذب
 وعند حدوث المضلات الغرائب
 قويم المعانى مستدر الضرائب
 يلاحظ معناه بعين المراقب
 وصفناه معلوم بطول التجارب
 تبليج منه عن كريم المناسب
 قريش على أهل العلاء والمناصب
 ويصدر عن آرائه فى النوائب
 بغر المساعي وامتنان المواهب
 تطاط الأمانى واحتكام الرغائب

وإن قُصِيًّا مِنْ كَرِيمٍ غَرَّاسِهِ
 بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ بَعْدَمَا
 وَحَلَ كِلَابٌ مِنْ ذُرَى الْمَجْدِ مَعْقِلًا
 وَمُرَّةٌ لَمْ يَحْلُلْ مَرِيرَةً عَزَزْهُ
 وَكَبَّ عَلَا عَنْ طَالِبِ الْمَجْدِ كَعْبُهُ
 وَأَلْوَى لُؤَى بِالْعِدَاةِ فَطُوَعَتْ
 وَفِي غَالِبٍ بَأْسٌ أَبِي الْبَأْسِ دُونَهُمْ
 وَكَانَتْ لِفَهْرٍ فِي قَرِشٍ خَطَابَةٌ
 وَمَا زَالَ مِنْهُمْ مَالِكٌ خَيْرَ مَالِكٍ
 وَلِلنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْدَى كِنَانَةً قَبْلَهُ
 وَمِنْ قَبْلِهِ أَبْقَى خُزَيْمَةً حَمْدَهُ
 وَمُدْرِكَةً لَمْ يُدْرِكْ النَّاسُ مِثْلَهُ
 وَإِلْيَاسُ كَانَ الْيَأْسُ مِنْهُ مُقَارِنًا
 وَفِي مُضَرٍّ يَسْتَجْمِعُ الْفَخْرُ كُلَّهُ
 وَحَلَّ نَزَارٌ مِنْ رِيَاةِ أَهْلِهِ
 وَكَانَ مَعْدًى عُدَّةً لَوْلِيَّةٍ
 وَمَا زَالَ عَدُوُّنُهُ إِذَا عُدَّ فَضْلُهُ
 وَأُدُّ تَأَدَّى الْفَضْلُ مِنْهُ بِغَايَةٍ

لَفِي مَنَهْلٍ لَمْ يَدْنُ مِنْ كَفِّ قَاضِبٍ^(١)
 تَقَسَّمَهَا نَهْبُ الْأَكْفِ السَّوَالِبِ
 تَقَاصَرَ عَنْهُ كُلُّ دَانٍ وَغَائِبِ
 سِفَاهُ سَفِيهِهِ أَوْ مُحُوبَةٍ حَائِبِ^(٢)
 فَنَالَ بِأَدْنَى السَّعَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
 لَهُ هِمُّ الشَّمِّ الْأُنُوفِ الْأَغَالِبِ
 يُدَافِعُ عَنْهُمْ كُلَّ قَرْنٍ مُغَالِبِ
 يَعُودُ بِهَا عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمُخَاطِبِ
 وَأَكْرَمَ مَصْحُوبٍ وَأَكْرَمَ صَاحِبِ
 بَحِثِ التَّقَى ضَوْءَ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ
 مُحَاسِنَ تَأْتِي أَنْ تَطُوعَ لِغَالِبِ
 تَلِيدَ تَرَاثٍ عَنْ حَمِيدِ الْأَقَارِبِ
 أَعْفَى وَأَعْلَى عَنْ دَنِيِّ الْمَكَاسِبِ
 لِأَعْدَائِهِ قَبْلَ اعْتِدَادِ الْكَتَائِبِ
 إِذَا اعْتَرَكْتَ يَوْمًا زُحُوفَ الْمَقَانِبِ^(٣)
 مُحَلًّا تَسَامَى عَنْ عَيُونِ الرُّوَاqِبِ
 إِذَا خَافَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الْمُحَارِبِ
 تَوَحَّدَ فِيهِ عَنْ قَرْنٍ وَصَاحِبِ
 وَإِثْرٍ حَوَاهِ عَنْ قُرُومِ أَشَابِ

(١) القاضب : الغارس . (٢) الحائب : الآثم . (٣) المقانِب : جمع المقناب ، الطائفة من الحيل ما بين الثلاثين إلى أربعين .

وفي أُددٍ حِلْمٌ تَزِينُ بِالْحِجَابِ
 وما زال يَسْتَعْلِي هَمِيسُ الْعَلَا
 وَنَبَتْ بَنَتْهُ دَوْحَةُ الْعِزِّ وَابْتَنَى
 وَحِيزَتْ لَقَيْدَارٍ سَمَاحَةُ حَاتِمِ
 هُمُ نَسْلُ إِسْمَاعِيلَ صَادِقُ وَعْدِهِ
 وكان خَلِيلُ اللَّهِ أَكْرَمَ مَنْ عَنَتُ
 وَتَارُحُ مَا زَالَتْ لَهُ أَرْجِيَّةُ
 وَنَاحُورُ نَحَّارِ الْعِدَى حُفِظَتْ لَهُ
 وَأَشْرَعُ فِي الْمِجَاءِ ضَيْغَمُ غَابَةِ
 وَأَرْغُو نَابُ فِي الْحُرُوبِ مُحْكَمُ
 وَمَا فَالَغُ فِي فَضْلِهِ تَلَوُّ قَوْمِهِ
 وَشَاخُ وَارِثُ خَشْدٍ وَسَائِمُ سَمَتِ بِهِمْ
 وما زال نُوحٌ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ فَاضِلًا
 وَلَمَّا أَبَوْهُ كَانَ فِي الرَّوْعِ رَائِعًا
 وَمَنْ قَبْلَ لَمَّا لَمْ يَزَلْ مَثُوشَلِخُ
 وَكَانَتْ لِإِدْرِيسَ النَّبِيِّ مَنَازِلُ
 وَبَارِدُ بَحْرٍ عِنْدَ آلِ سَرَاتِهِ
 وَكَانَتْ لِمُهْلَايِيلَ فَهْمُ فَضَائِلِ
 وَقَيْنَانُ مِنْ قَبْلِ اقْتَنَى مَجْدَ قَوْمِهِ
 وَكَانَ أَنْوَشُ نَاشَ لِلْمَجْدِ نَفْسَهُ

إِذَا الْحِلْمُ أَزْهَاهُ قُطُوبُ الْحَوَاجِبِ
 وَيَنْبَعُ أَمَالُ الْبَيْعِدِ الْمُرَاغِبِ
 مَعَاقِلُهُ فِي مُشْمَخِرِ الْأَهَاضِبِ
 وَحِكْمَةُ لَقْمَانٍ وَهَمَّةُ حَاجِبِ
 فَمَا بَعْدَهُ فِي الْفَخْرِ مَسْعَى لِذَاهِبِ
 لَهُ الْأَرْضُ مِنْ مَاشٍ عَلَيْهَا وَرَاكِبِ
 تُبَيِّنُ مِنْهُ عَنْ حِمِيدِ الْمَضَارِبِ
 مَا تَرَوْهُ لَمَّا يُحْصِيهَا عَدُّ حَاسِبِ
 يَقْدُ الطَّلَا^(١) بِالْمُرْهَفَاتِ الْقَوَاضِبِ
 ضَيْنٌ عَلَى نَفْسِ الشَّحِّ الْمَغَالِبِ
 وَلَا عَابِرٌ مِنْ دُونِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ
 سَجَايَا حَمَتِهِمْ كُلِّ زَارٍ وَعَائِبِ
 يُعَدُّهُ فِي الْمُصْطَفِينَ الْأَطْيَابِ
 جَرِيثًا عَلَى نَفْسِ الْكَمِيِّ الْمَضَارِبِ
 يَذُودُ الْعِدَى بِالذَّائِدَاتِ الشَّوَابِ^(٢)
 مِنْ اللَّهِ لَمْ تُقَرَّنْ بِهِمَّةٌ رَاغِبِ
 أَيُّ الْخِزَايَا مُسْتَدِقُ الْمَارِبِ
 مَهْذَبَةٌ مِنْ فَاحِشَاتِ الْمَثَالِبِ
 وَفَادُ بِشَاوِ الْفَضْلِ وَخَدُ الرَّاكِبِ
 وَنَزَّهَهَا عَنْ مُرْدِيَاتِ الْمَطَالِبِ

(٢) الشَّوَابُ : الخشنه .

(١) الطَّلَا : الشخص .

وما زال شيثاً بالفضائل فاضلاً شريفاً بريئاً من ذم المعائب
 وكلهم من نور آدم أقبسوا وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
 وكان رسول الله أكرم منجب جركى في ظهور الطييين المناجب
 مقابلة أباه أمهاته مبرة من فاضحات المثالب
 عليه سلام الله في كل شارق ألاح لنا ضوءاً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه ، من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعروف بابن شرشير .
 أصله من الأبنار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان متكلماً معتزلياً ، يحكى عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه « المقالات » فيما يحكى عن المعتزلة .

وكان شاعراً مطبقاً حتى أن من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء في المعاني ، فينظم في مخالفتهم ويتكرر مالا يطبقونه من المعاني البديعة والألفاظ البليغة ، حتى نسب به بعضهم إلى التهوس والاختلاط .

وذكر الخطيب البغدادي أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم ، وأرخ وفاته كما ذكرنا .

قلت : وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبراعته وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاعه ، واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وغوصه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة ، قاموس بحره . فرحمه الله وأثابه وأحسن مصيره وإيابه .

ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان مَعْدٌ وَعَكٌّ .

قال السهيلي : ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث ، وآخر يقال له المذهب . قال : وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك . وقيل إن الضحاك ابن لمعدٍ لا ابن عدنان . قال : وقيل إن عدنان الذي تعرف به مدينة عدن ، وكذلك أبين ، كانا ابني لعدنان . حكاه الطبري . فتزوج عَكٌّ في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن ، فصارت لغتهم واحدة ، فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم ، فيقولون : عَكٌّ بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث . ويقال : عَكٌّ بن عدنان بن الذيب بن عبد الله بن الأسد . ويقال : الريث بدل الذيب . والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان . قال عباس بن مرداس :

وَعَكٌّ بن عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَعَّبُوا بَغَسَّانَ حَتَّى طَرَّدُوا كُلَّ مَطْرَدٍ
وَأَمَّا مَعْدٌ فَوُلْدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ : نَزَارٌ وَقَضَاعَةٌ وَقَنْصٌ وَإِيَادٌ . وَكَانَ قُضَاعَةٌ بِكْرَهُ وَبِهِ
كَانَ يُكْنَى . وَقَدْ قَدِمْنَا اخْتِلَافَ فِي قُضَاعَةٍ ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ
وغيره . والله أعلم .

وَأَمَّا قَنْصٌ : فَيُقَالُ إِنَّهُمْ هَلَكُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَقِيَّةٌ ، إِلَّا أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ الَّذِي كَانَ
نَائِبًا لِكُسْرَى عَلَى الْحِيرَةِ كَانَ مِنْ سُلَالَتِهِ ، عَلَى قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ
مِنْ حَمِيرٍ ، كَمَا تَقْدِمُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَمَّا نَزَارٌ فَوُلْدُ لَهُ رَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَأَنْمَارٌ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَإِيَادُ بْنُ نَزَارٍ ، كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

وَفُتُو^(١) حَسَنٌ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ

قال : وإياد ومضر شقيقان ، أمهما سَوْدَةُ بنت عَكَّ بن عدنان . وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عَكَّ بن عدنان . ويقال جُمُعَةُ بنت عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : فأما أنمار فهو والد خَثْعَمَ وَبَحِيلَةَ^(٢) ، قبيلة جرير ابن عبد الله البَجَلِي . قال : وقد تيامنت فاحقت باليمن .

قال ابن هشام : وأهل اليمن يقولون أنمار بن إراش بن لِحْيَانِ بن عمرو بن الفَوَثِ ابن نَبْتِ بن مالك بن زيد بن كَهْلَانَ بن سبأ .

قلت : والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا . والله أعلم .
قالوا : وكان مُضَرُّ أَوَّلَ مَنْ حَدَا ، وذلك لأنه كان حَسَنَ الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده ، فجعل يقول وَايْدَيَاهُ وَايْدَيَاهُ فَأَعْنَقَتِ الْإِبِلُ لذلك .

قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رَجُلَيْنِ : أَلْيَاسَ^(٣) وَعَيْلَانَ .

وولد لآلياس مُدْرِكَةُ وطابخة وقَمَمَةُ ، وأمهم خِنْدَفُ بنت عمران بن الحاف ابن قضاة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، ولكن اصطادا صيداً ، فبينما يطبخانه إذ نفرت الإبل ، فذهب عامر في طلبها حتى أدركها ، وجلس الآخر يطبخ ، فلما راحا على أبيهما ذكر الاله ذلك فقال لعامر : أنت مُدْرِكَةُ . وقال لعمرو : أنت

(١) فتو : جمع فتى . (٢) لا يراعى ابن كثير الحرفية في نقله عن ابن هشام في مواضع كثيرة بل ينقل بالمعنى . فثلاث نصوص كلام ابن إسحاق هنا : فأمار أبو خثعم وبحيلة . وغالب نقل ابن كثير عن ابن إسحاق وابن هشام ليس بالنص .

(٣) قال ابن دريد : يمكن أن يكون اشتقاق إلیاس من قولهم يئس يئس يأساً ثم أدخلوا على اليأس الألف واللام . ويمكن أن يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس ، أى شجاع ، وهو غاية ما يوصف به الشجاع ؛ هذا لمن يهزم إلیاس . والتفسير الأول أحب إلى . الاشتقاق ٣٠

طابخة . قال : وأما قمعة فيزعم نُسَاب مُضَر أَن خِزَاعَةَ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ كَلْحٍ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ الْيَاسِ .

قالت : والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حَمِير كما تقدم . والله أعلم .
قال ابن إسحاق : فَوَلَدَ مُدْرِكَةُ خَزِيمَةَ وَهَذِيلًا وَأُمَهُمَا امْرَأَةٌ مِنْ قُضَاعَةَ .
وَوَلَدَ خَزِيمَةُ كِنَانَةَ وَأَسَدًا وَأَسَدَةَ وَالْهُونَ .

قال : وَوَلَدَ كِنَانَةُ النَّضْرَ وَمَالِكَ وَعَبْدَ مَنَاةَ وَمِلْكَانَ وَزَادَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِي فِي أَبْنَاءِ كِنَانَةَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ : عَامِرًا وَالْحَارِثَ وَالنَّضِيرَ . وَغَنَمًا وَسَعْدًا وَعَوْفًا وَجُرُولًا وَالْجُرَالَ وَغَزْوَانَ .

الكلام على قريش نسبا واشتقاقا وفضلا ، وهم بنو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ

قال ابن إسحاق : وَأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بِنْتُ مَرْبَ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ [بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ] ^(١) وَسَائِرُ بَنِيهِ لَامْرَأَةٍ أُخْرَى . وَخَالَفَهُ ابْنُ هِشَامٍ فَجَعَلَ بَرَّةَ بِنْتَ مَرْبَ أُمَّ النَّضْرِ وَمَالِكٍ وَمِلْكَانَ . وَأُمُّ عَبْدِ مَنَاةَ هَالَةُ بِنْتُ سُوَيْدِ بْنِ الْفَطْرِيفِ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ .

قال ابن هشام : النَّضْرُ هُوَ قَرِيشٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَالْيَسْ قُرَشِيٌّ . قَالَ : وَيُقَالُ فَهْرُ بْنُ مَالِكٍ هُوَ قَرِيشٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَالْيَسْ قُرَشِيٌّ .

وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَمُضَعَبٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ .

قال أبو عبيد وابن عبد البر : والذي عليه الأكثرون أنه النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ ، لحديث

الأشعث^(١) بن قيس . قلت : وهو الذى نصَّ عليه هشامُ بن محمد بن السائب الكَلْبِي وأبو عبيدة مَعْمَرُ بن الْمُثَنَّى ، وهو جادَّة مذهب الشافعى رضى الله عنه .

ثم اختار أبو مَعْمَرُ أَنه فِهْرُ بن مالك ، واحتج بأنه ليس أحد اليومِ مِمَّن ينتسب إلى قريش إلا وهو يرجع فى نسبه إلى فِهْرُ بن مالك . ثم حكى اختيارَ هذا القول عن الزُّبَيْرِ ابن بَكَّارٍ ومُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ وعلى بن كيسان . قال : وإليهم المرجع فى هذا الشأن ، وقد قال الزبير بن بكار : وقد أجمع نساب قريش وغيرهم أن قريشاً إنما تفرقت من فِهْرُ بن مالك . والذى عليه من أدركتُ من نُسَابِ قريش أنَّ وَلَدَ فِهْرُ بن مالك قُرَشِيٌّ ، وأنَّ من جاوز فِهْرُ بن مالك بنسبه فليس من قريش . ثم نصَّر هذا القول نصراً عزيزاً وتحامى له بأنه ونحوه أعلمُ بأنساب قومهم وأحفظ لما تروهم .

وقد روى البخارى من حديث كليب بن وائل قال : قلت لربيبة النبي صلى الله عليه وسلم ، يعنى زينب ، [بنت أبى سلمة]^(٢) ، فى حديث ذكره : أخبرينى عن النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مُضَرٍّ ؟ قالت : فمَن كان إلا من مُضَرٍّ من بنى النضر بن كنانة^(٣) .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا الحسن بن صالح ، عن أبيه ، عن الجشيش الكِنْدِي قال : جاء قوم من كِنْدَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أنت منا . وادَّعَوْه ، فقال : « لا ، نحن بنو النضر ابن كنانة لا تَقْفُوا^(٤) أُمَّنا ولا نَنْتَفِي مِنَّا » .

وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد : حدثنا أبى ، حدثنا الكَلْبِي ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال : جاء رجل من كِنْدَةَ يقال له الجشيش إلى النبي صلى الله

(١) المطبوعة : الأسعد . وهو خطأ . (٢) من البخارى . (٣) البخارى ١٣٢/٢ .

(٤) لا تَقْفُوا أُمَّنا : لا تهتمها ولا تقذفها ، يقال قفا فلان فلانا إذا قذفه بما ليس فيه ، وقيل معناه لا تترك النسب إلى الآباء وتنسب إلى الأمهات . النهاية ٣٠٣/٢ .

عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا نزعم أن عبد مناف مِنّا . فأعرض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك ثم أعرض عنه . ثم عاد فقال مثل ذلك .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتمي من أيّنا » .

فقال الأشعث : ألا كنت سكت من المرة الأولى !

فأبطل ذلك قولهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا غريب أيضا من هذا الوجه ، والكلبي ضعيف . والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان ، قالوا حدثنا حماد بن سلمة ، قال حدثني

عقيل بن أبي طلحة . وقال عفان : عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن الهيصم ، عن

الأشعث بن قيس أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة ، قال

عفان : لا يروني أفضلهم . قال فقلت : يا رسول الله إنا نزعم أنكم منا . قال فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتمي

من أيّنا » .

قال فقال الأشعث بن قيس : فوالله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلا

جلدته الحدّ .

وهكذا رواه ابن ماجة من طرق عن حماد ابن سلمة به .

وهذا إسناد جيد قوى ، وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه .

والله أعلم . والله الحمد والمنة .

وقد قال جرير بن عطية التيمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التي ولدت قريشاً بمُقرِّفة النّجّار^(١) ولا عقيم

(١) المقرّفة : التي تأتي بما يشين النسب .

وما قرّمٌ بأَنْجَبَ من أيّكم ولا خالٌ بأَكْرَمَ من تميم
قال ابن هشام : يعنى أمّ النضر بن كنانة ، وهى برّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر .

وأما اشتقاق قُرَيْشٍ فقيل من التَّقْرِش وهو التجمع بعد التفرق ، وذلك فى زمن
قُصَى بن كلاب ، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرّم ، كما سيأتى بيانه . وقد قال حذافة
ابن غانم العدوى :

أبو كم قُصَى كان يدعى مُجمَعاً به جَمَعَ الله القبائلَ مِنْ فِهْرٍ
وقال بعضهم : كان قصى يقال له قرّيش . قيل : من التجمع ، والتقرّش التجمع
كما قال أبو خلدة الشكّرى :

إخوة قرّشوا الذنوب علينا فى حديثٍ من دهرنا^(١) وقديم

وقيل : سميت قرّيش من التقرّش ، وهو التكسّب والتجارة . حكاها ابن هشام
رحمه الله .

وقال الجوهري : القَرَشُ : الكسب والجمع ، وقد قرّش يقرّش . قال الفراء : وبه
سميت قرّيش ، وهى قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة ، فكلُّ مَنْ كان من ولده فهو قرّشى
دون ولد كنانة فما فوقه .

وقيل : من التفتيش ، قال هشام بن الكلبي : كان النضر بن كنانة يُسمى قرّيشاً
لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدّها بماله ، والتقرّش هو التفتيش ،
وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيزفدونهم بما يُبلغهم بلادهم . فسموا بذلك
مِنْ فعلهم وقرّشهم قرّيشاً .

(١) ابن هشام : من عمرنا .

وقد قال الحارث بن حلزة في بيان أن القرش التفتيش :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل له إبقاء
حكى ذلك الزبير بن بكار .

وقيل : قرش تصغير قرش وهو دابة في البحر . قال بعض الشعراء :
وقريش هي التي تسكن البحار ر بها سُميت قريش قريشاً

قال البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني ، حدثنا
محمد بن الحسن بن الخليل النسوي ، أن أبا كريب حدثهم ، حدثنا وكيع ابن الجراح ،
عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أبي ركانة العامري ، أن معاوية قال لابن عباس :
فلم سميت قريش قريشاً ؟ فقال : لدابة تكون في البحر ، تكون أعظم دوابه يقال لها
القرش ، لا تمر بشيء من الفث والسمين إلا أكلته . قال : فأنشدني في ذلك شيئاً . فأنشده
شعر الجحى إذ يقول :

وقريش هي التي تسكن البحار ر بها سُميت قريش قريشاً
تأكل الفث والسمين ولا تتركن لدى الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حتى قريش يأكلون البلاد أكل كميثاً^(١)
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والمحوشا^(٢)

وقيل سموا بقريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وكان دليل بني النضر
وصاحب ميرتهم ، فكانت العرب تسمونه . قد جاءت غير قريش . قالوا : وابنه^(٣) بدر بن
قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها الواقعة العظمى يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان والله أعلم .

(١) الكيش : التديد . (٢) هذا البيت غير صادق وعليه مسحة الوضع ، ومن الواضح أن قريشاً
لم تفقد في قتالها للبي إلا عدداً قليلاً ، في بدر وأحد والخندق ، وفي فتح مكة . فالظنون أن القافية هي التي حكمت
على واضح هذا البيت بأن يهذى بهذا الكلام . (٣) المطبوعة : وابن

ويقال في النسبة إلى قریش : قُرَشِي وقُرَيْشِي . قال الجوهري : وهو القياس .
قال الشاعر .

لِكُلِّ قُرَيْشِيٍّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ سَرِيعٌ إِلَى دَاعِي النَّدَى وَالتَّكْرُمِ
قال : فإذا أردتَ بقریش الحَيَّ صَرَفْتَهُ ، وإن أردتَ القبيلةَ مَنَعْتَهُ . قال الشاعر
في ترك الصَّرَفِ :

* وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا *

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي عمر والأوزاعي قال : حدثني شداد
أبو عمار ، حدثني واثلة بن الأسقع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ،
واصطفاني من بني هاشم » .

قال أبو عمر بن عبد البر : يقال : بنو عبد المطلب فصيحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وبنو هاشم نخذه ، وبنو عبد مناف بطئنه ، وقريش عمارته ، وبنو كنانة قبيلته ،
ومُضَرَّ شُعْبَةٍ ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

ثم قال ابن إسحاق : فولد النَّضْرُ بن كنانة مالكا ويخلدًا . قال ابن هشام : والصلت .
وأُمُّهم جميعا بنتُ سعد بن الظَّرَبِ العدواني .
قال كثير بن عبد الرحمن ، وهو كثير عزة أحد بني مُلَيْح بن عمرو
من خزاعة :

أليس أبي بالصلت أم ليس لإخوتي لكل هيجان من بني النَّضْرِ أَزْهَرَا
رأيت ثياب العصب مختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخصراً

فإن لم تكونوا من بني النَّضْرِ فاتركوا أَرَاكًا بأذنان الفَوَاحِجِ^(١) أَخْضَرَا
قال ابن هشام : وبنو مایح بن عمرو يُعَزَّوْنَ إلى الصَّلَتِ بن النَّضْرِ .

قال ابن إسحاق : فولد مالکُ بنُ النَّضْرِ فِهْرَ بن مالک . وأمه جندلة بنت الحارث
ابن مُضَاضٍ الأصغر . وولد فِهْرٌ غالباً ومحارباً والحارثَ وأسدًا . وأُمهم ليلى بنت
سعد بن هذيل بن مُدْرِكَةَ .

قال ابن هشام : وأختهم لأبيهم جندلة بنت فِهْر .

قال ابن إسحاق : فولد غالبُ بن فِهْرٍ لُؤَيَّ بن غالب ، وتيمَ بن غالب ، وهم الذين
يقال لهم بنو الأَدْرَمِ . وأُمهما سَلْمَى بنت عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخَزَاعِي ،
وهي أم لُؤَيٍّ [وتيم ابن غالب^(٢)]

قال ابن إسحاق : فولد لُؤَيُّ بن غالب أربعة نفر : كعباً وعامراً وسامةً وعَوْفًا . قال
ابن هشام : ويقال والحارث . وهم جشم بن الحارث في هِزَّانَ من ربيعة . وسعد بن لُؤَيٍّ
وهم بُنَّانَةُ في شيبان بن ثعلبة . وبُنَّانَةُ حاضنة لهم . وخزيمَةُ بن لُؤَيٍّ وهم عائذة في
شيبان بن ثعلبة .

* * *

ثم ذكر ابن إسحاق خبر سامة بن لُؤَيٍّ ، وأنه خرج إلى عُمان فسكان بها ،
وذلك لشئان كان بينه وبين أخيه عامر ، فأخافه عامر ، فخرج عنه هارباً إلى عمان ،
وأنه مات بها غريباً ، وذلك أنه كان يَرَعَى ناقته فعالت حية بمشفرها فوقعت لشيئها ،

(١) الفَوَاحِجُ : متسع ما بين كلا مرتفعين من غلاف أو رمل واحدها فائجة .

(٢) عن ابن هشام .

ثم نهشت الحية سامة حتى قتلتها ، فيقال إنه كتب بإصبعه على الأرض :
 عَيْنُ فابكي لسامة بن لُؤَيٍّ عَلِقَتْ ما بسامة^(١) العَلَّاقَةُ
 لا أرى مثْلَ سامة بن لُؤَيٍّ يومَ حلُّوا به قتيلاً لِنَاقَةٍ
 بَلَّغَا عامراً وكعباً رسولاً أنْ نفسى إليهما مُشْتَاقَةٌ
 إن تكن في عُمان داري فإني غالبى خرجت من غير فاقه^(٢)
 رَبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَةٌ
 رُمْتُ دَفْعَ الخُوفِ يا ابنَ لُؤَيٍّ ما مِنْ رَامٍ ذاك بِالْخُفِّ طاقَةٌ
 وخروِسِ السَّرى^(٣) تركت رزياً بَعْدَ جِدِّ وَحِدَّةٍ وَرَشَاقَةٍ

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لُؤَيٍّ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألساعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رَبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقَةٌ
 فقال أجل . وذكر السهيلي عن بعضهم أنه لم يُعَقَّبْ . وقال الزبير : ولد سامةُ بن لُؤَيٍّ غالباً والنبيت والحارث . قالوا : وكانت له ذرية بالعراق يبغيضون علياً ، ومنهم على بن الجعد ، كان يشتم أباه لكونه سماه عليا . ومن بنى سامة بن لؤى محمد بن عرعة ابن اليزيد شيخ البخارى .

* * *

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لُؤَيٍّ فإنه خرج ، فيما يزعمون ، فى رَكْبٍ من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيَْلان أبطىء به فانطلق

(١) فى الأغاني : علقت ساق سامة العَلَّاقَةُ .

(٢) ابن هشام : من غير نلقة . وما هنا أوضح . (٣) خروِس السرى : صامته صابرة .

من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بنى ذُبْيَان فحبسه وزوّجه والتاطه^(١) وآخاه ، فشاع نسبه في ذُبْيَان .

وثعلبةُ فيما يزعمون [الذى يقول لعوف حين أبطى به فتركه قومه :

احبسْ على ابنِ لؤىِ جَمَلَكْ تَرَكَكَ القومُ ولا مَتَرَكَ لَكَ]^(٢)

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن ، أن عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعياً حياً من العرب أو ملحقهم بنا لا دعيت بنى مُرّة بن عوف ، إنا لنعرف منهم^(٣) الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وَقَعَ . يعنى عوف بن لؤى .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال [منهم^(٤)] من بنى مُرّة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافاً في غطفان ، هم ساداتهم وقادتهم ، قومٌ لهم صيت في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم . قال وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسبهم : ما ننكره وما نتجده ، وإنه لأحبُّ النَّسَبِ إلينا . ثم ذكر أشعارهم في انتمائهم إلى لؤى .

قال ابن إسحاق : وفيهم كان البَسْلُ ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضاً .

قلت : وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة ، وهى ذو القعدة وذو الحجة ، والحرم ، واختلفت ربيعة ومُضَرُّ في الرابع وهو رجب ، فقالت : مُضَرُّ : هو

(١) التاطه : ألصقه به . (٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ابن هشام : فيهم .

(٤) ليست في ابن هشام

الذى بين جمادى وشعبان . وقالت ربيعة : هو الذى بين شعبان وشوال .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُمٌ ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مُضر الذى بين جمادى وشعبان » فنص على ترجيح قول مضر لاربعة . وقد قال الله عز وجل « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » (١) فهذا ردُّ على بنى عوف بن لؤى فى جعلهم الأشهر الحرم ثمانية ؛ فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه .

وقوله فى الحديث : « ثلاث متواليات » ردُّ على أهل النسيء الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر . وقوله فيه : « ورجب مُضر » ردُّ على ربيعة .

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة ، مرة ، وعدينا ، وهضيصة . وولد مرة ، ثلاثة أيضا : كلاب بن مرة ، وتيم بن مرة ، ويقظة بن مرة ، من أمهات ثلاث .

قال : وولد كلاب رجلين : قصى بن كلاب وزهرة بن كلاب ، وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجدرية من جفثمة الأسد من اليمن حلفاء بنى الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وفى أيها يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصا واحداً من علمناه كسعد بن سيل

فارساً أَضْبَطَ فِيهِ عُسْرَةً^(١) وإذا ماواقف القِرْنِ نَزَلَ

فارساً يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كما اسـ تدرج الحُرُّ القَطَايُ الْحَجَلُ^(٢)

قال السهيلي : سَيَّلَ اسمه خَيْرُ بن جمالة وهو أول من طليت له السيوف بالذهب والفضة .

قال ابن إسحاق : وإنما سُمُوا الجَدَرَةَ لأن عامر بن عمرو بن خزيمه بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مُضَاضِ الجُرْهمي ، وكانت جرهم إذ ذاك وُلاة البيت ، فَبَنَى للكعبة جداراً ، فسمي عامرٌ بذلك الجادرَ فقليل لولده الجَدَرَةَ لذلك .

خَبَرُ قُصَيِّ بنِ كِلَاب ، وما كان من أمره في ارتجاعه ولالية البيت إلى قريش ، وانتزاعه ذلك من خزاعة ، واجتماع قريش إلى الحرم الذي جعله الله أمناً للعباد ، بعد تفرقها في البلاد وتمزقها في الجبال والمهاد

وذلك أنه لما مات أبوه كِلَاب تزوج أمّه ربيعة بن حَرَام من عُدْرَةَ ، وخرج بها وبه إلى بلاده ، ثم قَدِمَ قُصَيٌّ مَكَّةَ وهو شاب ، فتزوج حُبَيَّ ابنة رئيس خزاعة حُلَيْل ابن حُبْشِيَّة .

فأما خزاعة فتزعم أن حُلَيْلاً أَوْصَى إلى قُصَيِّ بولاية البيت لِمَا رأى من كثرة نَسْله من ابنته ، وقال أنت أحق بذلك مني . قال ابن إسحاق : ولم نَسْمَعْ ذلك إلا منهم ، وأما غيرهم فإنهم يزعمون أنه استغاث بإخوته من أمه وكان رئيسهم رِزَاحُ بن ربيعة وإخوته ، وبني كنانة وقُضَاعَة وَمَنْ حَوْلَ مَكَّة من قريش وغيرهم ، فأجلاهم عن البيت واستقلَّ هو بولاية البيت .

(١) الأَضْبَطُ : الأعسر اليسر الذي يعمل بكنتا يديه . (٢) الحرُّ القَطَايُ : الصقر . والحجل جمع حجلة وهي القبجة .

لأن إجازة الحجاج كانت إلى صُوفَة ، وهم بنو الغوث بن مُرّ بن أَدّ بن طابخة بن ألياس بن مُضَر ، فكان الناس لا يرمون الجَمَارَ حتى يرموا ، ولا يَنْفِرُونَ مِنْ مِثْنَى حَتَّى يَنْفِرُوا ، فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا .

فَوَرِثَهُمْ ذَلِكَ بِالْقَعْدُ^(١) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، فكان أولهم صفوان بن الحارث بن شِجْنَةَ بن عَطَّارْد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام ، وهو كَرِب بن صفوان .

وكانت الإجازة من المزدلفة في عَدْوَان ، حتى قام الإسلام على آخرهم وهو أبو سَيَّارَة عميلة بن الأعزل ، وقيل اسمه العاص واسم الأعزل خالد ، وكان يميز بالناس على أتان له عوراء ، مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة ، وهو أول من جعل الدية مائة ، وأول من كان يقول : أشرق تَبِيرٌ كَيْمًا نَغِير . حكاه السهيلي .

وكان عامر بن الظَّرَبِ العَدَوَانِي لا يكون بين العرب نائرةٌ إِلَّا تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ فيرضون بما يَقْضِي به . فتحاكَمُوا إليه مرة في ميراث خنثى ، فبات ليلته ساهراً يَتَرَوَّى ماذا يحكم به ، فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سُخَيْلَة ، فقالت له : مالك لا أبالك الليلة ساهراً ؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه ، وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء فقالت : أَتُبِعُ الْقَضَاءَ الْمَبَال . فقال : فَرَجَّتْهَا وَاللَّهِ يَا سُخَيْلَة . وَحَكَمَ بِذَلِكَ .

قال السهيلي : وهذا الحكم من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشرع ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾^(٢) حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) . وفي الحديث : « أَنْظِرُوهَا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَوْرَقٌ جَعَدَا جَمَالِيَا فَهُوَ لِلَّذِي رُمِيَ بِهِ » .

(١) القعد : قرب النسب . (٢) سورة يوسف ١٨ (٣) سورة يوسف ٢٦ ، ٢٧

قال ابن إسحاق : وكان النسيء في بني فُقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

قال ابن إسحاق : وكان أول من نَسأَ المشهور على العرب القامس ، وهو خذيفة ابن عبد بن فُقيم ابن عدي ، ثم قام بعده ابنه عبَّاد ثم قلَع بن عباد ، ثم أمية بن قلع ، ثم عوف بن أمية ، ثم كان آخرهم أبو ثمامة جُنادة بن عوف بن قلَع بن عباد بن خذيفة ، وهو القامس ، فعلى أبي ثمامة قام الإسلام .

وكانت العرب إذا فرغت من حجِّها اجتمعت إليه فخطبهم فحرَّم الأشهرَ الحُرَّم فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئاً أحلَّ الحُرَّم وجعل مكانه صَفْراً ، ليواطئوا عدَّةَ ما حرَّم الله فيقول : اللهم إني أحلت أحَدَ الصَّغَرَيْنِ الصَّغَرِ الأولِ وأنسأت الآخرَ للعام المقبل . فتنبَّعه العرب في ذلك ، ففي ذلك يقول عُمر بن قيس أحد بني فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة ويعرف عمر بن قيس هذا بجَذَلِ الطَّعَان :

لقد عَلِمْتَ مَعْدٌ أَنْ قَوْمِي كرامُ الناسِ إِنَّ لَهمْ كِرَاماً
فَأَيُّ الناسِ فَاتُونَا بَوْتِرٍ وأَيُّ الناسِ لَمْ تُعَلِّكِ الْجَامَا
أَلَسْنَا النَّاسِثِينَ عَلَى مَعْدٍ مشهورِ الحِلِّ تَجْعَلُهَا حَرَاماً ؟

وكان قُصَيٌّ في قومه سيِّداً رئيساً مطاعاً معظماً ، والمقصود أنه جَمَعَ قريشاً من متفرِّقات مواضعهم من جزيرة العرب ، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خُزاعة وإجلالهم عن البيت وتسليمه إلى قُصَيٍّ ، فكان بينهم قتال كثير ودماء غزيرة ، ثم تداعوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يَعْمُرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فحكم بأن قُصَيًّا أَوْلَى بالبيت من خُزاعة ، وأن كلَّ دم أصابه قُصَيٌّ من خُزاعة وبني بكر موضوع يَشْدُخُه تحت قدميه ، وأن ما أصابته خُزاعة

و بنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤدّاة ، وأن يحلّي بين قصيّ وبين مكة والكعبة . فسميَ يَعْمُرُ يومئذ الشّدّاخ .

قال ابن إسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه أقرّ العرب على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره ، فأقرّ آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله .

قال : فكان قصيّ أول بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرّفاة والندوة واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة .

قلت : فرجع الحق إلى نصابه ، وردّ شارد العدل بعد إيابه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والأوطار ، وتسلمت بيتهم العتيق القديم ، لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونصبها إياها حول الكعبة ، ونحرم لها وتضرعهم عندها ، واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها .

وأنزل قصيّ قبائل قريش أباطح مكة ، وأنزل طائفة منهم ظواهرها ، فكان يقال قريشُ الباطح ، وقريش الظواهر .

فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة ، من حجابة البيت وسدّانته واللواء ، وبني داراً لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات سمّاها دار الندوة ، إذا أعضلت قضية اجتماع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ، ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ، ولا تبُلّغ جارية أن تدّرّع فتدّرّع إلا بها .

وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ، ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بَعَدَ بنى عبد الدار ، فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه على بيعها معاوية وقال : بعث شَرَف قومك بمائة ألف .

فقال : إنما الشرفُ اليومَ بالتقوى ، والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزِقِّ خمر ، وها أنا قد بعثها بمائة ألف ، وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله ، فأينا المغبون ! .
ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ .

وكانت إليه سقايةُ الحجيح ، فلا يشربون إلا من ماء حياضه ، وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تَقَادُم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها .
قال الواقدي : وكان قصي أول من أحدث وقيدَ النار بالمزْدَلَّة ليَهْتدى إليها من يأتى من عرفات .

والرفادة وهي إطعام الحجيح أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم .
قال ابن إسحاق : وذلك أن قصيا فرضه عليهم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل مكة وأهل الحرم ، وإن الحُجَّاج ضيفُ الله وزوَّار بيته ، وهم أحق بالضيافة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يَصْدُرُوا عنكم . ففعلوا ، فكانوا يُخْرِجون لذلك في كل عام من أموالهم خَرْجاً فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنًى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قلت : ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق . ثم أُمِر بإخراج طائفة من بيت المال فيُصْرَف في حَمَلِ زادٍ وماءٍ لأبناء السبيل القاصدين إلى الحج ، وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ، ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال مِنْ أَحَلِّ ما فيه ، والأولى أن يكون من جوالى الزمة لأنهم لا يحجون البيت العتيق ، وقد جاء في الحديث :

« من استطاع الحجَّ فلم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيا » .

وقال قائلهم في مدح قُصَيٍّ وشرفه في قومه :

قُصَيٌّ لَعْمَرِي كَانَ يُدْعَى جُمُعَا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فِهْرِ
هُمْ مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَكْرِ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ قُصَيٌّ من حربه انصرف أخوه رِزَاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه وإخوته من أبيه الثلاثة ، وهم حُنَّ ومحمود وجُلْهُمَة . وقال رِزَاح في إجابته قصيا :

ولما أتى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولٌ فَقَالَ الرَّسُولُ أَجِيبُوا الْخَلِيلَا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَادِ وَنَطْرَحُ عَنَا الْمُلُوكَ الْفَقِيلَا
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَكْمِي ^(١) النَّهَارَ لَثْلَا تَزُولَا
فَهِنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا يُحِبُّنَ بَنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ ^(٢) وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَا لَكَ حَلَبَةً مَا لَيْلَةٍ تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَبَابًا رَسِيلَا ^(٣)
فَلَمَّا مَرَرْنَا عَلَى عَسَجِرٍ وَأَسْهَلْنَا مِنْ مُسْتَنَاحٍ سَبِيلَا
وَجَاوَزْنَا بِالرَّكْنِ مِنْ وَرْقَانٍ وَجَاوَزْنَا بِالْعَرْجِ حَيًّا حُلُولَا
مَرَرْنَا عَلَى الْحَلِيِّ ^(٤) مَا ذُقْنَاهُ وَعَالَجْنَا مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَذْنِي مِنَ الْعُودِ أَفْلَاهَا ^(٥) إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرْقَنَ الصَّهِيلَا
فَلَمَّا اتَّهَيْنَا إِلَى مَكَّةِ أَبْجَحْنَا الرِّجَالَ قَبِيلَا قَبِيلَا
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السُّيُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولَا

(١) نكمتي : نستتر ونختبيء . (٢) الأشمذان : قبيلتان أو جبلان بين المدينة وخيبر
(٣) أي عدداً كثيراً . (٤) الحلي : مدينة باليمن على ساحل البحر ، وذكر السهيلي أن الحلي نبت
وتروى : الحلي وهي بقله شاقة . (٥) العود : الحديثات التاج . والأفلاء : جمع فلو وهو المهر العظيم .

نَحْبِزُهُمْ بِصَلَابِ النِّسْوِ رِخْبَزَ الْقَوَى الْعَزِيزِ الذَّلِيلَا ^(١)
 قَتَانَا خَزَاعَةَ فِي دَارَهَا وَبَكَرًا قَتَانَا وَجِيلَا وَجِيلَا
 نَفِينَا هُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَالِيكَ كَمَا لَا يَحْكُلُونَ أَرْضًا سُهُولَا
 فَأَصْبَحَ سَبِيهُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفِيئًا الْعَالِيَا

قال ابن إسحاق : فلما رجع رزاح إلى بلاده نشره الله ونشره ، فها قبيلا
 عُدَّة إلى اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال قصي بن كلاب في ذلك ^(٢) :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنَى لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزَلِي وَبِهَا رُبَيْتُ
 إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدَّتْ وَمَرَوْتِهَا رَضِيْتُ بِهَا رَضِيْتُ
 فَلَسْتُ لِفَالِبِ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ بِهَا أَوْلَادُ قَيْدَرٍ وَالنَّبِيْتُ
 رِزَاحُ نَاصِرِي وَبِهِ أُسَامِي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَاحِيْتُ

وقد ذكر الأُموي عن الأشرم ، عن أبي عبيدة ، عن محمد بن حفص ، أن رزاحا إنما
 قدم بعدما نفي قصي خزاعة . والله أعلم .

فصل :

ثم لما كبر قصي فوَّضَ أمرَ هذه الوظائف التي كانت إليه ، من رئاسات قريش
 وشرفها من الرفاة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار ، وكان
 أكبر ولده .

وإنما خصه بها كلها لأن بقية إخوته عبد مناف وعبد شمس وعبد كانوا قد شرفوا

(١) نَحْبِزُهُمْ : نسوقهم سوقا شديدا . وصلاب النسور : الخيل (٢) هذا ما كان يصنع من الشعر ويدس
 في السيرة ، وقص ما كان يعلم نسبته السريانية ، وليت ابن اسحق عافانا من هذه الأشعار المهلهلة النسيج نبي
 يدرك الذوق أنها مختلفة مصنوعة .

في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفاً كبيراً ، فأحبَّ قصى أن يُلحق بهم عبد الدار في
السؤدد فخصه بذلك ، فكان إخوته لا ينازعونه في ذلك .

فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خص قصى عبد الدار بذلك ليلحقه
بإخوته ، فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه .

وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى ، فنحن أحق به .

واختلفوا اختلافاً كثيراً ، وانقسمت بطون قريش فرقتين ، فرقة بايعت عبد الدار
وحالفتهم ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ، ووضعوا أيديهم عند
الحلف في جفنة فيها طيب ، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا
حلف المطيبين .

وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زُهرة ، وبنو
تيم ، وبنو الحارث بن فهر ، وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم ، وبنو سَهْم ، وبنو
جُمَح ، وبنو عدى . واعتزلت بنو عامر ابن لؤى ومحارب بن فهر الجميع ، فلم يكونوا
مع واحد منهما .

ثم اصطَلَحُوا واتفقوا على أن تكون الرفاة والسقاية لبنى عبد مناف ، وأن تستقر
الحجابة واللواء والندوة في بنى عبد الدار ؛ فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

وحكى الأموى عن الأشرم ، عن أبي عبيدة قال : وزعم قوم من خزاعة أن قصيا
لما تزوج حُتَّى بنت حُلَيْل وثَقُلَ حليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حُبَّى واستتاب
عنها أبا غُبْشان سليم بن عمرو بن لؤى ابن ملكان بن قصى بن حارثة بن عمرو بن
عامر ، فاشتري قصى ولاية البيت منه بزق خمر وقعود ، فكُنَ يقال : «أَخْسَر من صفقة
أبي غبشان» . ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى ، فاستنصر أخاه فقَدِمَ بمن معه ،
وكان ما كان . ثم فَوَّضَ قصى هذه الجهات التي كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء

والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار كما سيأتى تفصيله وإيضاحه ، وأقر الإجازة من مزدلفة في بنى عَدُوَّان ، وأقرَّ النسيء في فُقَيْمٍ ، وأقرَّ الإجازة وهو النَّفَرُ في صُوفَةٍ ، كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأيديهم قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : فولد قصيُّ أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف ، وعبد الدار ، وعبد العُزَّى وعَبْدًا ، وَتَحْمُرُ ، وَبِرَّةَ ، وأُمهم كلهم حُجَّى بنت حُلَيْل بن حُبْشَةَ بن سُلُول ابن كعب بن عمرو الخُزَاعِي ، وهو آخر من ولى البيت من خزاعة ، ومن يده أخذ البيت قصيُّ بن كلاب .

قال ابن هشام^(١) : فولد عبدُ مناف بن قصي أربعة نفر : هاشمًا وعبد شمس والمطلب ، وأُمهم عاتكةُ بنت مُرَّة بن هلال . ونوفل بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية .

قال ابن هشام : وولد لعبد مناف أيضا : أبو عمرو وتماضر وقلابة وحَيَّة ورَيْطَة وأُم الأَخْثَم وأُم سفيان .

قال ابن هشام : وولد هاشمُ بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة : عبد المطلب ، وأسدًا ، وأبا صَيْفِي ونُضْلَةَ والشَّفَاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقَيَّة ، وحَيَّة . فأُم عبد المطلب ورقية سَلَمَى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خَدَّاش بن عامر بن غَنَم بن عَدِي بن النجار من المدينة . وذَكَرَ أمهات الباقيين .

قال : وولد عبدُ المطلب عشرة نَفَرٍ وست نسوة ، وهم : العباس ، وحَمْزة ، وعبد الله ، وأبو طالب ، واسمه عبد مناف ، لا عمران^(٢) ، والزبير ، والحارث وكان يَكْرُ أبيه وبه كان يكنى ، وجعل ، ومنهم من يقول حَجَل^(٢) ، وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره^(٢) ،

(١) في ابن هشام : قال ابن إسحق . (٢) هذا الجمل تعليقات من ابن كثير أدخلها في كلام ابن إسحق .

والمقوّم ، وضرار ، وأبو لمب واسمه عبد العزى ، وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ،
وأمية وأروى ، وبرّة ، وذَكَرَ أمهاتهم . إلى أن قال : وأمّ عبد الله وأبى طالب والزيبر
وجميع النساء إلا صفية ، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن
ألياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

قال : فولد عبد الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم . وأمه آمنة
بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى . ثم
ذَكَرَ أمهاتها فأغرق .

إلى أن قال : فهو أشرف ولد آدم حسباً وأفضاهم نسباً ، مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وأمه صلوات
الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وقد تقدم حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار ، عن وائلة بن الأسقع قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من
كنانة ، واصطفى هاشماً من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » . رواه مسلم .

وسأأتى بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، وسنورد عند
سرد النسب الشريف فوائد آخر ليست هاهنا إِنْ شاء الله تعالى وبه الثقة
وعليه التكلان .

ذكر مجمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية

قد تقدم ما كان من أخذ جرهم ولاية البيت من بني إسماعيل ، طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم ، وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ، ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قصي وبنيه واستمرار ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقر تلك الوظائف على ما كانت عليه .

باب ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

خبر خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة

وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً . والله أعلم

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن زهير التستري ، حدثنا يحيى بن المولى بن منصور الرازي ، حدثنا محمد بن الصلت ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفتس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال « بنت نبي ضيعة قومه » .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المولى بن منصور ، عن محمد بن الصلت ، عن قيس ، عن سالم ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : ذكر خالد بن سنان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ذاك نبي ضيعة قومه » .

ثم قال . ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها . والله أعلم .

قال البزار : وقد رواه الثوري عن سالم الأفتس ، عن سعيد بن جبير مرسلًا . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا المولى بن مهدي الموصلي ، قال حدثنا أبو عوانة ، عن أبي يونس ، عن سكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : « إني أظن أنكم نار الحرتين » فقال له رجل من قومه : والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا ، فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها !

فخرج خالد ومعه أناس من قومه ، فيهم عمارة بن زياد ، فأتوها فإذا هي تخرج من شق جبل ، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي . فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا ، فاستقبلها خالد ، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي بيدي . حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد . قالوا فادعوه باسمه . قال : فقالوا : إنه قد هبنا أن ندعوه باسمه . فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال ألم أنكم أن تدعوني باسمي ، فقد والله قتلتهموني فادفونوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبت فاندشوني فإنكم تجدوني حيا . فدفنوه فموت بهم الحمر فيها حمار أبت فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن نبشيه . فقال لهم عمارة : لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا نبش موتانا . وقد كان قال لهم خالد : إن في عكن امرأته لوحين ، فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه . قال ولا يسهما حائض . فلما رجعا إلى امرأته سألوا عنها فأخبرتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم ^(١) .

قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه . قال أبو يونس : قال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان أتى النبي

(١) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل ..

صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً بابن أخى . فهذا السياق موقوف على ابن عباس ، وليس فيه أنه كان نبياً ، والرُّسَلات التى فيها أنه نبى لا يحتج بها هاهنا . والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات ، فإنه إن كان فى زمن الفترة فقد ثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا ، لأنه ليس بينى وبينه نبى » . وإن كان قبها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال : (لَتُنذِرَ قوماً ما أتاهم مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) (١) .

وقد قال غير واحد من العلماء : إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً فى العرب ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذى دعا به إبراهيم الخليل ، باني الكعبة المكرمة التى جعلها الله قبلة لأهل الأرض شريعاً ، وبشّرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام .

وبهذا المسلك بعينه يُردُّ ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبى من العرب يقال له شعيب بن ذى مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين ، وبعث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكذبوها فسلط الله على العرب بُحْتَنَصْر ، فنال منهم من القتل والسبى نحو مانال من بنى إسرائيل ، وذلك فى زمن معدّ بن عدنان .

والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم . وقد تقدم ذكر عمرو بن لُحى بن قَمعة بن خندف فى أخبار خُرَاعة بعد جرمهم .

ذكر حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحُشْرَج بن امرئ القيس بن عدى بن أحزم بن أبي أحزم ، واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث ، بن طيء أبو سفانة الطائي ، والدُ عديّ ، بن حاتم الصحابي ، كان جواداً ممدّحاً في الجاهلية ، وكذلك كان ابنه في الإسلام .

وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، وإنما كان قصده السمعة والدُّكر .

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا عبيد بن واقد القيسي ، حدثنا أبو نصر هو الناجي ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : ذُكر : حاتم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذاك أراد أمراً فأدركه » .

حديث غريب . قال الدار قطنى تفرّد به عبيد بن واقد ، عن أبي نصر الناجي ، ويقال إن اسمه حماد .

قال ابن عساكر : وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسمَّ الناجي ، ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساكر : عن أبي نصر شيبه الناجي والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن مري بن قطري ، عن عدى بن حاتم ، قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبي كان يَصِلُ الرَّحِمَ ويفعل ويفعل ، فهل له في ذلك ؟ يعني من أجر قال : « إن أباك طلب شيئاً فأصابه » وهكذا رواه أبو يعلى ، عن القواريري ، عن غندر ، عن شعبة ،

عن سماك به . وقال : « إن أباك أراد أمراً فادرّكه » يعنى الذِّكْر . وهكذا رواه أبو القاسم البغوى ، عن على بن الجعد ، عن شعبة به سواء .

وقد ثبت فى الصحيح فى الثلاثة الذين تُسَقَّرُ بهم جهنم ، منهم الرجل الذى يُنْفِقُ ليقال إنه كريم ، فيكون جزاؤه أن يقال ذلك فى الدنيا ، وكذا فى العالم والمجاهد . وفى الحديث الآخر فى الصحيح أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جُدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة فقالوا له : كان يَقْرِى الضيفَ وَيَعْتَقُ ويتصدق ، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : « إنه لم يقل يوماً من الدهر رَبِّ اغفرلى خطيئتي يوم الدين » هذا وقد كان من الأجواد المشهورين أيضاً المطعمين فى السنين الْمُحِلَّةِ والأوقات المرملة .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العُمانى ، حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفى ، حدثنا ضرار بن صُرد ، حدثنا عاصم بن حميد ، عن أبى حمزة الثمالى ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد النخعى ، قال قال على بن أبى طالب : « ياسبحان الله ! ما أزهده كثيراً من الناس فى خير ! عجباً لرجل يبيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع فى مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح .

فقام إليه رجل وقال : فداك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ! وما هو خير منه ، لما أتى بسبايا طيئ وقعت جارية حمراء لعسا زلفاء عيطاء ^(١) شَمَاء الأنف ، معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين خدلجة الساقين ^(٢) ، لَفَاء الفخذين ، خميسة الخصرين ، ضامرة الكشحين ، مصقولة المتنين .

(١) اللساء : الجارية فى لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة . والزلفاء : اللساء والعيطاء : طويلة العنق .

(٢) الدرماء : التى لاتستين كعوبها . والخدلجة : الممتلئة

قال : فلما رأيتهما أعجبت بهما وقلت لأطالبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعلها في قَيْئِي ، فلما تكلمت أنسيت جمالهما لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلّي عني ولا تُشمت بي أحياء العرب ، فإنني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفكّ العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويقرّي الضيف ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم طي* .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق » .

فقام أبو بردة بن نيار^(١) فقال يارسول الله : والله يحب مكارم الأخلاق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثني عمر بن بكر ، عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو القاسم بن عدى - عن عثمان ؛ عن عَرَكَيَّ بن حُلَيْس الطائي ، عن أبيه ، عن جده ، وكان أخا عدى بن حاتم لأمه قال : قيل للنّوّار امرأة حاتم : حدثينا عن حاتم . قالت : كلُّ أمره كان عَجَباً !

أصابتنا سنة حصّت^(٢) كلَّ شيء ، فاقشعرت لها الأرض واغبرت لها السماء ، وضنت المراضع على أولادها ، وراحت الإبلُ حُدْباً حُدَايِر مَاتِبِضٌ بقطرة^(٣) ، وحلّقت^(٤) المال .

وإننا لفي ليلة صَنَبِر^(٥) بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاعى الأصبيةُ من الجوع ،

(١) واسمه هاني بن نيار . الكنى والأسماء للدولابي ١٧ . وفي الطبوعة نيار . وهو خطأ .
(٢) الحص : حلق الشعر والمعنى : أهلك كل شيء . (٣) الحدب : التي بدت حراقفها . والحدايير : النوق الضامرة . (٤) الشعر والشعراء : جافت . (٥) صنبر : باردة .

عبدُ الله وَعَدِيّ ، وَسَقَانَةٌ ، فَوَاللهُ إِنِّ وَجَدْنَا شَيْئًا نَعْلَمُهُمْ بِهِ ، فَقَامَ إِلَى أَحَدِ الصَّبِيَّانِ فَعَمَلَهُ ، وَوَقَّتَ إِلَى الصَّبِيَّةِ فَعَلَّتْهَا ، فَوَاللهُ إِنِّ سَكَنَّا إِلَّا بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ عَدْنَا إِلَى الصَّبِيِّ الْآخَرِ فَعَلَّلْنَاهُ حَتَّى سَكَتَ وَمَا كَادَ .

ثُمَّ افْتَرَشْنَا قَطِيفَةً لَنَا شَامِيَةً ذَاتَ خَمَلٍ فَأَضْجَعْنَا الصَّبِيَّانِ عَلَيْهَا ، وَنَمْتُ أَنَا وَهُوَ فِي حَجَرَةٍ وَالصَّبِيَّانِ بَيْنَنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ يَعْطِنِي لِأَنَامَ ، وَعَرَفْتُ مَا يَرِيدُ فَتَنَاضَمْتُ ، فَقَالَ مَالِكُ أُنَمْتُ ؟ فَسَكَتَ فَقَالَ : مَا أَرَاهَا إِلَّا قَدْ نَامَتْ . وَمَا بِي نَوْمَ .

فَلَمَّا اذْهَبَ اللَّيْلُ وَتَهَوَّرَتِ النُّجُومُ وَهَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَسَكَنَتِ الرَّجُلُ ، إِذَا جَانِبَ الْبَيْتِ قَدْ رَفَعَ ، فَقَالَ مِنْ هَذَا ؟ فَوَلَّيْتُ . حَتَّى قُلْتُ إِذَا قَدْ أَسْحَرْنَا أَوْ كِدْنَا عَادَ فَقَالَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَتْ : جَارَتُكَ فَلَانَةٌ يَا أَبَا عَدِيٍّ ، مَا وَجَدْتُ عَلَى أَحَدٍ مُعَوَّلًا غَيْرَكَ ، أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَصْبِيَّةٍ يَتَعَاوُونَ عَوَاءَ الذَّنَابِ مِنَ الْجُوعِ . قَالَ أَعْجَلِيهِمْ عَلَيَّ .

قَالَتْ النُّوَارُ : فَوُثِّبْتُ فَقُلْتُ مَاذَا صَنَعْتَ ؟ اضْطَجَعَ وَاللهُ لَقَدْ تَضَاغَى أَصْبِيَّتُكَ فَمَا وَجَدْتَ مَا تَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ بِهِذِهِ وَبَوْلَدِهَا ؟ فَقَالَ : اسْكُتِي ، فَوَاللهُ لَا شُبْعَنَكَ إِلَّا شَاءَ اللهُ .

قَالَتْ : فَأَقْبَلْتُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَتَمْشِي جَنْبَيْتِيهَا أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا^(١) ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَّأَ بِحَرْبَتِهِ فِي لَبَتِهِ ، ثُمَّ قَدَحَ زَنْدَهُ وَأَوْرَى نَارَهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِمُدِيَّةٍ فَكَشَطَ عَنْ جِلْدِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ ثُمَّ قَالَ دُونَكَ . ثُمَّ قَالَ : ابْعَثِي صَبِيَّانَكَ . فَبِعَثْتَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : سُوءَةٌ ، أَنَا كُلُّونَ شَيْئًا دُونَ أَهْلِ الصَّرْمِ ! فَجَعَلَ يَطُوفُ فِيهِمْ حَتَّى هَبُّوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَالتَفَعُّ فِي ثَوْبِهِ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ نَاحِيَةَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا ، وَاللهُ مَا ذَاقَ مُزْعَةً ، وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُهُمْ إِلَيْنَا ، فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ إِلَّا عَظْمٌ أَوْ حَافِرٌ !

وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ : حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَامِلِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ ،

(١) الرِّثَالُ : جَمْعُ رَأْلٍ ، وَلَدُ الظُّبَيْيَةِ .

وحدثنا عثيم بن ثوبة بن حاتم الطائي ، عن أبيه ، عن جده قال : قالت امرأة حاتم لحاتم : يا أبا سَفانة أَشْتَهِي أن آكل أنا وأنت طعاما وحدنا ليس عليه أحد . فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ ، وأمر بالطعام فهيئ وهى مرخاة ستورها عليه وعالها ، فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال :

فلا تَطْبُخِي قِدْرِي وَسِتْرُكَ دُونَهَا عَلَى إِذْنِ مَا تَطْبُخِينَ حَرَامُ
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدى بجَزَلٍ إِذَا أَوْقَدْتَ لَا بَضِرَامُ

قال : ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعا الناس ، فأكل وأكلوا . فقالت : ما أتممت لى ما قلت . فأجابها : فإنى لا تطاوعنى نفسى ، ونفسى أكرمُ علىَّ من أن يثنى علىَّ هذا وقد سبق لى السخاء . ثم أنشأ يقول :

أُمَارِسُ^(١) نَفْسَ الْبَخْلِ حَتَّى أَعْزُّهَا وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْجُودِ مَا أَسْتَثِيرُهَا
ولا تشكيني جارتى غير أنها إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أَزُورُهَا
سَيَبْلُغُنِي خَيْرِي وَيَرْجِعَ بَعْلُهَا إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَيْهَا سِتُورُهَا
ومن شعر حاتم :

إِذَا مَا بَيْتُ أَشْرَبَ فَوْقَ رِيٍّ لَسَكْرِ فِي الشَّرَابِ فَلَا رَوِيْتُ
إِذَا مَا بَيْتُ أَخْلَلَ عِرْسَ جَارِي لِيُخَفِّنِي الظَّلَامُ فَلَا خَفِيْتُ
أَأَفْضَحَ جَارَتِي وَأَخُونِ جَارِي؟! فَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيِّتُ
ومن شعره أيضاً :

مَا ضَرَّ جَاراً لِي أَجَاوَرُهُ أَنْ لَا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ
أَغْضَى إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِدْرُ^(٢)

(١) أمارس : أعالج . وأعزها : أغلبها

(٢) ينسب هذان البيتان باختلاف المسكين الدارمي في أبيات أخرى وهو الصحيح انظر الشعر والشعراء ١٤/ ٥٣٠

ومن شعر حاتم أيضاً :

وما من شِيعَتِي شَمَّ ابنِ عَمِّي وما أنا مُخَلِّفٌ مَنْ يَرْتَجِبُنِي
وَكَلِمَةُ حاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ سَمِعْتُ وَقُلْتُ مَرُّى فَأَنْقَذَنِي
وعابوهـا علىَّ فلمْ تَعْبَنِي ولمْ يَعْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَبِينِي
وَذِي وَجْهٍ يَلْقَانِي طَلِيقًا ولبس إذا تَغَيَّبَ يَأْتِسِينِي
ظفرتُ بَعِيْه فكَفَفْتُ عَنْهُ حَافِظَةً عَلَى حَسَبِي وَدِينِي

ومن شعره :

سَلَى البائِسَ المَقْرورَ يَا أُمَّ مَالِكٍ إذا ما أَنَانِي بَيْنَ نارِي وَنَجْزَرِي
أَبْسطَ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ القِرَى وَأَبْذُلَ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

وقال أيضاً :

وإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنُكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريري : حدثنا الحسين بن القاسم السكوكي ، حدثنا أبو العباس المبرّد ، أخبرني الثوري ، عن أبي عبيدة ، قال لما بلغ حاتم طيُّ قولُ التلمس :

قَلِيلُ المَالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَبْقَى الكَثِيرُ عَلَى الفَسَادِ
وَحِفْظُ المَالِ خَيْرٌ مِنْ فَنَائِهِ وَعَسْفٌ فِي البِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ

قال : ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل ؟ ! فهلا قال :

فَلَا الجُودُ يُفْنِي المَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا البَخْلُ فِي مالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ
فَلَا تَلْتَمِسْ مَا لَا بَعِيشٍ مَقْتَرٍ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

ألم تر أن المال غادر وأنت وأُنْجَ وأن الذي يعطيك غير بعيد^(١)

قال القاضي أبو الفرج : وقد أحسن في قوله : « وأن الذي يعطيك غير بعيد » ولو كان مسلماً لرُجِي له الخير في معاده ، وقد قال الله في كتابه : (واسألوا الله من فضله^(٢)) . وقال تعالى : (وإذا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)^(٣) .

وعن الوضاح بن مَعْبِد الطائي قال : وفد حاتم الطائي على النعمان بن المنذر ، فأكرمه وأذناه ، ثم زَوَّده عند انصرافه جملين ذهباً وورقاً غير ما أعطاه من طرائف بلده ، فرحل فلما أشرف على أهله تلقته أعاريب طي ، فقالت : يا حاتم أتيت من عند الملك وأتينا من عند أهلكنا بالفقر ! فقال حاتم : هلم نخذوا ما بين يدي فتوزعوه . فوثبوا إلى ما بين يديه من حياء النعمان فاقسموه ، فخرجت إلى حاتم طريفة جاريته ، فقالت له : اتق الله وأبقي على نفسك ، فما يدع هؤلاء ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً . فأنشأ يقول :

قالت طريفة : ما تُبْقِي دراهمنا وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ
إن يَفْنَ ما عندنا فالله يَرْزُقنا ممن سِوانا ولسنا نحن نَرْزُقُ
ما يَأْتِي الدَّرْهم الكَرِيخُ خَرَقَتْنَا إلا يمرُّ عليها ثم يَنْطَلِقُ
إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظَلَّتْ إلى سُبُلِ المعروف تَسْتَبِقُ

وقال أبو بكر بن عياش : قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟ فقال : كل العرب أجود مني . ثم أنشأ يحدث قال : نزلتُ على غلام من العرب يتيم ذات ليلة ، وكانت له مائة من الغنم ، فذبح لي شاة منها وأتاني بها ، فلما قَرَّبَ إلى دماغها قلت : ما أطيب هذا

(١) في البيت لقواء (٢) سورة النساء ٣٢ (٣) سورة البقرة ١٨٦

الدماغ ! قال : فذهب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت قد اكتفيت . فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة وبقي لاشيء له !

فقيل : فما صنعت به ؟ فقال : ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء ! قال : على كل حال أعطيته مائة ناقة من خيار إبلى .

وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب «مكارم الأخلاق» : حدثنا العباس بن الفضل ، الربيعي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني حماد الراوية ومشيخة من مشيخة طيء ، قالوا : كانت عنزة ^(١) بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس أم حاتم طيء لا تملك شيئاً سخاء وجوداً ؛ وكان إخوتها يمنعونها فتأبى ، وكانت امرأة موسرة ، فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ، ثم أخرجوها بعد سنة ، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق ، فدفعوا إليها صرمة من مالها وقالوا استمتعي بها . فأتتها امرأة من هوازن وكانت تعساها فسألتها ، فقالت : دونك هذه الصرمة ، فقد والله مسنى من الجوع ما آليت أن لا أمتع سائلاً ، ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عصني الجوع عصّة فآليت ألا أمتع الدهر جاعاً
فقلوا لهذا اللأى اليوم أعفني وإن أنت لم تفعل فعص الأصابعاً
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يابن أمي الطباعاً

وقال الهيثم بن عدي : عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت حاتماً يكيد بنفسه ^(٢) ، فقال لي : أي بني . إني أعهد من نفسي ثلاث خصال : والله ما خاتلت جارة لريبة قط ، ولا أؤمنت على أمانة إلا أديتها ، ولا أتت أحد من قبلي بسوء .

(٢) يكيد بنفسه : يهود

(١) مكارم الأخلاق : غنية

وقال أبو بكر الخرائطي : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوي ، حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي مسكين - يعني جعفر بن الحر بن الوليد - عن الحر بن مولى أبي هريرة ، قال : مررتُ من عبد القيس بقبر حاتم طيٍّ ، فترلوا قريباً منه ، فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيبري فجعل يركض قبره أبرجله ويقول : يا أبا جعد اقرنا . فقال له بعض أصحابه : ما تخاطبُ من رمةٍ وقد بليت ؟ ! وأجنهم الليل فناموا ، فقام صاحب القول فزعاً يقول : يا قوم عليكم بمطيمكم فإن حاتماً أتاني في النوم وأنشدني شعراً وقد حفظته ، يقول :

أبا الخيبري وأنت امرؤٌ ظلومُ العشرة شتأمتها
أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغي لي الذنب عند المبدتِ وحولك طيٍّ وأنعامها
وإننا لنشبع أضيافنا وتأتي المطي فنفعتامها^(١)

قال : وإذا ناقةُ صاحب القول تكوس^(٢) عقيراً ، فنحروها وقاموا يشتمون ويأكلون . وقالوا : والله لقد أضفنا حاتم حياً وميتاً !

قال : وأصبح القوم وأردفوا صاحبهم وصاروا ، فإذا رجل ينوه بهم راكباً جلاً ويقود آخر ، فقال : أيكم أبو الخيبري ؟ قال : أنا . قال : إن حاتماً أتاني في النوم فأخبرني أنه قرسى أصحابك ناقتك وأمرني أن أحملك ، وهذا بعير نخذه . ودفعه إليه .

(١) نعامها : نأخذها (٢) كلس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب ، كما في القاموس . وقال الرمشمري : كوسه الله في النار : قلبه على رأسه . . وكلس العقير كوساً لأنه يسقط على رأسه . الأساس .

ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان

هو عبد الله بن جُدعان ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مُرّة ،
سيد بني تيم ، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضى الله عنه .
وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطمئنين للمُسنتين .

وكان في بدء أمره فقيراً مُعْلَقاً ، وكان شَريراً يكثر من الجنايات ، حتى أبفضه
قومه وعشيرته وأهله وقبيلته ، وأبفضه حتى أبوه .

نُحِرَ ذات يوم في شعاب مكة حائراً بائراً فرأى شَقّاً في جبل ، فظن أن يكون به
شيء يؤذى ، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه .

فلما اقترب منه إذا ثعبان يخرج إليه ويثب عليه ، فجعل يحيد عنه ويثب فلا يغني
شيئاً ، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان ، فكسره وأخذه ودخل
الغار فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم ، ومنهم الحارث بن مُضاض الذي طالت غيبته فلا
يُدْرَى أين ذهب ، ووجد عند رؤوسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومُدَد ولايتهم ،
وإذا عندهم من الجواهر والآلئ والذهب والفضة شيء كثير ، فأخذ منه حاجته ، ثم خرج
وعلم باب الغار ، ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أجبوه وسادهم ، وجعل يطعم الناس ،
وكلاً قلّ ما في يده ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع . فمن ذكر هذا عبد الملك بن
هشام في كتاب « التيجان »^(١) وذكره أحمد بن عمار في كتاب « رى العاطش وأنس
الواحش » وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ، ووقع فيها صغير ففرق .

(١) كتاب التيجان لمعرفة ملوك الزمان . وهو يتضمن بعض قصص أهل الكتاب ،
وأخبار اليمن .

وذكر ابن قتيبة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عُمِّي^(١) » أى وقت الظهيرة .

وفى حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « تَطَلَّبُوهُ بَيْنَ الْقَتْلَى وَتَعَرَّفُوهُ بِشَجَّةٍ فِي رُكْبَتِهِ ، فَإِنِ تَزَاوَحْتَ أَنَا وَهُوَ عَلَى مَأْدُبَةٍ لَا بَنَ جُدْعَانِ فَدَفَعْتَهُ فَسَقَطَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَانْهَشَمَتْ فَأَثَرُهَا بَاقٍ فِي رُكْبَتِهِ » فوجدوه كذلك .

وذكروا أنه كان يطعم التمرَ والسويق ويسقى اللبن ، حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم بنى الديَّانِ
البرُّ يُدَبِّكُ بالشَّهادِ طعامهم لا ما يعلننا بنو جدعانِ
فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألقي بعير [جاءت] تحمل البرَّ والشَّهْدَ والسَّمنَ ،
وجعل مناديا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة : أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان . فقال
أمية في ذلك :

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌ^(٢) وآخرُ فوق كعبتها ينادى
إلى رُدَحٍ من الشَّيزى ملأ^(٣) لُبَّابَ البرِّ يُدَبِّكُ بالشَّهادِ

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم أن عائشة قالت : يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعامَ ويقرى الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا ، إنه لم يقلْ يوما ربِّ اغفر لى خطيئتي يوم الدين » .

(١) الصكة : شدة الهاجرة ، وتضاف إلى عمى ، رجل من العاقلة أغار على قوم في الظهيرة فاجتاحهم
(٢) مشمعل : مبادر مجتهد . (٣) الردح : جمع ردة وهي الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود للقصاص .

ذكر امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدِي

صاحب إحدى المعلقات

وهي أنفَرهن وأشهرهن التي أولها :

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

قال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ^(١) ، حدثنا أبو الجهم الواسطي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ^(٢) » .

وقد روى هذا الحديث عن هُشَيْمٍ جماعة كثيرون ، منهم بشر بن الحكم ، والحسن بن عرفة ، وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين المأمون أخو الأمين ، ويحيى بن معِين ، وأخرجه ابن عَدِيٍّ من طريق عبد الرزاق عن الزهري به ، وهذا منقطع وردى من وجه آخر عن أبي هريرة ، ولا يصح من غير هذا الوجه .

وقال الحافظ ابن عساكر : هو امرؤ القيس بن حُجْر ، بن الحارث ، بن عمرو ، بن حجر آكل المرار ، بن عمرو ، بن معاوية ، بن الحارث ، بن يعرب ، بن ثور ، بن مرتع بن معاوية بن كِنْدَةَ . أبو يزيد ويقال أبو وهب . ويقال أبو الحارث الكِنْدِي . كان بأعمال دمشق ، وقد ذكر مواضع منها في شعره فمن ذلك قوله :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بَسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتَوَضَّحَ فَاَلْقُرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَشْمَهَا نِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

قال : وهذه مواضع معروفة بخُورَانِ .

(١) المطبوعة : هشام ، وما أثبتته عن السند (٢) المسند حديث رقم ٧١٢٧ وانظر فيه تخريج الحديث

ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلابي ، حدثني فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب ، عن أبيه ، عن جده قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن ، فقالوا يارسول الله لقد أحيانا الله ببيتين من شعر امرئ القيس . قال : وكيف ذاك ؟ قالوا : أقبلنا نريدك ، حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكثنا ثلاثا لا نقدر على الماء ، ففترقنا إلى أصول طنح وسمر ثموت كل رجل منا في ظل شجرة ، فبينما نحن بآخر رمق إذا راكب يُوضع على بعير ، فلما رآه بعضنا قال والراكب يسمع :

ولما رأت أن الشريعة كهمها وأن البياض من فرائصها دامي^(١)

تيممت العين التي عند ضارج^(٢) يُفنى عليها الظلَّ عرْمُها طامي

فقال الراكب : ومن يقول هذا الشعر ؟ وقد رأى ما بنا من الجهد قال : قلنا : امرؤ القيس بن حجر . قال والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندهم . فنظرنا فإذا بيننا وبين الماء نحو ثمن خمسين ذراعا ، فحبونا إليه على الرُّكْب ، فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرْمَضُ يُفنى عليه الظلُّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجل مذكور في الدنيا منسى في الآخرة ، شريف في الدنيا خامل في الآخرة ، بيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار »^(٣) .

وذكر الكلابي : أن امرأ القيس أقبل براياته يريد قتال بني أسد حين قتلوا أباه ، فمر بنبالة وبها ذو الخلصة ، وهو صنم ، وكانت العرب تستقسم عنده ، فاستقسم

(١) الشريعة : مشرعة الماء . والفرائص : جمع فريصة . وهما فريستان ترتعدان عند الخوف .

(٢) ضارج : موضع ببلاد عيس . والعرْمَضُ : الطحلب . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمى فرائصها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التي فيه ، انظر اللسان ١٣٩/٣

(٣) وردت هذه القصة في الشعر والشعراء ١/٥٨ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ٧٥ . وهي كذلك في اللسان وعيون الأخبار ١/١٤٣ ، ١٤٤ ، والأغانى ٧/٢٣

نخرج القِدْحَ الناهي ، ثم الثانية ، ثم الثالثة كذلك ، فكسر القِدْحَ وضرب بها وجه ذى الخلصة وقال : عَضَضْتُ بِأَيْرِ أَيْيِكَ ، لو كان أبوك المقتول لما عَوَّ قَتْنِي ! ثم أغار على بنى أسد فقتلهم قتلاً ذريعاً .

قال ابن السكاجي : فلم يُسْتَقَسَمَ عند ذى الخلصة حتى جاء الإسلام .
وذكر بعضهم أنه امتدح قيصرَ ملك الروم يستنجد به في بعض الحروب ويسترفذه ، فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك ، فيقول إنه سقاه سمًا فقتله ، فألجأه الموت إلى جنبه قبر امرأة عند جبل يقال له عسيب فكتب هنالك .

أَجَارَتَنَا إِنْ الْكَزَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنْنا غَرِيْبَانِ هَهْنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
وذكروا أن المعلقات السبع كانت معلقة بالكعبة ، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش ، فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيمًا لشأنها ، فاجتمع من ذلك هذه المعلقات السبع .

فالأولى لامرئ القيس بن حُجْر الكندي كما تقدم ، وأولها :
قِفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فُجُومِلِ
والثانية للناطقة الذيباني ، واسمه زياد بن معاوية ، ويقال زياد بن عمرو بن معاوية ابن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها :

يَادَارَ مَيَّةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالْسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ
والثالثة لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني وأولها :
أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَّمَلِّمْ

والرابعة لطرقة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها :

نَحْلَوْلَةَ أَطْلَالَ بَيْرَقَةَ تَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

والخامسة لعنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب
ابن قطيعة ابن عبيس العبسي وأولها :

هَلْ غَادِرَ الشَّعْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهْمِ

والسادسة لمعلقة بن عبدة بن النعمان بن قيس أحد بني تميم وأولها :

طَحَا بِكَ قَابُ فِي الْحَسَانِ طُرُوبُ بُعَيْدِ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقات ، وهو قول الأصمعي وغيره - وهي للبيد

ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن
بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وأولها :

عَفَتِ الدِّيَارَ مَحَاطُهَا مَقَامُهَا بَمْنَى تَابَدَ غُوطُهَا فَرَجَامُهَا

فأما القصيدة التي لا يُعرف قائلها ، فيما ذكره أبو عبيدة والأصمعي والمبرد وغيرهم ،

فهي قوله :

هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلٍ رَدُّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكْلُمٍ عَهْدُ

وهي مطولة ، وفيها معان حسنة كثيرة .

ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي ، كان من شعراء الجاهلية
وقد أدرك زمن الإسلام

قال الحافظ ابن عساكر : هو أمية بن أبي الصلت ، عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف
ابن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو عثمان ، ويقال
أبو الحكم الثقفي .

شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام ، وقيل إنه كان مستقياً^(١) ، وإنه كان في أول
أمره على الإيمان ، ثم زاع عنه ، وإنه هو انذى أراد الله تعالى بقوله « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

قال الزُّبَيْر بن بَكَّار : فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ، ابن
أبي الصلت ، واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف .

وقال غيره : كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف ، وكان أمية أشعرهم .

وقال عبد الرزاق : قال الثوري : أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو
قال في قوله تعالى « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ
فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ » هو أمية بن أبي الصلت .

وكذا رواه أبو بكر بن مردويه ، عن أبي بكر الشافعي ، عن معاذ بن المثني ، عن
مسدد ، عن أبي عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن نافع بن عاصم بن مسعود قال :
إني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الأعراف « وَأَتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا » فقال : هل تدرون من هو ؟ فقال بعضهم :

(١) الذي في ابن عساكر ، وقيل إنه كان نبياً .

هو صيفي بن الراهب . وقال آخر : بل هو بلم رجل من بني إسرائيل . فقال : لا قال فمن ؟ قال هو أمية بن أبي الصلت .

وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاه قتادة عن بعضهم .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن شبيب الربعي ، حدثنا محمد بن مسleme بن هشام الحزمي ، حدثنا إسماعيل ابن الطريح بن إسماعيل الثقفي ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن مروان بن الحكم ، عن معاوية بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال :

خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام ، فكما نزلنا منزلاً أخذ أميه سيفراً له يقرؤه علينا ، فكنا كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاءوه وأكرموه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيوتهم .

ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فابسهما ، وقال لي : هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب تسأله ؟ قلت : لا إرب لي فيه ، والله لئن حدثني بما أحب لا أثق به ، ولئن حدثني بما أكره لأجِدَنَّ منه .

قال : فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علىّ ، فقال : ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ ؟ قلت : لست على دينه . قال : وإنّ ، فإنك تسمع منه عجباً وتراه . ثم قال لي : أثقني أنت ؟ قلت : لا ولكن قرشي . قال : فما يمنعك من الشيخ ، فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم .

قال فخرج من عندنا ، ومكث أميه عندهم حتى جاءنا بعد هدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام .

حتى أصبح كثيراً حزينا ساقطاً غبوقه على صَبُوحه ، ما يكلمنا ولا نكلمه .
ثم قال : ألا ترحلُ ؟ قلت : وهل بك من رحيل ؟ قال نعم .
فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين ، ثم قال في الليلة الثالثة : ألا تحدث يا أبا سفيان ؟ قلت
وهل بك من حديث ؟ والله ما رأيت مثلاً الذي رجعت به من عند صاحبك .
قال : أما إن ذلك شيء لست فيه ، إنما ذلك شيء وجئتُ منه من مُنْقَلَبِي .
قلت : وهل لك من مُنْقَلَب ؟
قال : إى والله ، لأموتن ثم لأُحْيَيْنَ .
قال : قلت : هل أنت قابلٌ أُمَانِي ^(١) ؟
قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبْعَث ولا تحاسب .
قال : فضحك ثم قال : بلى والله يا أبا سفيان ، لُنُبْعَتَن ثم لُنُحَاسَبَن ولیدخلن فريقُ
الجنة وفريقُ النار .
قلت : ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟
قال لا علم لصاحبى بذلك ، لا فى ولا فى نفسه .
قال : فكنا فى ذلك ليلتين ، يَعْجَب منى وأضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ،
فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين .
فارتحلنا حتى نزلنا قريةً من قُرَى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له وذهب معهم
إلى بيعتهم ، فما جاء إلا بعد منتصف النهار ، فلبس ثوبيه وذهب إليهم ، حتى جاء بعد
هَذَا من الليل ، فطرح ثوبيه ورمى بنفسه على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام .
وأصبح حزينا كثيراً لا يكلمنا ولا نكلمه ، ثم قال : ألا ترحل ؟ قلت : بلى
إن شئت .

(١) المطبوعة : أمانى ، وهو خطأ .

فرحلنا كذلك مِنْ بَنِّهِ وَحُزْنِهِ لِيَالِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا سَفِيانَ ، هَلْ لَكَ فِي الْمَسِيرِ لِنَتَقَدَّمَ أَصْحَابَنَا ؟ قُلْتُ : هَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَ نَعَمْ .

فسرنا حتى برزنا من أَصْحَابِنَا سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : هَيَّا صَخْرٌ . فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ قَالَ حَدَّثَنِي عَنْ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، أَيْحْتَنِبُ الْمَظَالِمَ وَالْمَحَارِمَ ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ .

قَالَ : وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَأْمُرُ بِصَلَاتِهَا ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ .

قَالَ : وَكَرِيمِ الطَّرَفَيْنِ وَسَطِّ فِي الْعَشِيرَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ : فَهَلْ تَعْلَمُ قُرْشِيًّا أَشْرَفَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَعْلَمُ .

قَالَ : أُنْخَوِجُ هُوَ ؟

قُلْتُ : لَا بَلْ هُوَ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ .

قَالَ : وَكَمْ أَتَى عَلَيْهِ مِنَ السَّنِ ؟

فَقُلْتُ : قَدْ زَادَ عَلَى الْمِائَةِ .

قَالَ : فَالْشَّرَفُ وَالسَّنُّ وَالْمَالُ أَزْرَيْنِ ^(١) بِهِ .

قُلْتُ : وَلِمَ ذَلِكَ يُزْرَى بِهِ ، لَا وَاللَّهِ بَلْ يَزِيدُهُ خَيْرًا .

قَالَ : هُوَ ذَلِكَ ، هَلْ لَكَ فِي الْمَبِيتِ ؟ قُلْتُ : لِي فِيهِ .

قَالَ فَاضْطَجَعْنَا حَتَّى مَرَّ النُّقْلُ . قَالَ : فَسَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا فِي الْمَنْزِلِ وَبَتْنَا بِهِ ، ثُمَّ

ارْتَحَلْنَا مِنْهُ .

(١) فِي الْأَكْتَفَاءِ لِلْكَلْبِيِّ ، وَالْوَفَاءِ لِبْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ : فَالشَّرَفُ وَالسَّنُّ أَزْرِيَا بِهِ .

فلما كان الليل قال لى : يا أبا سفيان . قلت : ما تشاء ؟ قال هل لك فى مثل البارحة .
قلت : هل لك فيه ؟ قال : نعم .

فسيرنا على ناقتين بَحْتِيَّتَيْنِ ، حتى إذا برزنا قال : هَيَّا صخر ، هيه عن
عُتْبَةَ بن ربيعة .

قال قلت : هيهما فيه .

قال : أَيْحْتَبِ الحارمَ والمظالمَ وَيَصِلَ الرحمَ ويأمر بصلتها ؟ قلت : إى والله
إنه ليفعل .

قال وذو مال ؟ قلت : وذو مال .

قال : أتعلم قُرْشِيًّا أَسْوَدَ منه ؟ قلت : لا والله ما أعلم .

قال : كم أتى له من السن ؟ قلت قد زاد على المائة .

قال : فإن السن والشرف والمال أَرْزَيْنَ به .

قلت : كلا والله ما أزرى به ذلك ، وأنت قائلٌ شيئاً فقله . قال : لا ، تَدَكَّرْ حديثى
يأتى منه ما هو آتٍ .

ثم قال : فإن الذى رأيت أصابنى أنى جئت هذا العالمَ فسألته عن أشياء ، ثم قلت
أخبرنى عن هذا النبى الذى يُنْتَظَرُ .

قال : هو رجل من العرب .

قلت : قد علمت أنه من العرب ، فمن أى العرب هو ؟

قال : من أهل بيتٍ تَحْجُّهُ العرب .

قلت وفينا بيتٌ تحججه العرب .

قال : هو من إخوانكم من قريش . فأصابنى والله شىء ما أصابنى

مثله قط ، وخرج من يدى فوزُ الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون إياه .
قلت : فإذا كان ما كان فصِّفه لى .

قال : رجل شابُّ حين دخل فى الكهولة ، بدَّء أمره [أنه] يحتب المظالم والمَحَارِم ،
ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو مُحَوِّج كريمُ الطَّرَفَيْنِ متوسطٌ فى العشيرة ، أكثرُ
جنده من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟ قال : قد رَجَفَتِ الشام منذ هلك عيسى بن مريم عليه السلام
ثمانين رَجْفَةً ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رَجْفَةٌ عامة فيها مصائب .
قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل ، لئن بَعَثَ الله رسولا لا يأخذه
إلا مُسِنَّأ شريفا .

قال أمية : والذى حلفت به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان ، يقول إن قول النصرانى
حق . هل لك فى المبيت ؟ قلت : نعم لى فيه .

قال فَبِتْنَا حتى جاءنا الثقل ، ثم خرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة مرحلتان
[أو] ليلتان أدركنا راكب منْ خَلْفَنَا ، فسألناه فإذا هو يقول أصابت أهلَ الشام
بعدكم رَجْفَةٌ دَمَّرَتْ أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة .

قال أبو سفيان : فأقبل علىَّ أمية فقال : كيف ترى قول النصرانى يا أبا سفيان ؟ قلت
أرى وأظن والله أن ماحدثك به صاحبك حق .

قال أبو سفيان : فقدمنا مكة ، فقضيت ما كان معى ، ثم انطلقت حتى جئت اليمى
تاجراً فكننت بها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فبينما أنا فى منزلى جاءنى الناس يسألون علىَّ ويسألون عن بضائعهم ، حتى جاءنى
محمد بن عبد الله وهندٌ عندى تلاعب صبيانها ، فسَلَّم علىَّ ورَحَّب بى ، وسألنى عن
سَفَرى ومُقَامى ولم يسألنى عن بضاعته ، ثم قام . فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبنى ،

مامن من أحد من قریش له معی بضاعة إلا وقد سألنی عنها ، وما سألنی هذا عن بضاعته .

فقالت لی هند : أو ما علمت شأنه .

فقلت وأنا فرّج : ما شأنه ؟

قالت یزعم أنه رسول الله .

فوقدنتی ، وتذكرت قولَ النصرانی ، فرجفت حتی قالت لی هند : مالك ؟ فاتتبت فقلت : إن هذا هو الباطل ، لهو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلی والله إنه ليقول ذلك ويدعو إليه ، وإن له لصحابة على دینه . قلت : هذا هو الباطل .

قال : وخرجت ، فبینما أنا أطوف بالبيت إذ بی قد لقيته ، فقلت له : إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فیها خیر ، فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فیها ما آخذ من قومی . فأبی علی وقال : إذن لا آخذها . قلت : فأرسل فخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومی . فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غیره .

قال أبو سفیان : فلم أنشب أن خرجت إلى الیمین . ثم قدّمت الطائف فنزلت على أمیة بن أبی الصّلّت ، فقال لی : یا أبا سفیان . [قلت] : ما تشاء [قال] : هل تذكر قولَ النصرانی ؟ فقلت أذكره وقد كان . فقال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله . قال : ابنُ عبد المطلب ؟ قلت : ابن عبد المطلب . ثم قصصت علیه خبرَ هند .

قال : فالله یعلم . وأخذ یتصبب عرقاً .

ثم قال : والله يا أبا سفيان لعلة ، إنَّ صفته لهى ، ولئن ظهر وأنا حتى للأطابن من الله عز وجل فى نصره عُدرا .

قال : ومضيت إلى اليمى فلم أنشب أن جئنى هنالك استهلاؤه ، وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبى الصلت بالطائف فقلت : يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بَلَغَكَ وسمعتَه .

فقال : قد كان لعمرى .

قلت : فأين أنت منه يا أبا عثمان ؟

فقال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثَقِيف أبدا !

قال أبو سفيان : وأقبلت إلى مكة ، فوالله ماأنا ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يُضْرَبُونَ وَيُحْقَرُونَ .

قال أبو سفيان : فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ فدخلنى ما يدخل الناس من النفاسة .

وقد رواه الحافظ البيهقى فى كتاب « الدلائل » من حديث إسماعيل بن طريح به ، ولكن سياق الطبرانى الذى أوردناه أتم وأطول . والله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا بكر بن أحمد بن نُفَيْل ، حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهرى ، حدثنا مُجاشع بن عمرو الأسدى ، حدثنا ليث بن سعد ، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير ، عن معاوية بن أبى سفيان ، عن أبى سفيان بن حرب ، أن أمية بن أبى الصلت كان بَغَزَةً أو يَأِيلِيَاءَ ، فلما قفنا قال لى أمية : يا أبا سفيان هل لك أن تتقدم على الرُقَّة فتحدث ؟ قلت : نعم . قال : ففعلنا .

فقال لى : يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة ؟ قلت : كريم الطرفين . [قال] : ويحْتَنِبُ
الحارمَ والمَظالمَ ؟ قلت : نعم .

قال : وشريف مُسنٍ ؟ قلت : وشريف مسن .

قال : الشرف والسن أزرِيَا به .

فقلت له : كذبت ، ما ازداد سنًّا إلا ازداد شرفا .

قال : يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحدا يقولها لى منذ تبصَّرت ، فلا تعَجَلْ علىَّ
حتى أخبرك . قال قلت : هات .

قال : إني كنت أجد فى كتبى نبيًّا يُبعث من حرَّتنا هذه ، فكنت أظن بل كنت
لا أشك أنى أنا هو ، فلما دارستُ أهلَ العلم إذا هو من بنى عبد مناف ، فنظرت فى بنى
عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتنى بسنه عرفت
أنه ليس به ، حين جاوز الأربعين ولم يُوحَ إليه .

قال أبو سفيان : فضرب الدهرُ ضَرْبَهُ ، فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وخرجتُ فى ركبٍ من قريش أريد اليمن فى تجارة ، فمرت بأمية فقلت له كالمستهزئِ
به : يا أمية قد خرج النبیُّ الذى كنت تنعت .

قال : أما إنه حقٌّ فاتَّبِعْهُ .

قلت : ما يمنعك من اتباعه ؟

قال : ما يمنعنى إلا الاستحياء من نساء قَئِيف ، إني كنت أحدثهن أنى هو ، ثم
يرَينَنى تابعا لعلام من بنى عبد مناف !!

ثم قال أمية : كَأْنى بك يا أبا سفيان قد خالفتَه ثم قد رُبِطْتُ كما يُرَبَطُ الجَدْيُ حتى
يؤتَى بك إليه فيَحْكُمُ فيك بما يريد .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الكَلْبِيِّ ، قال : بينا أُمِيَّة راقدة ومعه ابنتان له إذ فرغت إحداها فصاحت عليه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت رأيت نسرين كَشَطَا سقفَ البيت فنزل أحدهما إليك فَشَقَّ بطنك ، والآخر واقف على ظهر البيت ، فناداه فقال : أَوْعَى ؟ قال : نعم . قال : أَرَاكَ ؟ قال : لا .

فقال : ذاك خير أريد بأبيكما فلم يفعله .

وقد روى من وجه آخر بسياق آخر ، فقال إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق : عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، وعثمان بن عبد الرحمن ، عن الزهري ، عن سعيد ابن المسيَّب ، قال : قدمت الفارعةُ أختُ أُمِيَّة بن أبي الصلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة^(١) ، وكانت ذات لُبٍّ وعقل وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها مُعْجَبًا . فقال لها ذات يوم : يا فارعة ، هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ فقالت : نعم ، وأَعْجَبَ من ذلك ما قد رأيت .

قالت : كان أخى فى سفر ، فلما انصرف بدأنى فدخل علىَّ فرقد على سريري وأنا أخلق أديماً فى يدي ، إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين ، فوقع على الكوة أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه ، فشق الواقعُ عليه ما بين قصَّه^(٢) إلى عاتقه ثم أدخل يده فى جوفه فأخرج قلبه فوضعه فى كفه ثم شمه ، فقال له الطائر الآخر : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَرَاكَ ؟ قال : أبى . ثم رَدَّ القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفه عين . ثم ذهب .

فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته ، فقلت هل تجد شيئاً ؟ قال : لا إلا توهيناً فى جسدى . وقد كنت ارتعت مما رأيت ، فقال : مالى أرائكِ مرتاعة ؟ قالت : فأخبرته

(١) الأَرَجَح أنه بعد فتح الطائف ، كفى أسد الغابة والإصابة والاستيعاب . لأن أُمِيَّة كان يقيم بالطائف .

(٢) القص : الصدر

الخبر . فقال : خير أريد بي ثم صُرف عني . ثم أنشأ يقول :

بات هموى تسرى طوارقها أكف عيني والدمع سابقها
 مما أتاني من اليقين ولم أوتَ بَرَاةً يَقْصُ ناطقها
 أَمِّنْ تَلْظَى عليه واقدة الذ ار محيطة بهم سرادقها
 أم أسكن الجنة التي وعد أبرار مصفوفة تمارقها
 لا يستوى المنزلان ثم ولا أعمال لا تستوى طرائقها
 هما فريقان فرقة تدخل الجنة حقت بهم حداقها
 وفرقة منهم قد أدخلت النار فساءتهم مرافقها
 تعاهدت هذه القلوب إذا همت بخير عاقت عوائقها
 وصدها للشقاء عن طلب جنة دُنْيَا الله ماحقها
 عبد دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير رامقها
 ما رغب النفس في الحياة ؟ وإن تحيا قليلا فالموت لاحقها
 يوشك من فر من مَنِيَّتِه يوما على غيرة يوافقها
 إن لم تمت غبطة تمت هراما للموت كأس والمرء ذائقها

قال : ثم انصرف إلى رحله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى ظعن في جنازته ^(١) ، فأتاني الخبر فانصرفت إليه فوجدته منعوشاً قد سُجِّي عليه ، فدنوت منه فشقق شهقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته وقال : لبيكاً لبيكاً ، ها أنا ذا لديكاً ، لا ذو مال فيفديني ولا ذو أهل فتحميني .

ثم أغمى عليه إذ شقق شهقة ، فقلت قد هلك الرجل .

(١) كذا في تاريخ ابن عساكر ١٢٥/٣ . وكان الأصل : طعن في حيارته . وهو تحريف .

فشق بصره نحو السقف فرفع صوته . فقال : لييكما لييكما ها أنا ذا لديكما ،
لا ذو براءة فأعتذر ، ولا ذو عشيرة فأنتصر .

ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة وشق بصره ونظر نحو السقف فقال : لييكما لييكما ،
ها أنا ذا لديكما ، بالنعم محفود وبالذنب محصود .

ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة فقال : لييكما لييكما ها أنا ذا لديكما .
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرِ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أُلْمَا
ثم أغمى عليه إذ شهِق شُهقة فقال :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قَلَالِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا
قالت : ثم مات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا فارعة إن مثل أخيك
كمثل الذي آتاه الله آياته فانسُخ منها » الآية .

وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الزُّهْرِي أنه قال : قال أمية بن أبي
الصلت :

أَلَا رَسُولٌ لَنَا مِنَّا يُخَبِّرُنَا مَا بُعْدُ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَجْرَانَا

قال : ثم خرج أمية بن أبي الصلت إلى البحرين ، وتنبأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وأقام أمية بالبحرين ثمانين سنين ، ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد بن عبد الله ؟
قالوا : يزعم أنه نبي ، هو الذي كنت تتمنى .

قال : فخرج حتى قدم عليه مكة فلقيه ، فقال : يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي
تقول ؟ قال : أقول إني رسول الله وأن لا إله إلا هو . قال : إني أريد أن أكلّمك

فَعِدْنِي غَدًا . قال فوعدك غدا . قال فتحب أن آتيك وحدى أو فى جماعة من أصحابى ، وتأتينى وحدك أو فى جماعة من أصحابك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ذلك شئت . قال : فى آتيك فى جماعة ، فأنت فى جماعة .

قال : فلما كان الغد غداً أميةُ فى جماعة من قريش . قال : وغداً رسول الله صلى الله عليه وسلم معه نفر من أصحابه ؛ حتى جلسوا فى ظل الكعبة . قال : فبدأ أمية نغطب ثم سجع ثم أنشد الشعر ، حتى إذا فرغ الشعر قال : أجبنى يا ابن عبدالمطلب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم . يس والقرآن الحكيم) حتى إذا فرغ منها وثبَ أميةُ يجرُّ رجله . قال : فتبعته قريش يقولون : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق . فقالوا : هل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر فى أمره .

قال : ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما قُتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرًا ، ثم ترحل يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل : يا أبا الصلت ما تريد ؟ قال : أريد محمداً . قال : وما تصنع ؟ قال : أومن به وألقى إليه مقاليدَ هذا الأمر . قال : أنتدرى من فى القليب ؟ قال : لا . قال : فيه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما ابنا خالك - وأمه ربيعة بنت عبد شمس - قال : فجَدَعُ أَذْنِي نَاقْتَهُ وَقَطَعَ ذَنْبَهَا ، ثم وقف على القليب يقول :

مَا ذَا بَيْدَرٍ فَالْعَقَنُ قَلَّ مِنْ مَرَاذِيهِ جَحَاحِحُ

القصيدة إلى آخرها ، كما سيأتى ذكرها بتمامها فى قصة بدر إن شاء الله .

ثم رجع إلى مكة والطائف وترك الإسلام .

ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم ، وأنشد شعره عند الوفاة :

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا

فاجعل الموت نصبَ عينيك واحذر غَوْلَةَ الدهر إن للدهر غُولا
نائلاً ظَفَرها القساورَ والصد عان والطفلَ في المنار الشَّكِيلا
وبغاثَ النِياف واليَعْفَرِ النا فرَ والعَوْهَجِ البرام الضئيلا

فقوله : القساور جمع قَسَوْرَة وهو الأسد . والصدعان : ثيران الوحش واحدها صدع .
والطفل الشَّكِيل : من الشَّكْلَة وهي حمرة في العين ^(١) ، والبغاث : الرَّخَم . والنِياف :
الجبال : واليَعْفَر : الظبي . والعَوْهَج : ولد النعامة .

يعنى أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البرارى ولا الرَّخَم الساكنة في رؤوس
الجبال ، ولا يترك صغيرا لصِغره ولا كبيرا لكِبَره . وقد تكلم الخطابي وغيره على
غريب هذه الأحاديث .

وقد ذكر السهيلي في كتابه « التعريف والإعلام » أن أمية بن أبي الصلت أول من
قال « باسمك اللهم » وذكر عند ذلك قصة غريبة .

وهو أنهم خرجوا في جماعة من قریش في سفر ، فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان .
قال : فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها ، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل
تلك الحية ، ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفرت الإبلَ عن آخرها ، فذهبت
وشردت كل مذهب ، وقاموا فلم يزلوا في طلبها حتى ردوها ، فلما اجتمعوا جاءتهم أيضا
فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا في طلبها ، فلما أعياهم ذلك قالوا : والله
هل عندك لما نحن فيه من مَحْرَج ؟ فقال : لا والله ، ولكن سأنظر في ذلك . قال :
فساروا في تلك الحلة لعالمهم يجدون أحدا يسألونه عما قد حل بهم من العناء ، إذا نار تلوح
على بُعد ، فجاءوها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد نارا ، وإذا هو من الجان في غاية
الضلالة والدمامة ، فسلموا عليه فسألهم عما هم فيه ، فقال : إذا جاءكم قتل باسمك اللهم .
فإنها تهرب ، فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال في وجهها أمية : باسمك اللهم

(١) الأصل : والطفل الشكل من حمرة العين . وما أثبتته من ابن عساكر .

فشردت ولم يَقَرَّ لها قرار ، لكن عَدَتَّ الجنُّ على حَرْبِ بن أمية فقتلوه بتلك الحية ،
فقبره أصحابه هنالك حيث لا جار ولا دار ، ففي ذلك يقول الجان :

وقبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَقَرٍ وليس قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكر بعضهم : أنه كان يتفرَّس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات ، فكان
يمرُّ في السَفَرِ على الطير فيقول لأصحابه : إن هذا يقول كذا وكذا . فيقولون لا نعم
صدق مايقول . حتى مروا على قطيع غنم قد انقطعت منه شاة ومعه ولدها ، فالتفتت
إليه ففَعَّتْ كأنها تستحُّه . فقال : أتدرون ما تقول له ؟ قالوا : لا . قال : إنها تقول :
أسرع بنا لا يحمي الذئب فياً كلك ، كما أكل الذئب أخاك عام أول . فأسرعوا حتى
سألوا الراعى : هل أكل له الذئب عام أولََ كَحَلَا بتلك البقعة ؟ فقال : نعم . قال : ومرَّ
يوماً على بعير عليه امرأة رابكة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو ، فقال : إنه يقول لها :
إنك رَحَلْتينى وفي الحداجة^(١) مَخِيط . فأنزلوا تلك المرأة وحلَّوا ذلك الرَّحْلَ فإذا فيه
مخيط كما قال .

وذكر ابن السكيت : أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوماً إذ نَعَبَ غراب ،
فقال : له بفيك التراب مرتين .

فقيل له : مايقول ؟ فقال إنه يقول : إنك تشرب هذا الكأس الذى فى يدك ثم تموت .
ثم نعب الغراب فقال : إنه يقول : وآية ذلك أنى أنزل على هذه المزبلة فأكل
منها فيعلق عظم فى حلقى فأموت . ثم نزل الغراب على تلك المزبلة فأكل شيئاً فعلق
فى حلقه عظم فمات .

فقال أمية : أمّا هذا فقد صدق فى نفسه ، ولكن سأنظر هل صدق فى أم لا . ثم
شرب ذلك الكأس الذى فى يده ثم اتكأ فمات .

(١) الحداجة : مركب للنساء كالخفّة .

وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن مهدي ، عن الثوري ، عن عبد الملك بن عمير ،
عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أصدق
كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

* ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ *

وكاد أُمّية بن أبي الصلت أن يُسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا زكرياء بن إسحاق ، حدثنا إبراهيم
ابن ميسرة ، أنه سمع عمرو بن الشريد يقول : قال الشريد : كنت رِدْفًا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لي : « أَمَعَكَ من شعر أُمّية بن أبي الصلت شيء ؟ » قلت نعم قال :
فأنشدني . فأنشدته بيتًا ، فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتًا : إيه . حتى أنشدته مائة بيت .
قال : ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكت .

وهكذا رواه مسلم من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن أبي تميم بن ميسرة به . ومن
غير وجه عن عمرو بن الشريد ، عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم . وفي بعض الروايات فقال رسول الله : « إن كاد يُسلم » .

وقال يحيى بن محمد بن صاعد : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ،
حدثنا حاتم بن أبي صُفْرة ، عن سَمَّاك بن حرب ، عن عمرو بن نافع ، عن الشريد
الهمداني ، وأخواله ثقيف ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع ، فبينما أنا أمشي ذات يوم إذا وَقَعُ ناقة خَلْفِي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال الشريد ؟ فقلت : نعم . قال : ألا أحملك ؟ قلت : بلى . وما بي من إعياء ولكني
أردت البركة في ركوبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنانخ فحَمَانِي فقال :
أَمَعَكَ من شعر أُمّية بن أبي الصلت ؟ قلت : نعم . قال هات . فأنشدته . قال أظنه
قال مائة بيت . فقال : « عند الله عِلْمُ أُمّية بن أبي الصلت » .

ثم قال ابن صاعد : هذا حديث غريب . فأما الذى يُروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى أمية : « آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ » فلا أعرفه . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبى شيبه - حدثنا عبد الله بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّق أمية فى شىء من شعره قال :

رَجُلٌ ^(١) وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ
وَالشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمَاءٌ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ
تَأْبَى فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ ^(٢) .

وفى رواية أبى بكر الهمذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الشمس لا تَطْلُعُ حَتَّى يَنْخَسَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُولُونَ ^(٣) لَهَا : اطْلَعِي اطْلَعِي . فتقول : لا أطلع على قوم يعبدوننى من دون الله . فإذا هَمَّتْ بِالطَّلُوعِ أَتَاهَا شَيْطَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُطَهَا فَتَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ وَتَحْرِقُهُ ، فَإِذَا تَصَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ عَزَمَتْ اللَّهُ عِزَّ وَجَلْ ، فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُطَهَا عَنِ السَّجُودِ فَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ وَتَحْرِقُهُ . أورده ابن عساكر مطولاً .

ومن شعره فى حَمَلَةِ الْعَرْشِ :

فَمِنْ حَامِلٍ إِحْدَى قَوَائِمِ عَرْشِهِ وَلَوْلَا إِلَهُ الْخَلْقِ كَلُّوا وَأَبْلَدُوا
قِيَامٌ عَلَى الْأَقْدَامِ عَانُونَ تَحْتَهُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ تَرَعَدُوا

(١) فى المطبوعة : زحل وهو كذلك فى الإصابة وجمع الزوائد وما أثبتته عن نسخة ١ ومسنده أحمد . والمراد أن هناك ملائكة فى صورة الرجال وآخرين فى صورة الثيران كما ذكر الجاحظ فى الحيوان ٢٢١/٦ - ٢٢٢ .
(٢) المسند حديث رقم ٢٣١٤ (٣) الأصل والمطبوعة : يقول .

رواه ابن عساكر .

وروى عن الأصمى أنه كان ينشد من شعر أمية :

تَجَدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْجَدِّ أَهْلٌ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَصَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا
شَرَجًا^(١) [مَا] يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ نَ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةَ صُورًا
ثُمَّ يَقُولُ الْأَصْمَى : الْمَلَائِكَةُ جَمْعُ مَلَكٍ ، وَالصُّورُ جَمْعُ أَصَوْرٍ وَهُوَ الْمَائِلُ الْعِنَقُ ،
وَهَؤُلَاءِ حَمَلَةُ الْعَرْشِ .

ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمي :

أَذْكَرَ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحِيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لَا يَفِيَّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
يُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُودًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَرَهُ الشَّتَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضُ مَكْرُمَةٍ بَلَّتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهُ السَّمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ النُّورُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
وَلَهُ فِيهِ مَدَائِحُ أُخَرُ .

وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الأجواد الممدحين المشهورين ، وكان له جَفَنَةٌ يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عُرْضِ حَاقَتِهَا وكثرة طعامها ، وكان يملأها لبابَ البُرِّ يُدَبِّكُ بالشهد والسمن ، وكان يعتق الرقاب ويعين على النوائب ، وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم أينفعه ذلك ؟ فقال : إنه لم يقل يوما من الدهر : (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) .

ومن شعر أمية البديع :

لا يَنْكُثُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سَوَالِهِمْ كَتَطَلَّبِ الْعِلَالَتِ بِالْعِيدَانِ
 بل يُسْفِرُونَ وجوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 وَإِذَا الْمَقِيلُ أَقَامَ وَسَطَ رَحْلِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ
 وَإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِكُلِّ مُلَّةٍ سَدُّوا شِعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
 آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت .

بَحِيرَا الرَّاهِبِ

الذى تؤسم في رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة وهو مع عمه أبي طالب ، حين قدم الشام في تجار من أهل مكة ، وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، فرأى الغمامة تظله من بينهم ، فصنع لهم طعاما ضيافةً ، واستدعاهم . كما سيأتى بيان ذلك في السيرة .
 وقد روى الترمذى في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك ، وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بَحِيرَا ، ولم يورد ما رواه الترمذى وهذا عَجَب .

وذكر ابن عساكر أن بَحِيرَا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بُصْرَى ستة أميال ، وهى التى يقال لها « دير بَحِيرَا » قال ويقال : إنه كان يسكن قرية يقال لها منفعة بالبلقاء وراء زيرا . والله أعلم .

ذِكْرُ قَسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيّ

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب «هواتف الجن» :
حدثنا داود القنطري ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني أبو عبد الله المشرقي ، عن أبي
الحارث الوراق ، عن ثور بن يزيد ، عن مَورِقِ العجلي ، عن عبادة بن الصامت . قال :
لما قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال : يامعشر وفد إياد، ما فعل قس بن ساعدة
الإيادي ؟ قالوا : هلك يارسول الله . قال : لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر
يتكلم بكلام مُعْجِبٍ مُوْنِقٍ لا أجدني أحفظه . فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال :
أنا أحفظه يارسول الله . قال : فسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . قال : فكان بسوق
عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : يامعشر الناس اجتمعوا ، فكلُّ مَنْ فات فات ، وكل
شئ آتٍ آت ، ليل دَاجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وبحر عجاج ، نجوم تزهـر ، وجبال
مُرْساة ^(١) ؛ وأنهار مُجْراة ^(٢) ؛ إن في السماء لخبـراً ، وإن في الأرض لـعبـراً ، مالى أرى
الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا . أقسم قس بالله
قَسَماً لا ريب فيه ، إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا . ثم أنشأ يقول :

في	الذاهبين	الأولي	ن من القرون لنا بصائر
لما	رأيت	مَواردًا	للموت ليس لها مَصَادِرُ
ورأيت	قَوْمِي	نَحْوَهَا	يمضي الأصغرُ والأكبرُ
لا مَنْ	مَضَى	يَأْتِي	إِلَيْهِ
أَيْقَنْتُ	أَنِّي	لَا مَحَا	لَهُ
			حيث صار القومُ صائرُ

(١) الأصل والمطبوعة : مرسية وهو خطأ (٢) الأصل والمطبوعة : مجرية وهو خطأ .

وهذا إسناد غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه « المعجم الكبير » : حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي ، حدثنا محمد بن حسان السهمي ، حدثنا محمد بن الحجاج ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس . قال : قدم وفدُ عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف القس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يعرفه يا رسول الله . قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : « فما أنساه بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جبل أحر ، وهو يخطب الناس وهو يقول : يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعُوا ، مَنْ عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آت آت . إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لخبراً ، مهَاد موضوع ، وسَقَف مرفوع ، ونجوم تَمُور ، وبحار لا تغور . وأقسَم قُسٌ قَسماً حقاً لئن كان في الأمرِ رِضًى ليكون بعده سخط ، إن لله لَدِيناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أتم عليه . مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ ! أَرْضُوا بالمقام فأقاموا ، أم تَرِكُوا فناموا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفیکم من بروی شعره ؟ فأنشده بعضهم :

في الذهبين الأولين من القرون لنا بصائرُ
لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادِرُ
ورأيت قومي نحوها يسعى الأصغرُ والأكبرُ
لا يرجعُ الماضي إلى ولا من الباقي غابرُ
أيقنتُ أني لا تحبُّ لة حيث صار القومُ صائرُ

وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه « دلائل النبوة » من طريق محمد بن حسان السهمي به . وهكذا رويناه في الجزء الذي جمعه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس ، قال : حدثنا عبد الكريم بن الهيثم

الدَّيْرَ عَا قُولِي^(١) ، عن سعيد بن شَيْبٍ ، عن محمد بن الحجاج أبو^(٢) إبراهيم الواسطي
نزِيل بَغْدَاد ، ويعرف بصاحب الهريسة ، وقد كَذَّبَهُ يَحْيَى بن مَعِين وأبو حاتم الرازي
والدارقطني ، واتهمه غير واحد منهم ابن عَدِيّ بوضع الحديث .

وقد رواه البَزَّاز وأبو نُعَيْم من حديث محمد بن الحجاج هذا ، ورواه ابن درستويه
وأبو نعيم من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق أمثل من
التي قبلها . وفيه أن أبا بكر هو الذي أورد القصة بكاملها نَظْمَهَا ونَثَرَهَا بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق الخطمي^(٣) حدثنا
علي بن الحسين بن محمد الخزومي ، حدثنا أبو حاتم السَّجِسْتَانِي ، حدثنا وهب بن جرير ،
عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرِي ، عن سعيد بن المسيَّب عن ابن عباس ، قال : قَدِمَ
وفدُ بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : « ما فعل حليفُ لكم
يقال له قُتْسٌ بن ساعدة الإيادي » وذكر القصة مطولة .

وأخبرنا الشيخ المسند الرَّحْلة أحمد بن أبي طالب الحجار ، إجازة إن لم يكن سماعاً ،
قال : أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني ، قال أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد
بن إبراهيم السَّكَنِي سماعاً . وقرأت على شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي ، أخبرنا أبو علي
الحسن بن علي بن أبي بكر الخلَّال سماعاً ، قال أنبأنا جعفر بن علي سماعاً ، قال أنبأنا السَّكَنِي
سماعاً ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن أحمد

(١) هو أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران القطان : نسب إلى دير العاقول وهو قرية
من أعمال بغداد ، روى عنه البغوي والترمذي وغيرهما ، وكان ثقة ، توفي في شعبان سنة ٢٧٨ .

(٢) خ ط : عن إبراهيم الواسطي وهو خطأ شنيع . وكان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ، ووضع
حديثاً في شأنها . ميزان الاعتدال ٤٠/٣ ، وفي خ ط : الفريسة وهو تحريف .

(٣) ينسب إلى بطن من الأنصار ، وهم بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة . وفي الأصل
والطبوعة الخطمي وهو تحريف .

ابن عيسى السَّعْدِي ، أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي قاضي فارس ، حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي من أهل حرَّان ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن يَرْبُوع ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : كان الجارود بن المعلّى بن حنش بن معلّى العبدي نصرانياً حَسَنَ المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ، عالماً بِسِرِّ الفُرسِ وأقوالها ، بصيراً بالفلسفة والطب ، ظاهر الدهاء والأدب ، كامل الجمال ذا ثروة ومال ، وإياه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً في رجال من عبد القيس ذوى آراء وأسنان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان ، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وقف بين يديه وأشار إليه وأنشأ يقول :

يَانِيَّ الْهُدَى أَتَتَكَ رَجَالٌ	قَطَعَتْ فَدَفْدَأً وَآلاً فَآلاً ^(١)
وَطَوَتْ نَحْوَكَ الصَّاحِصَ تَهْوِي ^(٢)	لَا تَعُدُّ الْكِلَالَ فَيْكَ كَلَالاً
كُلُّ بَهْمَاءٍ قَصَرَ الطَّرْفُ عَنْهَا	أَرْقَلَتْهَا قِلَاصُنَا إِرْقَالاً ^(٣)
وَطَوَّهَ الْعِتَاقُ يَمْحُ فِيهَا	بِكُؤْمَةٍ كَانِجِمٍ تَتَلَا
تَبْتَغِي دَفْعَ بَأْسِ يَوْمٍ عَظِيمٍ	هَائِلٍ أَوْجَعَ الْقُلُوبَ وَهَالاً
وَمَزَاداً لِحُشْرِ الْخَلْقِ طُرّاً	وَفِرَاقاً لِمَنْ تَمَادَى ضَلَالاً
نَحْوَ نُورٍ مِنَ الْإِلَهِ وَبُرْهَا	نَ وَبِرٍّ وَنِعْمَةٍ أَنْ تُنَالاً
خَصَّكَ اللَّهُ يَا ابْنَ أَمْنَةٍ الْخ	يَرْبَهَا إِذْ أَتَتْ سِجَالاً سَجَالاً
فَاجْعَلِ الْحِظَّ مِنْكَ يَا حُجَّةَ الْا	هَ جَزِيلاً لَا حِظَّ خَلْفٍ أَحَالاً

(١) الفدغد : الفلاة . والآل : السراب . (٢) الصاحص : جمع صحصح وهو ما يستوى من الأرض
(٣) الإرقال : الإسراع .

قال : فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مجلسه وقال له : يا جارود لقد تأخر الموعد^(١) بك وبقومك .

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي ، أمّا مَنْ تأخّر عنك فقد فاتته حظه وتلك أعظم حُوبة وأغلظ عقوبة ، وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعذاك واتبع سواك وإني الآن على دين قد علمت به ، قد جئتك وها أنا تاركه لديّك ، أفذلك مما يحصّ الذنوب والمآثم والحبوب ، ويرضى الربّ عن المريب ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ضامن لك ذلك ، وأخلص الآن الله بالوحدانية ودّع عنك دين النصرانية .

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي مُدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله .

قال : فأسلم وأسلم معه أناس من قومه .

فسرّ النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، وأظهر من إكرامهم ما سرّوا به وابتهجوا به .

ثم أقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أفبكم من يعرف قسّ بن ساعدة الإيادي ؟

فقال الجارود : فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه ، وإني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره .

كان قسّ^٢ يارسول الله سبطاً من أسباط العرب ، عمر ستّائة سنة تقفّر منها خمسة

(١) الأصل والمطبوعة : الموعد . وهو خطأ .

أعمار في البراري والقفار ، يضج بالتسبيح على مثال المسيح ، لا يقره قرار ولا تكنه دار
ولا يستمتع به جار ، كان يابس الأساح ويفوق السباح ، ولا يفتر من رهبانته ، يتحسى
في سياحته يئس النعام ويأنس بالهوام ، ويستمتع بالظلام ، يُبصر فيعتبر ، ويفكر فيختبر .
فصار لذلك واحداً تضرب بحكمته الأمثال ، وتُكشَف به الأحوال ، أدرك رأس
الحواريين سمعان .

وهو أول رجل تأله من العرب ووحد ، وأقرَّ وتعبد ، وأيقن بالبعث والحساب ،
وحذّر سوء المسآب ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، ووعظ بالموت ، وسلم بالقضا ، على
السخط والرضا ، وزار القبور ، وذكر النشور ، ونذب بالأشعار ، وفكر في الأقدار ،
وأنبأ عن السماء والنماء ، وذكر النجوم وكشف الماء ، ووصف البحار ، وعرف الآثار ،
وخطب راكباً ، ووعظ دائباً ، وحذّر من الكرب ومن شدة الغضب ، ورسل الرسائل ،
وذكر كل هائل ، وأرغم في خطبه ، وبين في كتبه ، وخوف الدهر ، وحذّر الأزر ،
وعظم الأمر ، وجنب الكفر ، وشوق إلى الخيفية ، ودعا إلى اللاهوتية .

وهو القائل في يوم عكاظ : شرقٌ وغرب ، ويتم وحزب ، وسلم وحرب ،
ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ،
وإناث وذكور ، وبرار وبحور ، وحَب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجَمع وأشئات ،
وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسرٌ وإعدام ، وربٌّ وأصنام ، لقد ضل
الأنام ، نشوُّ مولود ، ووأدُ مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ،
تنبأ لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل عمله ، وليفقدن الآمل أمله ، كلا بل هو إله
واحد ، ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكرو الأنثى ،
ربُّ الآخرة والأولى .

أما بعد : فيامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ وأين العليل
والعواد ؟ كلُّ له معاد ، يُقسم قس برب العباد ، وساطح المهاد ، لتحشرون على الانفراد ،
في يوم التناد ، إذا نفخ في الصور ، ونقر في الناقور ، وأشرقت الأرض ، ووعظ الواعظ ،
فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ ، فويل لمن صدف عن الحق الأشهر ، والنور الأزهر ،
والعرض الأكبر ، في يوم الفصل ، وميزان العدل ، إذا حكم القدير ، وشهد النذير .
وبعد النصير ، وظهر التقصير ، ففريق في الجنة وفريق في السعير .

وهو القائل :

ذَكَرَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهِ أَدَّكَارُ وَلِيَالٍ خَلَاهُنَّ نَهَارُ
وَسَجَالٌ هَوَاطِلٌ مِنْ غَمَامِ تُرْبَ مَاءٍ وَفِي جَوَاهِنَّ نَارُ
ضَوْبَهَا يَطْمِسُ الْعْيُونَ وَأَرَعَا ذُ شِدَادٌ فِي الْخَافِقَيْنِ تَطَارُ
وَقُصُورٌ مَشِيدَةٌ حَوَتْ الْخِيَّةَ رَ وَأُخْرَى خَلَتْ فَنَنْ قِفَارُ
وَجِبَالٌ شَوَامِخٌ رَاسِيَاتٌ وَبِحَارٍ مِيَاهُنْ غِزَارُ
وَنَجُومٌ تَلُوحُ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ لَنْ نَرَاهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَدَارُ
ثُمَّ شَمْسٌ يَحْمِيهَا قَمَرُ اللَّيْلِ لَ وَكُلُّ مُتَابَعٍ مَوَارُ
وَصَفِيرٌ وَأَشْمَطٌ وَكَبِيرٌ كَلِمٌ فِي الصَّعِيدِ يَوْمًا مَزَارُ
وَكَثِيرٌ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ حَدْسُهُ الْخَاطِرُ^(١) الَّذِي لَا يَحَارُ
فَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى الْإِلَهِ هُ نَفُوسًا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مها نسيت فاست أنساه بسوق عكاظ ، واقفأ
على جل أحر يخطب الناس : اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعدوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ،
وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ ، مطر

(١) في الآليء المصنوعة : الناظر .

ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تُزهر ، وبحار
تزرخ ، وضوء وظلام ، وليل وأيام ، وبرٌّ وآثام ، إن في السماء خبراً ، وإن في الأرض
عبراً ، يحار فيهن البصرا ، مهّاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور ، وبحار
لا تغور ، ومنايا دَوَانٍ ، ودهر خَوَّانٍ ، كحدّ النسطاس ، ووَزَن القسطاس ،
أقسم قسّاً قسماً ، لا كاذباً فيه ولا آثماً ، لئن كان في هذا الأمر رضى ، ليكونن سخط .
ثم قال : أيها الناس إن الله دينا هو أحب إليه من دينكم هذا الذى أتم عليه ، وهذا
زمانه وأوانه . ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟
أم تركوا فناموا .

والنفت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى بعض أصحابه فقال : أيكم يروى شعره
لنا ؟ فقال أبو بكر الصديق : فذاك أبى وأمى أنا شاهد له في ذلك اليوم حيث يقول :

في الزاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائرُ
لما رأيت مَوَّارداً للموتِ ليس لها مَصَادِرُ
ورأيت قومي نَحْوَهَا يَمْضى الأصاغِرُ والأَكْبَرُ
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقيين غابرُ
أيقنتُ أنى لا محالاً حيث صار القوم صائرُ

قال : فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخ من عبد القيس عظيم الهامة ، طويل
القامة ، بعيد ما بين المنكبين فقال : فذاك أبى وأمى ، وأنا رأيت من قس مجباً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذى رأيت يا أخا بنى عبد القيس ؟
فقال : خرجت في شببتي أربع بعيراً لى ندّ عنى أقفوا أثره في تنائف قفاف ، ذات
ضفائيس ، وعَرَصات جَنَاجات بين صدور جُدعان ، وعمير حَوَذان ، ومهمه ظُلمان ،
ورصيع أيهُقان ، فبينما أنا في تلك الفلوات أجول بسببها ، وأرتق قدفدها ، إذا أنا بهضبة

في نَشْرَاتِهَا أَرَاكَ كَبَاثٌ مُخَضَّوْضَةً وَأَغْصَانُهَا مُتَهَدِّلَةٌ ، كَأَنَّ بَرِيرَهَا حَبُّ الْفُلْفُلِ وَبَوَاسِقُ أَقْحَوَانٍ ، وَإِذَا بَعَيْنُ خَرَّارَةٍ وَرَوْضَةٌ مُدْهَمَّةٌ ^(١) ، وَشَجَرَةٌ عَارِمَةٌ ، وَإِذَا أَنَا بِقُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ فِي أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : أَنْعِمْ صَبَاحًا . فَقَالَ : وَأَنْتِ فَتَنْعِمِ صَبَاحُكَ . وَقَدْ وَرَدَتْ الْعَيْنُ سَبَاعَ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَ كُلَّمَا ذَهَبَ سَبْعٌ مِنْهَا يَشْرَبُ مِنَ الْعَيْنِ قَبْلَ صَاحِبِهِ ضَرْبُهُ قُسٌّ بِالْقَضِيبِ الَّذِي بِيَدِهِ . وَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى يَشْرَبَ الَّذِي قَبْلَكَ . فَذُعِرْتُ مِنْ ذَلِكَ ذِعْرًا شَدِيدًا ، وَنَظَرْتُ إِلَى قَالٍ : لَا تَخَفْ . وَإِذَا بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ قَالَ : قَبْرَا أَخَوَيْنِ كَانَا يَعْبُدَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْمَوْضِعِ . فَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا أَعْبُدُ اللَّهَ بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا أَعْبُدُ اللَّهَ حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَفَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ فَتَكُونَ مَعَهُمْ فِي خَيْرِهِمْ وَتُبَايِنَهُمْ عَلَى شَرِّهِمْ ؟ فَقَالَ لِي : ثَكَلْتُكَ أُمِّكَ ! أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ تَرَكَوْا دِينَ آبَائِهِمْ وَاتَّبَعُوا الْأَضْدَادَ وَعَظَّمُوا الْأَنْدَادَ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرَيْنِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

خَلِيلٌ هُبًّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا	أَجَدُّ كَمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكَمَا
أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكَمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكَمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَجِييانِ دَاعِيَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكَمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بَنَجْرَانِ مُفْرَدَا	وَمَالِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكَمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	إِيَابَ اللَّيَالِي أَوْ يَحْيَبَ صَدَاكَمَا
أَبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يَرُدُّ عَلَى ذِي لَوْعَةٍ أَنَّ بَكَاكَمَا
فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ امْرَأَةٍ فِدَايَ	لَجَدْتُ بِنَفْسِي أَنَّ تَكُونُ فِدَاكُمَا

(١) التناثف : جمع تنوفة وهي المفازة . والقفاف : جمع قف ، وهو حجارة غاص بعضها ببعض لا تتخالطها سهولة . والضغاييس : أغصان الزَّام والشوك التي تؤكل . والجثجات : نبت . والجذعان : صغار الجبال . والحوذان : نبت . والظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والأيهقان : عشب يطول وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل أو الجرجير البري . والكبات : النضيج من ثمار الأراك . والمخضوضلة : المبتلة . والبرير : الأول من ثمر الأراك . والمدهامة : الخضراء تضرب إلى السواد نعمة ورثا .

كأنكما والموت أقرب غاية بروحى فى قبري كما قد أنا كما

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قسًا ، أما إنه سيبعث يوم القيامة أمةً وحده .

وهذا الحديث غريب جداً من هذا الوجه وهو مُرْسَل ، إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود . والله أعلم .

وقد رواه البيهقي ، والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد ابن عيسى بن محمد بن سعيد القرشي الأخبارى : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . قال : قدم الجارود بن عبد الله فذكر مثله أو نحوه مطولا بزيادات كثيرة فى نظمه ونثره ، وفيه ما ذكره عن الذى ضلّ بغيره فذهب فى طلبه قال : فبتُّ فى وادٍ لا آمن فيه حتفى ، ولا أركن إلى غير سيفي ، أقرب الكوكب ، وأرقم الغيب ، حتى إذا الليل عسعس ، وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ فى الليل الأجمِ قد بعث الله نبيًا فى الحرمِ
من هاشمٍ أهلِ الوفاء والكرمِ يَجْلُو دُجَيَّاتِ الدِّيَاجِى والبهمِ

قال : فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً ولا سمعت له فخصاً ، قال فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتفُ فى داجى الظلمِ أهلاً وسهلاً بك من طيفِ ألمِ
بين هداك الله فى لحن الكلامِ ماذا الذى تدعو إليه يُغْتَمِّمُ ؟

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً بالحُبُور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغْفَر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقر ،

والطرف الأحرور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، وذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبثاً
لم يُخلِّنا يوماً سُدًى من بعد عيسى واكثرث
أرسل فينا أحداً خير نبيّ قد بعث
صلى عليه الله ما حجّ له ركب وحث
وفيه من إنشاء قس بن ساعدة :

يَا نَاعِي المَوْتِ والمَلْحُودِ فِي جَدَّتِ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا ثَوْبِهِمْ ^(١) خِرْقُ
دَعْنِهِمْ فَإِنَّ لَّهُمْ يَوْمًا يُصَاحُّ بِهِمْ
فَهُمْ إِذَا انْتَبَهَوْا مِنْ نَوْمِهِمْ أَرْقَوْا
حَتَّى يَعُودُوا بِحَالٍ غَيْرِ حَالِهِمْ
خَلَقًا جَدِيدًا كَمَا مِنْ قَبْلِهِ خَلَقُوا
مِنْهُمْ عِوَاذًا وَمِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ
مِنْهَا الْجَدِيدُ وَمِنْهَا الْمُنْهَجُ ^(٢) الْخَلْقُ

ثم رواه البيهقي عن أبي محمد ^(٣) بن عبد الله بن يوسف بن أحمد الأصبهاني حدثنا أبو بكر أحمد بن سعيد بن فرّضخ الأخمسي بمكة ^(٤) ، حدثنا القاسم بن عبد الله بن مهدي ، حدثنا أبو عبد الله سعيد بن عبد الرحمن الخزومي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فذكر القصة وذكر الإنشاد قال فوجدوا عند رأسه صحيفة فيها :

يَا نَاعِي المَوْتِ والأَمْوَاتِ فِي جَدَّتِ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَقَايَا ثَوْبِهِمْ ^(١) خِرْقُ
دَعْنِهِمْ فَإِنَّ لَّهُمْ يَوْمًا يُصَاحُّ بِهِمْ
كَأَيُّ ذَنْبٍ لَهُ مِنْ نَوْمَاتِهِ الصَّعِقُ

(١) المطبوعة : نومهم ، وهو خطأ . (٢) المنهج : الثوب الذى أسرع فيه إلى .
(٣) المطبوعة : محمد ، وهو خطأ . (٤) ذكر الدارقطني أن أحمد بن سعيد بن فرضخ روى عن القاسم بن عبد الله بن مهدي أحاديث موضوعة كلها كذب لا تحمل روايتها ، والحمل فيها على ابن فرضخ فإنه المتهم بها فإنه كان يركب الأسانيد ويضع عليها الأحاديث . انظر اللآلئ للصنوعة ١٨٦/١ .

منهم عرارة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث » . وأصله مشهور ، وهذه الطرق على ضعفها كالتعاضدة على إثبات أصل القصة . وقد تكلم أبو محمد بن درستويه على غريب ما وقع في هذا الحديث ، وأكثره ظاهر إن شاء الله تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه في الحواشي .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو سعد ^(١) سعيد بن محمد بن أحمد الشيعي ، حدثنا أبو عمرو ابن أبي طاهر الحمد أباضي لفظاً ، حدثنا أبو لبابة محمد بن المهدي الأبيوردي ^(٢) حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن هبيرة ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قدِم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا هلك . قال : أما إني سمعت منه كلاماً ما أرى أني أحفظه . فقال بعض القوم نحن نحفظه يارسول الله . قال : هاتوا . فقال قائلهم : إنه وقف ^(٣) بسوق عكاظ فقال : يأيتها الناس استمعوا ، واسمعوا وعُوا ، كلُّ من عاش مات ، وكلُّ من مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مُرساة ^(٤) وأنهار مُجرأة ^(٥) إن في السماء خبراً ، وإن في الأرض لعباً ، أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركو فناموا ؟ ! أقسم قس قَسماً بالله لا آثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى مما آثم عليه ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأول
لما رأيت مصارعاً للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومي تحوها يمضي الأكابر والأصاغر

(١) ط خ : أبو سعد بن محمد ، وهو خطأ والتصويب من اللآلي ..
(٢) ط خ : الأموردي ، وهو خطأ . (٣) ط خ : لاني واقف ، وهو خطأ .
(٤) ط خ : مرسية . مجرية ، وهو خطأ .

أيقنت أنى لا محمداً لة حيث صار القوم صائراً

ثم ساقه البيهقي من طرق أخر قد نبهنا عليها فيما تقدم . ثم قال بعد ذلك كله : وقد روى هذا الحديث عن الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس بزيادة ونقصان . وروى من وجه آخر عن الحسن البصرى منقطعاً . وروى مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة . قلت : وعادة بن الصامت كما تقدم ، وعبد الله بن مسعود كما رواه أبو نعيم في كتاب « الدلائل » عن عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي ، عن أبي الوليد طريف ابن عبيد الله مولى على أبي طالب بالموصل عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود فذكره . وروى أبو نعيم أيضاً حديث عبادة المتقدم وسعد بن أبي وقاص .

ثم قال البيهقي : وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفاً دلّ على أن للحديث أصلاً^(١) والله أعلم .

ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤي القرشي العدوي .

وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه ، وذلك لأن عمرو بن نفيل كان كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب . قاله الزبير ابن بكار ومحمد بن إسحاق .

(١) حديث قس ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقها كلها ١/ ١٨٣ - ١٩٢ ، وذكر علل الطرق جميعاً ، ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة وهو في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » .

وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم ، وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده .

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أَصْبَحَ أحدٌ منكم على دين إبراهيم غيري . ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أَحَبَّ الوجوه إليك عَبْدُكَ به ، ولكني لأعلم . ثم يسجد على راحلته . وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به . وزاد : وكان يصلي إلى الكعبة ويقول : إلهي إله إبراهيم ، ودينى دين إبراهيم .

وكان يُحْيِي المودودة ، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، ادفعها إلى أمكفها ، فإذا ترعرعت نُخْذِها وإن شئت فادفعها .

أخرجه النسائي من طريق أبي أسامة ، وعلقه البخاري فقال : وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه به .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : وقد كان نفر من قريش : زيد بن عمرو ابن نفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وعبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة^(١) بن كبير ابن غُصَم بن دُودان بن أسد بن خزيمة . وأمه أميمة بنت عبد المطلب . وأخته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مولاه زيد بن حارثة . كما سيأتى بيانه . حضروا قریشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك نفر إلى بعض وقالوا : تَصَادَقُوا وليكنم بعضكم على بعض . فقال

(١) المطبوعة : برة ، وهو تحريف .

قائلهم : تعلمنَّ والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ، ماوثنُ يُعبد لا يضر ولا ينفع ؟! فابتغوا لأنفسكم^(١) .

فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم .

فأما ورقة بن نوفل فتنصّر واستحكم في النصرانية وابتغى الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب .

ولم يكن فيهم أعدلُ أمراً وأعدلُ ثباتاً من زيد بن عمرو بن نفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والمثلل كلها إلا دين الحنيفية دين إبراهيم ، يوحد الله ويخلع منْ دونه ولا يأكل ذبائح قومه فأذاهم بالفراق لما هم فيه .

قال : وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة ، ووكل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل [مكة] فكان لا يدخلها إلا سراً منهم فإذا علموا به أخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد إلى ما هو عليه .

وقال موسى بن عتبة : سمعت مَنْ أَرْضَى يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض ، لِمَ تذبجوها على غير اسم الله ؟ ! إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

وقال يونس عن ابن إسحاق : وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد عزم على الخروج من مكة ليضرب^(٢) في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، وكانت امرأته صفية بنت الحضرى كلما أبصرته قد نهض للخروج وأرادته أذنت الخطاب بن نفيل .

فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم

(١) ابن هشام : باقوم التمسوا لأنفسكم . (٢) خ ط : فضرب .

ويسأل عنه ، ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام فجال فيها ، حتى أتى راهباً بيعة من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال له الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجدٍ مَنْ يملك عليه اليوم ، لقد درس مَنْ علمه وذهب من كان يعرفه ، ولكنه قد أظللَّ خروجُ نبي وهذا زمانه . وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها ، فخرج سريعاً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لَحْمَ عدوا عليه فقتلوه ، فقال وَرَقَة يرثيه :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ تَنْثُوراً مِنَ النَّارِ حَامِياً
بَدِينِكَ رَبِّاً لَيْسَ رَبُّكَ كَمِثْلِهِ وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الطَّوَاعِي كَمَا هِيَ
وَقَدْ تُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاذِيَا

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أحمد بن طارق الوابشي ، حدثنا عمرو بن عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يتأله في الجاهلية ، فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود فقال له أحب أن تدخلني معك في دينك . فقال له اليهودي : لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله . فقال : من غضب الله أفرُّ .

فانطلق حتى أتى نصرانياً ، فقال له : أحب أن تدخلني معك في دينك . فقال : لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة . فقال : من الضلالة أفرُّ .

قال له النصراني : فإني أدلك على دين إن تبعته اهتديت . قال : أي دين ؟ قال : دين إبراهيم . قال : فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه أحياء وعليه أموات . قال : فذكر شأنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : هو أُمَّةٌ وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وقد روى موسى بن عُقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر نحو هذا .

وقال محمد بن سعد : حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي ، عن إسماعيل ، عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ ، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : شامَتَ اليهوديةَ والنصرانية فكَرِهَتُهُمَا ، فَكُنْتُ بِالشَّامِ وَمَا وَالِاهَا ، حَتَّى أَتَيْتُ رَاهِبًا فِي صَوْمَعَةٍ فَذَكَرْتُ لَهُ اغْتِرَابِي عَنْ قَوْمِي وَكَرَاهَتِي عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ . فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْكَ تَرِيدُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ يَا أَخَا أَهْلِ مَكَّةَ ، إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا يَوْجَدُ الْيَوْمَ أَحَدٌ يَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ دِينُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ، كَانَ حَنِيفًا لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، كَانَ يَصَلِّي وَيَسْجُدُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بِيْلَادِكَ ، فَالْحَقَّ بِيْلَادِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ قَوْمِكَ فِي بِلَدِكَ مَنْ يَأْتِي بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ وَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ . وَقَالَ يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ : أَنَّ زَيْدًا كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ قَالَ : كَبِّئِكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدُ أَوْ رِقًّا ، عُدْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ [مُسْتَقْبَلُ الْقَبْلَةِ] ^(١) وَهُوَ قَائِمٌ ، إِذْ قَالَ إِلَهِي أَنْفِي لَكَ عَانٍ رَاغِمٌ ، مَهْمَا تُجَسِّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ ، الْبَرَّ أَبْنَى لَا الْخَالَ ^(٢) ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ ^(٣) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل العدوي ، عن أبيه عن جده ، أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى اتهميا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال : مِنْ بَلَدِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ . فقال : وما تلتمس ؟ قال : أَلْتَمَسُ الدِّينَ . قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك .

(١) من ابن هشام (٢) الحال : الخلاء والكبر . وفي المطبوعة : أُنْجَالٌ ، وهو تحريف .

(٣) المهجر : من يسير في الهاجرة وهي شدة الحر . ومن قال : من نام في القائلة . وفي ابن هشام :

ليس مهجر .

قال : فأما ورقة فَنَتَصَّرَ ، وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول :

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعْبُدُ أَوْ رِقًّا ، البرَّ أَبْغَى لا الخال ، فهل مُهَجَّرَ كَعَمَنَ قال؟! آمنتُ بما آمن به إبراهيم وهو يقول: أَنْبِئِي لَكَ عَنِ رَاغِمٍ ، مهما تُجَشَّمْنِي فَإِنِّي جَائِسِمٍ ، ثم يخر فيسجد .

قال وجاء ابنه يعنى سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن أبى كما رأيت وكما بلغك ، فاستغفر له ، قال : « نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده ^(١) » .

قال : وأتى زيد بن عمرو بن زيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سفره لهما ، فدعواهما لهما فقال زيد بن عمرو : يا ابن أخى أنا لا آكل مما ذبح على الثَّصُب ^(٢) .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن موسى ابن ميسرة ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن حجر بن أبي إهاب . قال : رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجع من الشام ، وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة سجدة ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل ، لا أعبد حَجَرًا ولا أصلى له ولا آكل مما ذبح له ولا أستقسم بالأزلام ، وإنما أصلى لهذا البيت حتى أموت . وكان يحج

(١) خ ط : واحدة (٢) هنا يأتى اعتراض : كيف وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على الثَّصُب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية ؟ وقد أجاب السهيلي بوجهين : الأول أنه ليس في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وإنما في الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . والثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة . انظر الروض الأتق ١/١٤٧

فيقف بعرفة ، وكان يابّي فيقول : لبيك لا شريك لك ولا نِدَّ لك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك متعبداً مرقوقاً .

وقال الواقدي : حدثني علي بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك . قلت : هلم .

قال : هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولده ومبغته ، ثم يُخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره ، فإياك أن تُخدع عنه ، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك . وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ، ويقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول زيد بن عمرو وإقرائه منه السلام ، فردَّ عليه السلام وترحم عليه وقال : قد رأيتَه في الجنة يسحب ذيولاً .

وقال البخاري في صحيحه : ذكر زيد بن عمرو بن نفيل : حدثني محمد بن أبي بكر ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عُبَبة ، حدثني سالم ، عن عبد الله بن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلَدَح^(١) قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي ، فقدّمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سُفرة فأبى أن يأكل منها . ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب قال ابن قيس الرقيات :

فني فالجارُّ من عبد شمس مُفَفِرَاتٌ فبلدحُ فخراءُ

إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائهم ويقول : الشاة خافها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنت لها من الأرض ، ثم تذبّخونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال موسى بن عُبَبة : وحدثني سالم بن عبد الله ، ولا أعلمه إلا تحدّث به عن ابن عمر ، أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدّين ويتّبعه ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، فقال : إني لَعَلَى أَنْ أُدِينَ دِينَكُمْ^(١) فأخبرني . فقال : إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله : قال زيد : وما أفرأ إلا من غضب الله تعالى ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا أستطيعه^(٢) ، فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حنيفاً . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال دين إبراهيم عليه السلام ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد ، فأتى عالماً من النصارى فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك [من لعنة الله . قال : ما أفرأ إلا من لعنة الله ، ولا أنحل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، ولا أستطيع ، فهل تدلني]^(٣) على غيره ؟ قال : ما أعلمه ، إلا أن تكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله .

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم .

قال : وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة يقول :

(١) أى عازم عليه ومتهيء له .

(٢) الذى فى البخارى ١٧٨/٢ طبعة الأميرية : « وأنا أستطيعه » .

(٣) سقط من المطبوعة .

يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى . وكان يُحْيِي الموءودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها . فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئتَ دفعْتُها إليك ، وإن شئتَ كفيْتُك مؤنتها . انتهى ما ذكره البخارى^(١) .

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحافظ ابن عساكر ، من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد ، عن الليث ، عن هشام ، عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه . وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء قالت : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش إياكم والزنا فإنه يورث الفقر .

وقد ساق ابن عساكر هاهنا أحاديثَ غريبة جدا ، وفي بعضها نكارة شديدة . ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يُبْعَث يوم القيامة أمةٌ وحده . فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموى ، عن مجالد عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول : إلهى إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم ويسجد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر ذاك أمةٌ وحده بينى وبين عيسى بن مريم » . إسناده جيد حسن .

وقال الواقدي : حدثنى موسى بن شَيْبَةَ ، عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال سمعت سعيد بن المسيَّب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال : توفى وقريش

(١) صحيح البخارى ١٧٨/٢ - ١٧٩ .

تبنى الكعبة ، قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، ولقد نَزَلَ به ^(١) وإنه ليقول أنا على دين إبراهيم . فأسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتى عمرُ بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : غفر الله له ورحمه ، فإنه مات على دين إبراهيم . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيب : رحمه الله وغفر له .

وقال محمد بن سعد عن الواقدي : حدثني زكريا بن يحيى السَّعْدِي ، عن أبيه قال : مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حِرَاء . وقد تقدم أنه مات بأرض البقاء من الشام لما عدا عليه قومٌ من بني نَلم فقتلوه بمكان يقال له مَيْفَعَة . والله أعلم .

وقال البَاغَنْدِيُّ : عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي معاوية ، عن هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دَوْحَتَيْنِ » وهذا إسناد جيد ، وليس هو في شيء من الكتب . ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله :

إلى الله أَهْدَى مِدْحَتِي وَثَنَاتِيَا وَقَوْلَا رَضِيًّا لَا يَنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهُ وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
وقد قيل إنها لأمية بن أبي الصَّلت . والله أعلم .

ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق والزُّبَيْرُ بن بَكَّار وغيرهما :
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقَالَا

دَحَاها فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا سَوَاءٌ وَأَرْسَى عَلَيْهَا الْجَبَالَ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالًا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بِلْدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الرِّيحُ تَصْرِفُ حَالًا فَخَالًا

وقال محمد بن إسحاق : حدثني هشام بن عمرو قال : روى أبي أن زيد بن عمرو قال :

أَرْبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبِّ أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجُلْدُ الصَّبُورُ
فَلَا الْعُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتُهَا وَلَا صَنَمِي بَنَى عَمْرُو أَزُورُ
وَلَا غَنَّا أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حُلِيَ يَسِيرُ
عَجِبْتُ فِي اللَّيَالِي مُعْجِبَاتٍ وَفِي الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَى رَجَالًا كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الْفَجُورُ
وَأَبْقَى آخِرِينَ بِيَرِّ قَوْمٍ فَيَرْبُلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَيَبْنِي الْمَرْءُ يَعْثُرُ ثَابَ يَوْمًا كَمَا يَتَرَوَّجُ الْغُصْنُ النُّضِيرُ
وَلَكِنْ أَعْبُدِ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمْ أَحْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا
تَرَى الْأَبْرَارَ دَارَهُمْ جَنَّاتٍ وَلِلْكَافَرِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحَزَى فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يَلَاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة . وقد رواه أبو القاسم البغوي عن مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عن الضحَّاكِ بْنِ عُمَانَ ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد

قال : قال هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال زيد بن عمرو بن نفيل :

عزلتُ الجنَّ والجنَّانَ عني كذلك يفعلُ الجلدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أدِين ولا ابنتيها ولا صنمى بنى طَسم أدير
ولا غمًا أدِينُ وكان رَبًّا لنا فى الدهرِ إذ حُمى صغيرُ
أربًّا واحدًا أم ألفَ رب أدِينُ إذا تقسَّمتُ الأمورُ
ألم تعلم بأن الله أفى رجالًا كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين بـ قومٍ فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
ويَنَّا المرءَ يـثر ثاب يومًا كما يترَوِّحُ الغصنُ النضير

قالت : فقال ورقة بن نوفل :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابن عمرو وإنما تجنَّبتَ تنُّوراً من النار حامياً
لديـنِكَ رَبًّا ليس ربُّ كـ مثله وترَّكِكِ جنَّانَ الجبالِ كما هيأ
أقول إذا أهبطتُ أرضاً مخوفةً جنَّانِيكَ لا تُظهِرْ عَلَى الأعاديأ
حنانيك إن الجن أنـت^(١) رجاؤهم وأنتِ إلهى ربَّنَا ورجائيا
لَتَذَرِكَنَّ المرءَ رحمةً ربه وإن كان تحت الأرض سبعين واديأ^(٢)
أدِينُ لربِّ يستجيبُ ولا أرى أدِينُ لمن لا يسمعُ الدهرُ داعيا
أقول إذا صليتُ فى كل بيعةٍ تباركتَ قدأ كثرتُ باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش ، فتنصَّروا إلا زيـداً فإنه لم يدخل فى شيء من الأديان ،

(١) ط : كانت (٢) رواية ابن هشام :

وقد تدرِك الإنسان رحمة ربه وإن كان تحت الأرض سبعين واديا .
وهى أولى ، وقد ذكرها المؤلف قبل . ونصب سبعين على تقدير فعل مثل : بعد تحت الأرض سبعين واديا .

بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له ، متَّبِعاً ما أمكنه من دين إبراهيم .
على ما ذكرناه .

وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبعث

وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأموي ، ومختصره : أنه لما قدِم على قيصر فشكا إليه ما لقي من قومه ، كتب له إلى ابن جَفْنَةَ ملكِ عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش ، فعزم على ذلك ، فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لِمَا رَأَوْا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جَفْنَةَ قميصاً مصبوغاً مسموماً فمات مِنْ سُمِّهِ ، فَرثَاهُ زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموي ، تركناه اختصاراً .

وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة

فمن ذلك بنيان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم . وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

وأقوى الأقوال أن أول مَنْ بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم . وكذلك رواه سَمَّاك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن علي بن أبي طالب . قال : ثم تهدّم فَبَنَتْهُ العَمَاقَةُ ، ثم تهدّم فَبَنَتْهُ جُرْهم ، ثم تهدّم فَبَنَتْهُ قريش .

قلت : سيأتي بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله وبه الثقة .

ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نُعَيْمٍ من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التيمي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سَلَمَةَ قال : كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسميه العروبة ، فيخطبهم فيقول : أما بعد فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساج ، ونهار ضاحٍ والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأثني والذكر ، والزوج^(١) وما يهيج إلى بلى ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمرتوا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رَجَعَ ؟

(٢) خ ط : والروح . وهو خطأ . والذي في دلائل النبوة لأبي نعيم : والأثني والذكر والزوج إلى بلى صائرون .

أو ميت نُشِر؟ الدار أمامكم ، والظن غير ماتقولون ؛ حَرَمَكُم زَيْنُوهُ وَعَظُمُوهُ وَتَمَسَكُوا
به ، فسيأتى له نبأ عظيم ؛ وسيخرج منه نبي كريم ثم يقول :

نهارٌ وليل كل يوم بحادث سواء علينا ليالها ونهارها
يؤوبان بالأحداث حين تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمدٌ فيُخبر أخباراً صدوقٌ خيرها

ثم يقول : والله لو كنت فيها ذا سمع و بصر ، ويدٍ ورجل ، لَنَصَبْتُ فيها تنصَّبَ
الجل ، ولَأَرْقَلْتُ فيها إرقال الفحل^(١) . ثم يقول :

يا ليتني شاهداً فحواء^(٢) دعوته حين العشرة تُبغى الحقَّ خذلانا

قال : وكان بين موت كعب بن لؤى ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة
عام وستون سنة .

ذكر تجديد حفر زمزم

على يدى عبد المطلب بن هاشم التى كان قد دَرَسَ رَسْمُهَا بعد طَمِّ جُرْهُم لها
إلى زمانه .

قال محمد بن إسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجر [إذ أتى فأمر
بحفر زمزم]^(٣)

وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب مِنْ حَفَرِهَا ؛ كما حدثني يزيد بن أبي حبيب
المصرى عن مَرثِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ^(٤) ، عن عبد الله بن ذُرَيْرٍ^(٥) العافقي أنه سمع

(١) العجل . وهو خطأ . (٢) نجواء . وهو خطأ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة . (٤) المطبوعة : الزنى ، وهو تحريف :

(٥) المطبوعة : رزين ، وهو تحريف .

على بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها
قال : قال عبد المطلب : إني لنأثم في الحجر إذ أتاني آت فقال لى : احفر طيبة . قال :
قلت وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فتمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر برّة . قال :
قلت وما برّة ؟ قال : ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فتمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المصنونة . قال قلت :
وما المصنونة ؟ قال ثم ذهب عنى .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فتمت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قال : قلت
وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تدم^(١) ، تسقى الحجاج الأعظم ، وهى بين الفرس
والدم ، عند قرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل^(٢) .

قال : فلما بين له^(٣) شأنها ودلّ على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غداً بمعه
ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فحفر فيها ، فلما بدا
لعبد المطلب الطى^(٤) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا :
يا عبد المطلب إنها بئر أينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا
بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم . قالوا له : فأنصفنا
فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه .
قالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم^(٥) قال : نعم . وكانت بأشراف الشام .

(١) بئر ذمة وذميم وذمية : قليلة الماء . فهو من أذمت البئر ، أى وجدتها ذمة ، كما تقول : أجبنت
الرجل إذا وجدته جباناً . وفى المطبوعة : تزيم ، وهو تحريف .

(٢) ذكر السهيلي عللاً لهذه العلامات من أحوال زمزم . (٣) المطبوعة : لى ، وهو خطأ .

(٤) الطى : ما طوى به البئر من الحجارة . وفى المطبوعة : الطمى وهو تحريف .

(٥) الطبرى : سعد بن هذيم . وهو الصواب .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر .
فخرجوا والأرض إذ ذاك مَافُورٌ ، حتى إذا كانوا يبيعونها فند ماء عبد المطلب وأصحابه ،
فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة وإنا
نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال عبد المطلب : إني أرى أن يحفر كل رجل منكم
حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ،
حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة رَكْبٍ جميعه . فقالوا :
نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا^(١) بأيدينا هكذا الموت لا نضرب في
الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لمَجْزُ ، فعى الله أن يرزقنا ماء يبيع البلاء ، ارتحلوا . فارتحلوا ،
حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر
عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم
ثم دعا قبائل قريش وهم ينتظرون إليهم في جميع هذه الأحوال فقال : هلموا إلى الماء فقد
سقانا الله . فجاءوا فشربوا واستقوا كلهم ، ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ، والله
ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم ،
فارجع إلى سقايتك راشداً .

فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلوا بينه وبين زمزم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر

بحفر زمزم :

(١) ط خ : قال لأصحابه : ألقينا بأيدينا الخ . وهو تحريف - وما أثبتته عن ابن هشام .

ثم ادْعُ بِالماءِ الرَّوِيِّ غَيْرِ الكَدْرِ يسقى حجيجَ الله في كل مَبَرٍّ^(١)
ليس يُخَافُ منه شيءٌ ما عَمِرَ

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلموا أني قد أُمرْتُ
أن أحفر زمزم . قالوا : فهل يُبَيِّنُ لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجَعِكَ
الذي رأيتَ فيه مارأيتَ ، فإن يَكُ حقاً من الله يبيِّنُ لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود
إليك . فرجع ونام فأتى فقيل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم ، وهي تراثٌ من أبيك الأعظم ، لا تَنزِفْ
أبداً ولا تُدَمِّمْ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نعام جافل^(٢) لم يُقسم ، يَنذِرُ فيها ناذر
لنُعمٍ^(٣) . تكون ميراثاً وعَقْداً مُحْكَمً . ليست كبعض^(٤) ما قد تعلم ، وهي بين
الفرث والدم .

قال ابن إسحاق : فرغموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له
عند قرية النمل حيث يَنقُرُ الغراب غداً . فأنه أعلم أي ذلك كان .

قال : فغداً عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره . زاد الأموي :
ومولاه أصرم . فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين إساف وناثا
الذين كانت قريش تنحدر عندهما ، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه
قريش وقالت : والله لا نتركك تحفر بين وثنيينا الذين ننحدر عندهما . فقال عبد المطلب
لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير
نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطيُّ فكَبَّرَ

(١) مبر : مفضل من البر ، أي مناسك الحج ومواضع الطاعة .

(٢) الجافل : من جفلت الغنم إذا انقاعت بجملتها . ولم يقسم : لم يتوزع ولم يتفرق .

(٣) المطبوعة : بمنعم . وهو خطأ . (٤) المطبوعة : لبعض ، وهو خطأ .

وعرف أنه قد صُدِّق ، فلما تَمَادَى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسيافا قَلَمِيَّة وأدراعا .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيش : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ لَنَا مَعَكَ فِي هَذَا شِرْكٌ وَحَق . قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِ نَصَفِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، نَضْرِبُ عَلَيْهَا بِالْقَدَاحِ . قَالُوا : وَكَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَجْعَلْ لِلْكَعْبَةِ قَدْحَيْنِ وَلِي قَدْحَيْنِ وَلَكُمْ قَدْحَيْنِ ، فَمَنْ خَرَجَ قَدْحَاهُ عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ قَدْحَاهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ . قَالُوا : أَنْصَفْتَ . فَجَعَلَ لِلْكَعْبَةِ قَدْحَيْنِ أَصْفَرَيْنِ وَلَهُ أَسْوَدَيْنِ وَلَهُمْ أَيْضَيْنِ ، ثُمَّ أَعْطَا الْقَدَاحَ لِلَّذِي يَضْرِبُ عِنْدَ هَبْلٍ - وَهَبْلٌ أَكْبَرُ أَصْنَامِهِمْ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ يَوْمَ أَحَدٍ : اْعْلُ هَبْلٌ . يَعْنِي هَذَا الصُّنْمُ - وَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَدْعُو اللَّهَ .

وَذَكَرَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ جَعَلَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْحَمُودُ رَبِّي أَنْتَ الْمَبْدِيُّ الْمَعِيدُ
وَمَمْسَكَ الرَّاسِيَةِ الْجَلُودُ مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ
إِنْ شِئْتَ أَهْمَتَ كَمَا تَرِيدُ لِمَوْضِعِ الْحَلِيَّةِ وَالْحَلِيدُ
فَبَيْنَ الْيَوْمِ لِمَا تَرِيدُ إِنِّي نَذَرْتُ الْعَاهِدَ الْمَعْهُودُ
اجْعَلْهُ رَبِّي لِي فَلَا أَعُودُ

قَالَ وَضَرَبَ صَاحِبُ الْقَدَاحِ ، فَخَرَجَ الْأَصْفَرَانِ عَلَى الْغَزَالَيْنِ لِلْكَعْبَةِ ، وَخَرَجَ الْأَسْوَدَانِ عَلَى الْأَسْيَافِ وَالْأَدْرَاعِ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَتَخَلَّفَ قَدْحَاهُ قَرِيش . فَضَرَبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ الْأَسْيَافَ بَابًا لِلْكَعْبَةِ ، وَضَرَبَ فِي الْبَابِ الْغَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ ذَهَبِ حُلِيِّتِهِ الْكَعْبَةُ ^(١) فِيمَا يَزْعُمُونَ .

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَقَامَ سِقَايَةَ زَمْزَمَ لِلْحَاجِّ وَذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ وَغَيْرَهُ أَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ

(١) المطبوعة : حلية للعبة ، وهو تحريف .

فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ، ثم عددها ابن إسحاق وسمّاها
وذكر أماكنها من مكة وحافريّتها ، إلى أن قال : فعَتَّ زمزمُ على البئار كلها وانصرف
الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ماسواها من المياه ، ولأنها
بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قریش كلها وعلى
سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذرٍّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في زمزم : « إنها طعام طعم . وشفاء سُقم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن عبد الله بن المؤمل ، عن أبي
الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لِمَا
شُرِبَ منه » .

وقد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تكلموا فيه ولفظه :
« ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له » . ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن
عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « ماء زمزم لما شرب له » ولكن سويد بن سعيد ضعيف . والحفوظ عن
ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم . وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا
« ماء زمزم لما شرب له » وفيه نظر . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه أيضا والحاكم عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شربت من
زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتصلع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله ،
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلعون
من ماء زمزم » .

وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إني لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حلّ وبَلّ .

وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذى جدّد حَفَرَ زمزم كما قدمنا والله أعلم .

وقد قال الأموى فى مغازيه : حدثنا أبو عبيد ، أخبرنى يحيى بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حلّ وبَلّ . وذلك أنه جعل لها حوضين حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلها لمغتسل ، لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه . قال أبو عبيد : قال الأصمى : قوله « وبَلّ » إتياع . قال أبو عبيد : والإتياع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال مُعْتَمِر بن سُلَيْمَان أن « بل » بلفظة حمير : مباح . ثم قال أبو عبيد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبى النجود ، أنه سمع زُرّاً أنه سمع العباس يقول : لا أحلها لمغتسل ، وهى لشارب حل وبَل . وحدثنا عبد الرحمن ابن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة ، أنه سمع ابن عباس يقول ذلك . وهذا صحيح إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك فى أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافى ما تقدم . والله أعلم .

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثم صارت إلى ابنه أبى طالب مدّة ، ثم اتفق أنه أُمِّلَى فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب فى الحجيج فى عامه فيما يتعلق بالسقاية ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبى طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفنى أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك ، فقال له العباس : بشرط إن لم تعطنى تترك السقاية لى أكفكها . فقال : نعم .

فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يُعطى العباس ، فترك له السقاية فصارت إليه ، ثم بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثم إلى داود بن علي ، ثم إلى سليمان بن علي ، ثم إلى عيسى بن علي ، ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأموي .

ذِكْرُ نَذْرِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ذَبْحَ أَحَدِ وَلَدِهِ

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب ، فيما يزعمون ، نَذَرَ حين لَقِيَ من قریش مالم يلقى عند حفر زمزم ، لئن وُلِدَ له عشرةُ نفرٍ ثم باغوا معه حتى يَمنعوه لِيَذبحنَ أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرةً . وعرف أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحِجَل ، وضرار ، والمقوم ، وأبو لهب ، والعباس ، وحزمة ، وأبو طالب ، وعبد الله ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك . فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : لِيَأْخُذَ كل رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتنوني .

ففعِلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهي الأُزْلام التي يتحاكمون إليها إذا أعْضِلَ عليهم أمر من عَقْلٍ أو نسب أو أمر من الأمور ، جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القِدْحُ على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة لِيَذبحه ، فقامت إليه قریش من أُنْديتها فقالوا : ما تريد

يا عبد المطلب ؟ قال أذبحه ، فقالت له : قرش وبنوه إخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذّر فيه ، لأنّ فعلت هذا لا يزال الرجل يحيىء بابه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟!

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال إنه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات .

ثم أشارت قرش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرّافة لها تابعٌ ، فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهى سَجّاح ، فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقصّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله .

فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبد الله وعشرًا من الإبل ، ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا ثم ضربوا ، فخرج القِدْح على عبد الله ؛ فزادوا عشرًا فلم يزالوا يزدون عشرًا ويخرج القِدْح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ،

فقال عند ذلك قريش لعبد المطلب ، وهو قائم عند هبل يدعو الله : قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب . فعندها زعموا أنه قال : لا حتى أضرب عليها بالقدح ثلاث مرات . فضربوا ثلاثا ووقع القدح فيها على الإبل ، فنجرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع . قال ابن هشام ويقال : ولا سبغ .

وقد روى أنه لما بلغت الإبل مائة خرج القدح على عبد الله أيضا ، فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا مائة أخرى فصارت الإبل ثلاثمائة ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فنحرها عند ذلك عبد المطلب . والصحيح الأول . والله أعلم .

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب ، أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة ، فأمرها بذبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم ، وهو أمير على المدينة ، فقال : إنهما لم يصيبا الفتيا . ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل ، وأخذ الناس بقول مروان بذلك . والله أعلم .

ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله

من أمة بنت وهب الزهرية

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمربه ، فيما يزعمون ، على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهى أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهى عند الكعبة ، فنظرت إلى وجهه فقالت : أين تذهب

يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل الإبل التي نُحِرَتْ عنك وقَعَ علىَّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه .

فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زُهرَةَ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زُهرَةَ سنّاً وشرفاً ، فزوَّجه ابنته أَمَنَةَ بنت وهب ، وهى يومئذ سيدة نساء قومها .

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ماعرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىَّ اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة ^(١) . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر واتبع الكتب ، أنه كائن فى هذه الأمة نبي ، فطمعت أن يكون منها ، فجعله الله تعالى فى أشرف عنصر وأكرم نَحْتَد وأطيب أصل ، كما قال تعالى « اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » وسنذكر المولد مفصلاً .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر ، تتأسف على ما فاتها من الأمر الذى رامته ، وذلك فيما رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق رحمه الله :

عليك بآلِ زُهرَةَ حيث كانوا وآمنة التى حملتُ غلاماً
ترى المهدىَّ حين نَزَا عليها ونوراً قد تقدَّمه أماما

(١) الواضح من الرواية أنها طلبت من عبد الله الفاحشة فأبى ، وفى اليوم التالى عرض هو عليها فأبت ، وعلت لإباءها بأن النور الذى كان فى وجهه قد زال ، وفى هذا اتهام لعبد الله ، وفلسفة للفاحشة بأنها كانت رغبة فى النور . . . ! وليس نور النبوة لإفراز عضو ولا لإشراقة وجه ، والرواية ظاهرة الاختلاق ، وهى ذم فى صورة مدح ! هذا وقد جاء بعد أنها طلبت منه الزواج .

[إلى أن قالت] :

فكلُّ الخلق يرجوه جميعاً يسود الناس مهتدياً إماماً
 براه الله من نورٍ صفاء فأذهب نوره عنا الظلاما
 وذلك صنع ربك إذ حباه إذا ماسـار يوماً أو أقاما
 فيهدى أهل مكة بعد كفرٍ ويفرض بعد ذلك الصياما ^(١)

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا محمد ابن عمارة القرشي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطاب بابنه عبد الله ليروجه مرَّ به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أما الحرامُ فالعمات دونه والحل لا حل فأسْتِينيه
 فكيف بالأمر الذي تَبْغِينيه

ثم مضى مع أبيه فزوَّجه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعتة إلى مادعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت : ما صنعتَ بعدى ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة ربية ، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول :

إني رأيت نَحِيْلَةً لَمَعَتْ فتلاَّات بجناتكم ^(٢) القطرِ

(١) هذا أيضاً ظاهر الاختلاق ، وعليه ركازة الصنع وتفاهة الوضع ، ولا أدري لم خص الصيام من بين شعائر الإسلام !! . (٢) الحناتم : السحاب السود .

فلما تها^(١) نوراً يضيء له ما حوَّله كإضاءة البدر
ورجوتها^(٢) نغراً أبوه به ما كلُّ قاذج زنده يُورى
لله ما زهرية^(٣) سكتت ثوبيك ما استابت وما تدري

وقالت فاطمة أيضاً :

بني هاشم قد غادرت من أخيكم أُمينة إذ للباه يعتركان
كما غادر الصباح عند خوده فتائل قد ميئت^(٢) له بدهان
وما كلُّ ما يحوى الفتى من تلاده بحزم ولا مافاته لتواني
فأجمل إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جَدَّان يعتلجان
سيكفيكه إما يد مفعلة^(٣) وإما يد مبسطة ببنان
ولما حوت منه أُمينة ما حوت حوت منه نغراً ما لذلك ثانٍ

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون ، عن المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قدِم اليمين في رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْر من اليهود . قال : فقال لي رجل من أهل الديور - يعنى أهل الكتاب - : يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم يكن عورة . قال : ففتح إحدى منخرى فنظر فيه ثم نظر في الآخر ، فقال : أشهد أن في إحدى يديك مُلكاً وفي الأخرى نبوة ، وإنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري . قال :

(١) رواية أبي نعيم : فلما بها نور . وتروى : فلما تها نور . ومعنى لآتها : لحتها

(٢) ميئت : خلطت . ورواية أبي نعيم : ميئت بدهان .

(٣) مفعلة : متشعبة متقبضة

هل لك من شاعة ؟ قلت وما الشاعة ؟ قال : زوجة . قلت : أما اليوم فلا . قال : فإذا رجعت
فتزوج فيهم .

فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة
وصفية ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة : فلج ، أى فاز وغلب ، عبد الله
على أبيه عبد المطلب .

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه
وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

ولما سأل هرقل ملك الروم لأبي سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام ، قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : كذلك الرسل تُبعث في أنساب قومها . يعنى في أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة . صلوات الله عليهم أجمعين .

فهو سيد ولد آدم ونجهم في الدنيا والآخرة . أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والملاحى الذى يُمخى به الكفر ، والعاقب الذى مابعدُه نبيٌ ، والجارى الذى يُحشر الناس على قدميه ^(١) ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، وخاتم النبيين ، والفتاح ، وطه ، ويس ، وعبد الله .

قال البيهقي : وزاد بعض العلماء فقال : سمَّاه الله في القرآن رسولا ، نبياً ، أمياً ^(٢) ، شاهداً ، مبشراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجا منيراً . ورءوفاً رحماً ، ومذكراً ، وجعله رحمة ونعمة وهادياً .

وسنورد الأحاديث المروية في أسمائه عليه الصلاة والسلام في باب نقده بعد فراغ السيرة ، فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، اعتنى بجمعها الحفاظان الكبيران أبو بكر البيهقي ، وأبو القاسم بن عساکر ، وأفرد الناس في ذلك

(١) يحشر الناس على قدميه : على أثره . أو على عهده وزمانه . (٢) ط : أمينا وهو خطأ .

مؤلفات ، حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم ، وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شازح الترمذى بكتابه الذى سماه « عارضة الأخوذى » فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين اسما والله أعلم .

وهو ابن عبد الله ، وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب ، وهو الذبيح الثانى المفدى بمائة من الإبل كما تقدم .

قال الزهرى : وكان أجمل رجال قريش ، وهو أخو الحارث ، والزبير ، وحمزة ، وضرار وأبى طالب ، واسمه عبد مناف ، وأبى لهب ، واسمه عبد العزى ، والمقوم ، واسمه عبد الكمية ، وقيل هما اثنان ، وحجل واسمه المغيرة ، والغيداق وهو كثير الجود ، واسمه نوقل ، ويقال إنه حجل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .

وعماته ست ، وهن : أروى ، وبرّة ، وأميمة ، وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم - وهى البيضاء - وسنتكلم على كل منهم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

كلهم أولاد عبد المطلب ، واسمه شيبه ، يقال : لشيبه كانت فى رأسه ، ويقال له شيبه الحمد لجوده ؛ وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما لما مر بالمدينة فى تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خدّاش بن خندف بن عدى بن النجار الخزرجى النجّارى ، وكان سيد قومه ، فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها ، فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده ، وقيل : بل اشترط عايه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة . فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج فى تجارة أخذها معه وهى حبلى . فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ، ووضعت سلمى ولدها فسمته شيبه ، فأقام عند أخواله بنى عدى بن النجار سبع سنين .

ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية من أمه فذهب به إلى مكة ، فلما رآه

الناس ورأوه على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال : عَبْدِي . ثم جاءوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك . فغلب عليه .

وسادَ في قریش سيادةً عظيمةً وذهب بشرفهم ورئاستهم ، فكان جماعُ أمرهم عليه ، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب ، وهو الذي جدد حَفَرُ زمزم بعد ما كانت مَظْمومة من عهد جُرهم ، وهو أول من طَلَى الكعبة بذهب في أبوابها مِنْ تَيْنِكَ الغزالتين من ذهب اللتين وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية .

قال ابن هشام ^(١) : وعبد المطلب أخو أسد ونَضْلَة ^(٢) وأبى صَيْفِي وَحْيَة وخالدة ورُقِيَّة والشَّاء وَضَعِيْفَة . كلهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سمي هاشماً لَهَشَمَ الثريد مع اللحم لقومه في سِنِي المَحَل ، كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته ، وقيل للزَّبَمَرَى والد عبد الله :

عمرو الذي ^(٣) هَشَمَ الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُونَ عجافُ
سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما سفرُ الشتاء ورحلَةُ الأَصِيفِ

وذلك لأنه أول من سَنَّ رحلتي الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه . وحكى ابن جرير أنه كان توأم أخيه عبد شمس ، وأن هاشماً خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس ، فماتت حتى سال بينهما دم ، فقال الناس : بذلك يكون بين أولادها حروب ، فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة .

(١) ابن هشام : « فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس نساء ... » ثم ذكرهم . وهذه طريقة ابن كثير في النقل بالمعنى .
(٢) المطبوعة : وفضلة . وموتخزيف .
(٣) ويروى : عمرو العلي .

وشقيقهم الثالث المُطَلَّب ، وكان المطالب أصغر ولد أبيه ، وأمهم عاتكة بنت مرة ابن هلال .

ورابعهم نوفل من أم أخرى ، وهى واقدة بنت عمرو المازنية ، وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم الحجيرون . وذلك لأنهم أخذوا لقبومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا فى التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أمانا من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشى الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطالب أمانا من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر :

يا أيها الرجلُ الحوّلُ رَحْلُهُ إِلَّا نَزَلْتُ بِأَلِ عَبْدِ مَنْفٍ
وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطالب نسبُ ذوى القُربى ، وقد كانوا شيئاً واحداً فى حالتى الجاهلية والإسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم فى الشَّعْب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل . ولهذا يقول أبو طالب فى قصيدته :

جزى الله عنا عَبدَ شمسٍ ونَوْفلاً عَقوبَةَ شَرٍّ عاجلاً غير آجِلٍ
ولا يعرف بنو أب تَبَاينُوا فى الوفاة مثَلَهُمْ ، فإن هاشم مات بفضة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان^(١) من أرض العراق ، ومات المطالب ، وكان يقال له القمر لحسنه ، برَدْمان^(٢) من طريق اليمن . فهؤلاء الإخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب .

ولهم أخ خامس ليس بمشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد ، وأصل اسمه عبد قصى . فقال الناس عبد بن قصى ، درج ولا عقب له . قاله الزبير بن بكار وغيره .

(٢) خ ط : بريمان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن هشام

(١) خ ط : بسلامان . وهو خطأ . وما أثبتته عن ابن هشام

وأخوات ست وهن ، تماضر ، وحية ، وربطة ، وقلابة ، وأم الأخت
وأم سفيان .

كل هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف المغيرة .
وكان قد رأس في زمن والده ، وذهب به الشرف كل مذهب . وهو أخو عبد الدار
الذى كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالمناصب كما تقدم . وعبد العزى وعبد وبرة
وتحمر ، وأمهم كلهم حبي بنت حليل بن حبشية^(١) بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ،
وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم .

وكلهم أولاد قصي واسمه زيد ، وإنما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعة
بن حرام بن عذرة فسافر بها إلى بلاده وابنها صغير فسمى قصيا لذلك . ثم عاد إلى مكة
وهو كبير ولم شعث قريش وجمعها من متفرقات البلاد ، وأزاح يد خزاعة عن البيت ،
وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيس قريش على الإطلاق ، وكانت
إليه الرفادة^(٢) والسقاية ، وهو سنها ، والسدانة والحجابة واللواء ، وداره دار الندوة كما
تقدم بسط ذلك كله . ولهذا قال الشاعر :

قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وهو أخو زهرة ، كلاهما ابن كلاب أخى تيم ، ويقظة أبي مخزوم . ثلاثهم أبناء مرة
أخى عدي وهصيص .

وهم أبناء كعب ، وهو الذى كان يخاطب قومه كل جمعة ويشرهم بمبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينشد فى ذلك أشعاراً كما قدمنا . وهو أخو عامر وسامة وخزيمة
وسعد والحارث وعوف ، سبعتهم أبناء لؤى أخى تيم الأدرم . وهما أبناء غالب أخى الحارث

(١) المطبوعة : حبشى ، وهو خطأ . (٢) ط : الوفادة . وهو خطأ .

ومحارب . ثلاثتهم أبناء فيهر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك . وهو أخو الصلت ويخلد ، وهم بنو النضر الذي إليه جماع قريش على الصحيح كما قدمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومالك وعبد مناة وغيرهم ، كلهم أولاد كنانة أخى أسد وأسد والهون ، أولاد خزيمية ، وهو أخو هذيل . وهما ابنا مذركة ، واسمه عمرو ، أخو طابخة واسمه عامر ، وقعة ، ثلاثتهم أبناء الياس ، وأخو الياس هو عيلان والد قيس كلها ، وهما ولدا مضر أخى ربيعة . ويقال لهما الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أمار وإياد تيامنا ، أربعتهم أبناء نزار أخى قضاة ، فى قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاة حجازية عدنانية ، وقد تقدم بيانه . كلاهما أبناء معد بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره فى قوله تعالى : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى » : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم .

وصلق ابن عباس رضى الله عنه فيما قال وأزيد مما قال . وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهى إليه بالآباء وكثير منهم بالأمهات أيضاً ، كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره فى أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم ما يطول ذكره .

وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر .

وقد ذكرنا فى ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ، وإن اختلِف فى كم أب بينهما ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم . والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبى العباس الناشئ المتضمنة ذلك ، كل ذلك فى أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً مجزئاً نافعاً^(١).

وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر، ولكن الله أعلم بصحته، كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ، ببغداد، حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار، حدثنا أبو جعفر أحمد ابن موسى بن سعد، إملاء سنة ست وتسعين ومائتين، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي، حدثنا مالك بن أنس، عن الزهري، عن أنس، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال «إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب فيأمننا بذلك، وإنا لن نتقي من آبائنا، نحن بنو النضر ابن كنانة».

قال: وخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبنى شيء من غير الجاهلية، وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً، وخيركم أبا».

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك. تفرد به القدامي وهو ضعيف. ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أخرى.

فمن ذلك قوله « خرجت من نكاح لا من سفاح » قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عُيَيْنَةَ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى « لقد جاءكم رسولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » قال : لم يُصِبْهُ شَيْءٌ من ولادة الجاهلية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

وهذا مرسل جيد .

وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن يحيى بن أبي بكير ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح » .

وقد رواه ابن عَدِيٍّ موصولا فقال : حدثنا أحمد بن حفص ، حدثنا محمد بن أبي عمرو العدني المكي ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، قال أشهد على أبي حدثني عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » .

هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح .

وقال هُشَيْم : حدثنا المديني ، عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام » .

وهذا أيضاً غريب أورده الحافظ ابن عساكر ، ثم أسنده من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولدت من نكاح غير سفاح » .

ثم أورد ابن عساكر من حديث أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ » قال : مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى أُخْرِجَتْ نَبِيًّا . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه ، قال : كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فوافجت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » .

- وفي صحيح مسلم من حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار ، عن واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس قال : « فصعد المنبر فقال : من أنا ؟ » قالوا : أنت رسول الله قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير

خَلَقَهُ ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، وَجَعَلَهُمْ بَيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا «^(١) صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ قَرِيشًا إِذَا التَّقَوُّا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بِأَلْبَاشَةٍ ، وَإِذَا لَقَوْنَا لَقَوْنَا بِوُجُوهِهِمْ لَا نَعْرِفُهَا . فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ قَرِيشًا جَاسُوا فَتَذَاكُرُوا أَحْسَابَهُمْ فَعَمَلُوا مِثْلَكَ كَمِثْلِ نَخْلَةٍ فِي كَنْبَةِ^(٢) مِنَ الْأَرْضِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ الْخَلْقَ جَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ ، ثُمَّ لَمَّا فَرَّقَهُمْ [قَبَائِلَ] جَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ، ثُمَّ حِينَ جَعَلَ الْبُيُوتَ جَعَلَنِي فِي خَيْرِ بَيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا » .

وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ ابْنِ فَضِيلٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ : بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَهُ بَنُو مَاتَقَدَّمُوا وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَبَّاسَ .

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَلِيَّةَ بْنِ رَبِيعٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ قَسَمَ الْخَلْقَ قَسَمَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا . قَسَمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « وَأَصْحَابُ

(١) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر حديث رقم ١٧٨٨

(٢) رواها ابن الجوزي . في كبا . وروى عن شمر أنه لم يسمع كبة .

اليمين » « وأصحاب الشمال » ، فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلنى فى خيرها ثلثاً ، فذلك قوله « وأصحاب الميمنة » « والسابقون السابقون » فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين .

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة ، فذلك قوله : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير » وأنا أتقَى ولدِ آدم وأكرمهم على الله ولا فخر .

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلنى فى خيرها بيتاً ، وذلك قوله : « إنما يريدُ الله ليُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّرَكم تطهيراً ^(١) » فأنا وأهل بيتى مطهرون من الذنوب » .

وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة .

وروى الحاكم والبيهقى من حديث محمد بن ذكوان ، خال ولد حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لقعود بفناء النبى صلى الله عليه وسلم إذ مرّت به امرأة ، فقال بعض القوم : هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو سفيان : مثل محمد فى بنى هاشم مثل الريحانة فى وسط النتن . فانطلقت المرأة فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرَف فى وجهه الغضب . فقال : « ما بال أقوال تبُلغنى عن أقوام ؟ ! إن الله خلق السماوات سَبْعاً فاختار العلّياء منها فأسكنها مَنْ شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم ، واختار من بنى آدم العرب ،

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

واختار من العرب مُضَرَ ، واختار من مضر قريشاً ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارني من بنى هاشم ، فأنا خيارٌ من خيار ، فمن أحبَّ العرب فبحبِّي أحبَّهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم .

هذا أيضاً حديث غريب .

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سيدُ ولدِ آدم يوم القيامة ولا نغر . »

وروى الحاكم والبيهقي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزُّهري ، عن أبي أسامة أو أبي سلمة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل : قلبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضلَ من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بنى أبٍ أفضلَ من بنى هاشم . »

قال الحافظ البيهقي : وهذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا يُحتج به فبعضها يؤكد بعضاً ، ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع . والله أعلم

قلت : وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبي صلى الله عليه وسلم :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ	فعبدٌ منافٍ سرُّها وصميمُها
فإن حُصِّلَتْ أشرافُ عبدٍ منافٍ	ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فخرت يوماً فإنَّ محمداً	هو المصطفى من سرِّها وكريمُها
تداعت قريشٌ عُثَّها وسميمُها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومُها
وكنَّا قديماً لا نُقرُّ ظلامَةً	إذا ما ثنَّوا صُغَرَ الحدود نقيمُها
ونحمي حماها كلَّ يومٍ كريهةٍ	ونضرب عن أجحارها من يرومُها

بنا انْتَمَشَ الْعُودَ الذَّوَاهِ وَإِنَّمَا بَا كِنَانَا تَنْدَى وَتَنْمِي أَرْوْمُهَا

وقال أبو السَّكَنِ زكريا بن يحيى الطائى فى الجزء المنسوب إليه المشهور : حدثنى عمر بن أبى زُحر بن حصين ، عن جده حميد بن مُنْهَب ، قال : قال جدى خُرَيْم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه منصرفاً من تبوك ، فأُسلمت ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُلْ ، لا يَقْضِيَنَّ اللَّهُ فَاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طَبِيتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرًا : ت وَلَا مُضَفَّةً وَلَا عَاقُ
بَلْ نُطْفَةِ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ ^(١) إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى يَنْتُكَ الْمُهَيْمِنِ مِنْ خِنْدَفَ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ ^(٢)
وَأَنْتَ لَمَّا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرَضُ ضُ وَضَاءُ بَنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي الْ نُورِ وَسُبُلِ الرِّشَادِ نَحْتَرِقُ

وقد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت .

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبى الحديد : أخبرنا محمد بن أبى نصر ، أنبأنا عبد السلام بن محمد بن أحمد القرشى ، حدثنا أبو حصين محمد ابن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني . حدثني إسحاق ابن إبراهيم بن سنان ، حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني ، حدثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس قال : سألت

(١) الشفا والبدء والتاريخ : من صالِب . (٢) النطق : جمع ناطق .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت : فذاك أبى وأمى ، أين كنت وآدمُ فى الجنة ؟ قال : فتبسّم حتى بدّتْ نواجذه ثم قال : « كنت فى صُلبه ، وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم ، لم يَلْتَقِ أبواى على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسبية إلى الأرحام الطاهرة صَفِيًّا مَهْدَبًا ^(١) لا تتشعبُ شُعْبَتَانِ إلا كنت فى خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى ، ونشر فى التوراة والإنجيل ذِكْرى ، وبين كل نبي صَفْتى ، تُشرق الأرض بنورى والنعيم بوجهى ، وعلمنى كتابه وزادنى [شرفاً] فى سماءه ، وشق لى اسمًا من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ، ووعدنى أن يَحْبُوْنى بالخوض والكوتر ، وأن يجعلنى أولَ شافع وأول مشفع ، ثم أخرجنى من خير قَرَنٍ لأمتى ، وهم الحمّادون يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فى الظَّلَالِ وفى مُسْتَوْدَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ سَكَنْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرُ أَذْ ت وَلَا نُظْفَةُ وَلَا عَاقُ
مُطَهَّرٌ تَرَكَبَ السَّفِينِ وقد أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْفِرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى طَبَقٌ بَدَأَ طَبَقُ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله حساناً » فقال على بن أبى طالب : وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة .

ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً .

(١) المطبوعة : صفى مهدي ، وهو تحريف .

قلت : بل منكر جداً . والحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضى الله عنه . ثم أورها
من حديث أبي السكن زكريا بن يحيى الطائى كما تقدم .

قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمى . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضى عياض فى كتابه « الشفاء » : « وأما أحمد الذى أتى فى الكتب
وبشرت به الأنبياء فنع الله بحكمته أن يسمّى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله ،
حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .

وكذلك محمد [أيضا] لم يسمّ به أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قبيل
وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء
أن يكون أحدهم هو الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة^(١) الأنصارى ،
ومحمد بن براء البكرى^(٢) ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن خمران الجعفى ،
ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم .

ويقال إن أول من سمى محمداً محمد بن سفيان [بن مجاشع]^(٣) واليمن تقول : بل
محمد بن اليحمد من الأزد .

ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد ، أو يظهر
عليه سبب يشكك^(٤) أحداً فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان له صلى الله عليه وسلم لم يناع
فيهما^(٥) هذا لفظه .

(١) المطبوعة : سلمة ، وهو خطأ . (٢) كذا فى الشفاء . وكان الأصل : ابن البراء الكندى .

(٣) ليست فى الشفاء . (٤) المطبوعة : يشكك وهو خطأ . (٥) الشفاء ١٩٠ الطبعة العثمانية .

باب مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين .

لما رواه مسلم في صحيحه من حديث غَيَّلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ^(١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ الزَّمَانِيِّ^(٢) ،
عن أبي قتادة أن أعرابيا قال : يارسول الله ، ماتقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك
يوم ولدت فيه وأنزل عليّ فيه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ،
عن حنّس الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين ، واستنّبى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم
المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفّع الحجر يوم الاثنين .

تفرد به أحمد ، ورواه عمرو بن بكير عن ابن لهيعة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم
الاثنين « اليوم أكملت لكم دينكم » .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضا : وكانت وقعة بدر
يوم الاثنين . ومن قال هذا يزيد بن حبيب . وهذا منكر جداً .

قال ابن عساكر : والمحفوظ أن بدراً ونزول « اليوم أكملت لكم دينكم » يوم
الجمعة وصدق ابن عساكر .

وروى عبد الله بن عمر ، عن كريب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين . وهكذا روى من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد
يوم الاثنين .

(١) ط : جرير بن عبد الله ، وهو خطأ فاحش .

(٢) نسبة إلى زمان بن مالك بطن من ربيعة .

وهذا مالا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين .

وأبعد بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول .
نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب « إعلام الروى بأعلام الهدى » لبعض الشيعة .
ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص .

ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول ، فقل : ليلتين خلتا منه . قاله
ابن عبد البر في الاستيعاب ، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني .
وقيل لثمان خلون منه . حكاها الحميدى عن ابن حزم . ورواه مالك وعقيل ويونس
ابن يزيد وغيرهم عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم .

ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه وقطع به الحافظ الكبير محمد
ابن موسى الخوارزمى . ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه : « التنوير في
مولد البشر النذير » .

وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه . ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر
الباقر ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل لثنتي عشرة خلت منه . نص عليه ابن إسحاق . ورواه ابن أبي شيبه في
مصنفه عن عفان ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول وفيه بُعث
وفيه عُزِّج به إلى السماء ، وفيه هاجر وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور
والله أعلم .

وقيل لسبعة عشر خلت منه : كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة .

وقيل لثمان بقين منه : نقله ابن دحية من خط الوزير أبى رافع بن الحافظ أبى محمد

ابن حزم عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضيئ منه ، كما نقله عنه الحميدى وهو أثبت .

والقول الثانى : أنه ولد فى رمضان . نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار ، وهو قول غريب جداً ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه فى رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده فى رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خيثمة بن سايان الحافظ ، عن خلف بن محمد كِرْدوس الواسطى ، عن المعلّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى ربيع الأول ، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين فى أول شهر ربيع الأول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين فى ربيع الأول . وهذا غريب جداً . رواه ابن عساكر .

قال الزبير بن بكار : حملت به أمه فى أيام التشريق فى شعب أبى طالب عند الجمرّة الوسطى . وولد بمكة بالدار المعروفة بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيّب ابن شريك . عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : حُمل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشوراء فى الحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أن الخيزران ، وهى أم هارون الرشيد ، لما حَجَّت أمرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف بها اليوم .

وذكر السهيلي أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان . وهذا أعدل الزمان والفصول ، وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لدى القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج .

وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدى ، وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من القرب وهي درجة وسط السماء . وكان موافقا من البروج الحمل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل . نقله كله ابن دحية والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل . وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيم بن المنذر الحزامي^(١) : وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ؛ وبُعِثَ على رأس أربعين سنة من الفيل .

وقد رواه البيهقي من حديث أبي إسحاق السبّيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني المطلّب بن عبد الله بن قيس بن مخزّمة ، عن أبيه عن جده قيس بن مخزّمة ، قال وُلِدْتُ أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، كُنَّا لِدَيْنِ^(٢) .

قال : وسأل عثمان رضى الله عنه قُبَاثُ بْنُ أَشِّيمَ أَخَا بَنِي يَمْعَرِ بْنِ لَيْثٍ : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد . ورأيت خَزَقَ الْفِيلِ^(٣) أخضرَ مُحْيِلًا . ورواه الترمذى والحاكم من حديث محمد بن إسحاق به .

(١) نسبة إلى جده الأعلى خالد بن حزام . (٢) ابن هشام : فتحن لِدَان . (٣) خزق الفيل : روثه .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام عكاظ ابن عشرين سنة .
وقال ابن إسحاق : كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناء الكعبة بعد
الفجار بخمس عشرة سنة ، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين .
وقال محمد بن جبير بن مطعم : كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء
الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة .

وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني : حدثنا الزبير
ابن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقُبَاث بن أَشِّمِ
الْكِنَانِي ثم اللَّيْثِي : يَا قُبَاثُ أَنْتَ أَكْبَرُ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ :
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْنُ . وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عامَ الفيل ، ووقفت بي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الفيل حِمِيلًا أَعْقَلَهُ ، وَتَنَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا نعيم ، يعني
ابن ميسرة ، عن بعضهم ، عن سُؤَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا لِدَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَتْ عامَ الفيل .

قال البيهقي : وقد روى عن سويد بن غفلة أنه قال : أنا أصغر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسنتين .

قال يعقوب : وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني
عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان التوفلي ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم . قال : ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وكانت بعده عكاظ ^(١) بخمس عشرة سنة ،

(١) عكاظ : يوم من أيام العرب .

وَبُنِيَ الْبَيْتُ عَلَى رَأْسِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ ، وَتَنَبَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِدَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ .
فَقِيلَ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ ، وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَهُوَ أَشْهَرُ .
وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ : كَانَ قُدُومُ الْفِيلِ لِلنَّصَفِ مِنَ الْحَرَمِ ، وَمَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ عَامُ الْفِيلِ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ سَنِينَ . قَالَ ابْنُ أَبِزَى .

وَقِيلَ بِثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً رَوَاهُ شُعَيْبُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ كَمَا تَقْدُمُ .
وَقِيلَ : بَعْدَ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاخْتَارَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَقَالَ أَبُو زَكْرِيَا الْعَجَلَانِيُّ : بَعْدَ الْفِيلِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا ، رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا .

وَأَغْرَبُ مِنْهُ مَا قَالَهُ خَلِيفَةُ بْنُ خِيَاطٍ : حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ حَبَّانٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ ابْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْفِيلِ بِخَمْسٍ عَشْرَةَ سَنَةً . وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَمُنْكَرٌ وَضَعِيفٌ أَيْضًا .

قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خِيَاطٍ : وَالْجَمْعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِدَ عَامَ الْفِيلِ .

صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المائة عن ولده عبد الله ، حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى ، لما كان قدّر في الأزل من ظهور النبي الأمي صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه ، ذهب كما تقدم فزوجه أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهريّة ، حين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل ، أخت ورقة بن نوفل ، توسّمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع آمنة من النور ، فودّت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها وهو أظهر . والله أعلم ، فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعة إياها كأنه ندم على ما كانت عرضت عليه . فتعرض لها لتعاوده . فقالت : لا حاجة لي فيك . وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك ما قدمناه من الشعر الفصيح البليغ . وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كما قال تعالى « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

وقد تقدم الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح » .

والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمّل في بطن أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، هو الواقدي ، حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي ،

وحدثنا سعيد بن أبي زيد ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصعة ، قال : خرج عبد الله بن عبد المطالب إلى الشام إلى غزة في غير من غيران قریش يَحْمِلُونَهُ تجارات ، ففرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدُ الله بن عبد المطالب يومئذ مريض ، فقال اتَّخَلَّفَ عند أخوالى بنى عَدِيَّ بن النجار .

فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فَقَدِمُوا مَكَّةَ ، فسألهم عبد المطالب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض .
فبعث إليه عبد المطالب أكبرَ ولده الحارث ، فوجده قد توفى ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره .

فوجد عليه عبد المطالب وإخوته وأخواته وَجْداً شديداً .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حَمَلٌ ، ولعبد الله بن عبد المطالب يومَ توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبتُ الأفاويل في وفاة عبد الله وسنه عندنا .
قال الواقدي : وحدثني مَعْمَرُ عن الزهري ، أن عبد المطالب بعث عبد الله إلى المدينة يُمْتَارُ لَهُمْ تَمراً فمات .

قال محمد بن سعد : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عَوَّانه بن الحكم . قالوا : توفى عبد الله بن عبد المطالب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد : والأول أثبت ، أنه توفى ورسول الله صلى الله عليه وسلم حَمَلٌ .

وقال الزُّبَيْرُ بن بَكَّار : حدثني محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خربوذ ،

قال : توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ شهرين ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جده وهو ابن ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب .

والذى رجَّحه الواقدي وكتبه الحافظ محمد بن سعد أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه .
وهذا أبْلَغُ الِيتِمِ وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث « ورؤيا أُمى الذى رأت حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت آمنة بنت وَهْب أمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدّث أنها أُتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لها : إنك قد حملتِ بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى :

أَعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، مِنْ كُلِّ بَرٍّ عَاهِدٍ ^(١) وكل عبد رائد ، يذود عنى ذائد ، فإنه عند الحميد الماجد ، حتى أراه قد أتى المشاهد .

وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصْرَى من أرض الشام ، فإذا وقع فسمِّيه محمداً ، فإن اسمه فى التوراة أحمد ، يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ ، واسمه فى الإنجيل أحمد ، يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ ، واسمه فى القرآن محمد .

وهذا وذاك يقتضى أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، ثم لما وضعته رأت عياناً تأويلَ ذلك كما رآته قبل ذلك هاهنا . والله أعلم .

(١) الذى فى ابن هشام إلى قوله : حاسد . وهذه الزيادة باختلاف فى الوفا والدلائل .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا محمد بن عمر ، هو الواقدي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهري . وقال الواقدي : حدثنا موسى بن عبدة ، عن أخيه ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عمته أم بكر بنت السور عن أبيها . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المزني وزيد ابن حشرج ، عن أبي وجزة . وحدثنا معمر ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس . دخل حديث بعضهم في حديث بعض : أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به - تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضةً من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاء له قصور الشام وأسواقها ، حتى رويت أعناق الإبل ببُصرى ، رافعا رأسه إلى السماء .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ ، أنبأنا محمد بن إسماعيل أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنا يونس بن مبشر بن الحسن ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي ، عن عثمان بن أبي العاص ، حدثني أمي : أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولده ، قالت : فما شيء أنظره في البيت إلا نور ، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعنَّ عليّ .

وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابِلته ، وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهلَّ سمعت قائلاً يقول : يرحمك الله . وإنه سطع منه نور رثيت منه قصور الروم .

قال محمد بن إسحاق : فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ، وقد هلك أبوه
وهى حبلى ، ويقال إن عبد الله هلك والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهراً ،
فإن الله أعلم أى ذلك كان - فقالت : قد ولد لك غلام فانظر إليه .
فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما
أمرت أن تسميه .

فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة ، فقام عبد المطلب يدعو
ويشكر الله عز وجل ويقول :

الحمدُ لله الذى أعطانى	هذا الغلام الطيبَ الأرَدانِ
قد سادَ فى المهدِ على الغلمانِ	أُعِيذُهُ بلبيت ذى الأركانِ
حتى يكونُ بُلغةَ الفتیانِ	حتى أراه بالغِ البنيانِ
أُعِيذُهُ من كل ذى شَنانِ	من حاسدٍ مضطربِ العنانِ
ذى هَمَّةٍ ليس له عينانِ	حتى أراه رافعِ اللسانِ
أنت الذى سُمِّيتَ فى القرآنِ	فى كُتُبِ نابتةِ الثانى

* أحمد مكتوب على اللسان *

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم
الدَّرَّازِي^(١) - بمرو - حدثنا أبو عبد الله البوشنجي ، حدثنا أبو أيوب سليمان بن
سلمة الخبائري ، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي
بمصر ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه . قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا

(١) كذا ولعلها نسبة إلى دراورد .

مسرورا . قال : فأعجب جدّه عبد المطالب وحظّى عنده ، وقال : ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وهذا الحديث فى صحته نظر .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر ، من حديث سفيان بن محمد المصيصى ، عن هشيم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتى على الله أنى ولدت نختونا ولم يرَ سواى أحد » .

ثم أوردته من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أوردته من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو البا غنّدى - حدثنا عبد الرحمن ابن أيوب الحمصى ، حدثنا موسى بن أبى موسى المقدسى ، حدثنى خالد بن سلمة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً نختونا .

وقال أبو نعيم : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطرى ، حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكى ، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائرى ، حدثنا يونس بن عطاء ، حدثنا الحكم ابن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم نختونا مسرورا ، فأعجب ذلك جدّه عبد المطالب وحظّى عنده ، وقال ليكونن لابنى هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر .

وفى هذا كله نظر .

ومعنى نختونا : أى مقطوع الختان . ومسروراً : أى مقطوع الشرة من بطن أمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصرى ، حدثنا على ابن محمد المدائنى السلى ، حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد ، عن أبيه ، عن أنى بكرة ، أن جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه .
وهذا غريب جدا .

وقد روى أن جده عبد المطالب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها .
والله أعلم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأني محمد بن كامل القاضي - شفاهاً - أن محمد بن إسماعيل حدثه - يعنى السلى - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي الحكم التَّنُوخى . قال : كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةٌ ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطالب إلى نسوة فكفأن عليه بُرْمَةٌ ، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء . فأتاهن عبد المطالب فقلن له : ما رأينا مولوداً مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة ، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً ببصره إلى السماء .

فقال : احفظنه فإنى أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يصيب خيراً .

فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطالب ، أرايت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ، ما سمّيته ؟ قال : سمّيته محمداً . قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء وخلقهُ فى الأرض .

قال أهل اللغة : كلُّ جامع لصفات الخير يسمى محمداً ، كما قال بعضهم :

إليك - أبيتَ اللعن - أَعْمَلْتُ نَاقِي إلى الماجدِ القِرْمِ الكريمِ الحمدِ

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ،
ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عمه أبو طالب ،
ويروى لسان :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ

وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشمائله ، وهى صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة
ودلائل نبوته وفضائل منزلته فى آخر السيرة إن شاء الله .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن
يعقوب ، حدثنا أحمد بن شيبان الرَّمْلَى ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبى ، حدثنا الهيثم
ابن جميل ، حدثنا زهير ، عن محارب بن دثار ، عن عمرو بن يثرب ، عن العباس بن
عبد المطلب ، قال قلت : يا رسول الله ، دعانى إلى الدخول فى دينك أمانةً لنبوتك ،
رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بإصبعك ، فحيث أشرت إليه مال . قال :
« إني كنت أحدثه ويحدثنى ويأبىنى عن البكاء ، وأسمع وجبته حين يسجد
تحت العرش » .

ثم قال : تفرد به [أحمد بن إبراهيم الحلبى] وهو مجهول^(١) .

فصل

فما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا فى باب هواتف الجان ما تقدم من خروور كثير من الأصنام ليلتئذ
لوجوها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشى ملك الحبشة ، وظهور النور معه
(١) الأصل : تفرد به اللبثى . وما أثبتته عن الحصاص . وليس فى السند اللبثى . وهذا الخبر أخرجه أيضاً
الخطيب وابن عساكر فى تاريخهما . وهو غريب الإسناد والمتن .

حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جائياً رافعاً رأسه إلى السماء ، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم ، وما شوهده من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي عن تفسير بَقِيّ بن مُحَمَّد الحافظ ، أن إِبَاسَ رَنّ أربَعَ رَنّات : حين لُعن ، وحين أُهبط ، وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى قد سكن مكة يتّجر بها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس قريش : يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله مانع له . فقال الله أكبر ، أمّا إذا أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد هذه الليلة نبيّ هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فيه فمنعه الرضاع .

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا : قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً . فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديث اليهودى وهل بلغكم مولد هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فأخبروه الخبر . قال فاذهبوا معى حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا : أخرجى إلينا ابنك . فأخرجته وكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة ، فوقع اليهودى مغشياً عليه ، فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك ؟ قال : قد ذهبت والله

النبوة من بنى إسرائيل ، فَرَحِمَ بها يامعشر قريش ؟ والله لَيَسْطَوْنَ بكم سَطْوَةً يخرج خبرها من المشرق والمغرب^(١) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن إبراهيم [بن عبد الرحمن بن عوف]^(٢) عن يحيى [بن عبد الله]^(٣) بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارة قال : حدثني من شئت من رجال قومي [ممن لا أنهم]^(٤) عن حسان بن ثابت . قال : إني لفلانمُ يَقَعُ ابن سبع سنين - أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت^(٥) إذا يهودى فى يثرب يصرخ ذات غداة : يامعشر يهود . فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبى بكر بن عبد الله العامرى ، عن سليمان بن سحيم وذريح^(٥) بن عبد الرحمن ، كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبى سعيد عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم ، ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظللَّ خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهل ، كالمستهزىء به : ماصفته ؟ فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلَةَ ويركب الحمار ، سيفه على عاتقه وهذا البلد مُهْجَرُهُ . قال : فرجعت إلى قومي

(١) كان الرسول نبي رحمة ولم يكن نبي عذاب ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » لذلك لا بد من الاحتراز فى فهم هذه النصوص التى تكررت مثل قوله فيما سبق :

ولهم آخرَ الزَّمانِ نبيٌّ يكثرُ القتلَ فيهم والحوشا

ولعلها من تزيد الرواة .

(٢) سقطت من المطبوعة . (٣) ليست فى ابن هشام . (٤) ابن هشام : « أعقل كل

ما سمعت ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أظمة يثرب : يامعشر يهود حتى إذا اجتمعوا لآله .. » وهذا مثل على عدم التزام المؤلف للنص فيما ينقل . (٥) دلائل النبوة : ورميح بن عبد الرحمن

بنى خُدرة وأنا يومئذ أنعجب مما يقول يوشع، فاسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب يقولون هذا .

قال أبي مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قُرَيْظَةَ فأجد جَمْعًا ، فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطالع إلا لخروج نبي أو ظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذا مهاجرة . قال أبو سعيد : فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

وقال أبو نعيم : حدثنا عمر بن محمد ، حدثنا إبراهيم بن السندی ، حدثنا النضر بن سلمة ، حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت ، عن إبراهيم بن يحيى بن ثابت ، سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بنى قريظة والنضير يذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده ، واسمه أحمد ومُهَاجِرُهُ إلى يثرب ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا . وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم ومحمد بن حبان : حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم ، حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، قال : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل : قال لي حبر من أحبار الشام : قد خرج في بلدك نبي ، أوهو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع فصدقه واتبعه .

ذكر ارتجاس الإيوان

وسقوط الشرفات ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان ، وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب هواتف الجان : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران ، من آل جرير بن عبد الله البجلي ، حدثني مخزوم بن هاني الخزومي ، عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تحمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة . ورأى الموبدان إبلاً صعباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم ، فلما أصبح كسرى أفرعه ذلك فتصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مراكزته ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريرته . ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده . قال : أتدرون فيم بعث إليكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك . فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب خمود النيران فازداد غمّاً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله .

فقال الموبدان : وأنا ، أصلح الله الملك ، قد رأيت في هذه الليلة رؤيا . ثم قص عليه رؤياه في الإبل . فقال : أي شيء يكون هذا ياموبدان ؟ قال : حدث يكون في ناحية العرب . وكان أعلمهم من أنفسهم .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ؛ أما بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه . فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقيلة^(١) النساني ، فلما ورد عليه قال له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرني أو ليسأني الملك عما أحب ، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم . فأخبره بالذي

(١) المطبوعة : قبيلة وهو خطأ .

رجه به إليه فيه . قال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سَطِيح . قال فائمه فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره .

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سَطِيح وقد أشفى على الضريح ، فسلم عليه وكله فلم يرد إليه سَطِيح جواباً فأنشأ يقول :

أَصَمَّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الِيَمَنُ	أَمْ فَادَ فَازَلَمَ بِهِ شَأُو الْعَنَ (١)
يَا فَاصلَ الْخُطَّةَ أَعْيَتَ مَنْ وَمَنْ	أَنَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُثْمِهِ مِنْ آلِ ذِيبِ بْنِ حَجَنْ	أَزْرَقَ نَهْمُ النَّابِ صَرَّارِ الْأُذُنِ (٢)
أَيُّضَ فَضْمَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ	رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنِ (٣)
تَجُوبُ بِي الْأَرْضِ عَلَنَدَاةَ شَزَنْ	لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ (٤)
تَرْفَعُنِي وَجَنًّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ	حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنْ (٥)

(١) فاد : مات . قال :

رَعَى خَرَزَاتِ الْمَلِكِ عَشْرِينَ حِجَّةً وَعَشْرِينَ حَتَّى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ

وازلم : ذهب مسرعاً . والأصل فيه ازلأم فخذت الهزرة تخفيفاً . وقيل : أصلها ازلأم ، كاشباه فخذت الألف تخفيفاً أيضاً . وشأو العن : اعتراض الموت على الخلق . وقيل : ازلم : قبض . والعن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية في النهاية : أن فار . انظر النهاية ٢ / ١٣٩ . (٢) صرار الأذن : ينصبها للاستماع .

(٣) وتروى : ينمى للوسن . والوسن : أول النوم .

(٤) العلنداة : القوة من النوق . والشزن : التي تمشى من نشاطها على جانب . شزن فلان إذا نشط . وقيل : الشزن : المعنى من الحفاء .

هذا والمشهور في رواية البيت :

تَجُوبُ بِي الْأَرْضُ عَلَنَدَاةَ شَزَنْ تَرْفَعُنِي وَجَنًّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ

أما الشعر الثاني هنا فيروى :

رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَنْمِي لِلْوَسَنِ لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ

(٥) الوجن بفتح ن تكون وينعتين : الأرض الغليظة الصلبة . ويروى بالضم جمع وجن . والجاجى : جمع جوجو ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء : أسفل الظهر . وقيل : الصواب القطن بكسر الطاء جمع قطنة وهي ما بين الخندين .

تَلْفُوهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءَ الدِّمَنِ كَأَنَّمَا حُحِّثَ مِنْ حِصْنِي شَكْنٌ^(١)

قال : فلما سمع سَطِيحَ شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جمل مُشِيح ، أتى سَطِيح ، وقد أَوْقَى على الضَّرِيح ، بعثك مَلِكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدَان ، رأى إبلاً صِعَاباً ، تقود خيلاً عِرَاباً ، قد قعاعت دِجَلَةٌ ، وانتشرت في بلادها .

ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهِرَاوَة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً . يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشُّرُفَات وكلها هو آتِ آت .
ثم قضى سَطِيح مكانه .

فنهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمَّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْعَزْمِ شِمِيرٌ	لَا يُفِرُّعُنْكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنْ يُنْسِ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَاطَهُمْ	فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرَبِّمَا رِبْمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ	يَخَافُ صَوْلَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاوِيرُ
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ	وَالْهَرَمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا	أَنْ قَدْ أَقْلَّ فَحَقُورُ وَمَهْجُورُ
وَرَبِّ قَوْمٍ لَمْ يَحْبَبَانِ ذِي أُذُنٍ	بَدَتْ تَلَبُّهُمُ فِيهِ الْمَزَامِيرُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا	فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مُحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ

(١) البوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه ، أى تجمع وتلبد . وتشهد له الرواية الأخرى :

* تلفحه الريح ببوغاء الدمن *

وححث : حرك . والشكن : جبل .

وقد وردت هذه القصعة في لسان العرب ٣/ ٣١٢ ، وفي الأكتفا للسكاغى بتحقيق باختلاف وزيادة ونقص قال الأزهري وهو حديث حسن غريب .

والخير والشرُّ مقرونان في قرْنٍ فالخيرُ مُتَّبِعٌ والشرُّ محذورٌ

قال : فلما قَدِمَ عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى : إلى أن يَمْلِكَ منا أربعة عشر مَلِكًا كانت أمور وأُمور !

فَمَلَكَ منهم عشرةٌ في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضى الله عنه .
ورواه البيهقي من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

قلت : كان آخر ملوكهم - الذى سلب منه الملك يَزْدَجَرْد بن شهریار بن أبريز بن هرمز بن أنوشروان وهو انذى انشق الإيوان في زمانه . وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيومرت ^(١) بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح [وقد تقدم ترجمة شق وسطيح في أخبار أهل اليمن] ^(٢) .

أما سَطِيح هذا فقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : هو الربيع بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن الأزد . ويقال الربيع بن مسعود وأمه ردعا بنت سعد بن الحارث الحجورى . وذكر غير ذلك في نسبه .

قال : وكان يسكن الجابية .

ثم روى عن أبى حاتم السجستاني قال : سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا : وكان من بعد لقمان بن عاد . ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذى نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً ، وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وتزعم الأزد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون هو من الأزد ولا ندرى ممن هو غير أن ولده يقولون إنه من الأزد .

(١) ويقال له : كيومرت . رقى ط : خيومرت (٢) من المخطوطة ١ .

(٣) من هنا إلى قوله وقال أبو نعيم مكتوب بحاشية الحلية لم يرد في النسخة ١ واكتفى بقوله : وقد تقدم ..

وروى عن ابن عباس أنه قال : لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحاً ، إنما كان الحما على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفّيه ، وكان يطوى كما يطوى الثوب من رجليه إلى عنقه ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه .

وقال غيره : إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس .

ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فتلقاه جماعة من رؤسائهم منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي ، فامتحنوه في أشياء فأجابهم فيها بالصدق ، فسألوه عما يكون في آخر الزمان ، فقال : خذوا مني ومن إلهام الله إياي : أتم الآن يامعشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشئ من عقبكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم ، ويتبعون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الفهم . ثم قال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ليخرجن من ذا البلد ، نبي مهتد ، يهدي إلى الرشd ، يرفض يفتو والفند ، يبرأ عن عبادة الضد ، يعبد رباً انفراداً ، ثم يتوفاه الله بخير دار محمودا ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي أمره الصديق ، إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس . وما بعد ذلك من الفتن والملاحم . ساقه ابن عساکر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمn حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ، ثم ما يكون في بلاد اليمn من الفتن وتغيير الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي . قال : ومن هذا النبي ؟ قال : من ولد غالب بن فهر ، بن مالك

ابن النَّصْر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال :
نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال
أحقُّ ما تخبرني ؟ قال : نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه لحق .
ووافقه على ذلك شق سواء بسواء بعبارة أخرى كما تقدم .

ومن شعر سَطِيح قوله :

عليكم بتقوى الله في السرِّ والجهر ولا تلبسوا صِدْقَ الأمانة بالغَدْرِ
وكونوا لجارِ الجنبِ خِصْناً وَجَنَّةً إذا ما عَرَّته النَّائباتُ من الدهْرِ

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعَاذِي بن زكريا الجريري فقال :
وأخبار سَطِيح كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنه كان كاهناً ، وقد
أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن نفعته ومبعثه . وروى لنا بإسناد الله به أعلم أن
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سَطِيح فقال : « نبي ضيَّعه قومه » .

قلت : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره
بإسناد أصلاً ، ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسي ولا يصح أيضاً .

وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسَطِيح ، وفيها رواح التصديق ، لكنه
لم يدرك الإسلام كما قال الجريري . فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنه قال لابن أخته :
يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت
بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسَطِيح شاماً ، يملك منهم ملوك
وملكات ، على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت . ثم قضى سَطِيح مكانه وكان ذلك
بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر — أو شَيْعَه ^(١) — أي أقل منه .

وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق . فالله أعلم بأمره وما صار إليه .

وذكر ابن طرار الجريري^(١) أنه عاش سبعمائة سنة . وقال غيره خمسمائة سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر أن ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه ، فأخبره على الجليّة في كلام طويل مليح فصيح . فقال له الملك ياسطيح ألا تخبرني عن علمك هذا ؟ فقال : إن علمي هذا ليس مني ولا يجزّم ولا بظن ، ولكن أخذته عن أخ لي قد سمع الوحي بطور سيناء . فقال له أرايت أخاك هذا الجنى أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزول حيث أزل ، ولا أنطق إلا بما يقول .

وتقدم أنه ولد هو وشقيق بن مُصعب بن يَشكر بن رهم بن بسر بن عقبة الكاهن الآخر ، وُلِدَا في يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميدية فتفلت في أفواههما فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ويقال إن خالد بن عبد الله القسري من سلالة ، وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بَقِيْلَة^(٢) الفسائي النصراني فكان من المعمرين .

وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه وقال هو الذي صالح خالد بن الوليد على [الحيرة^(٣)] وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سُمّ ساعة فلم يصبه سوء ، لأنه لما أخذه قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه أذى . ثم أكله

(١) ابن طرار الجريري : هو الإمام المشهور أبو الفرج العافى بن زكريا الجريري التهرواني . وقد ذكره ابن كثير قريباً باسمه . الباب ١/ ٢٢٤ .
(٢) الطبوعة : نفيلة . وهو خطأ . (٣) سقطت من الأصل وهي من الاشتقاق لابن دريد ٤٨٥ .

فعاتّه غشية فضرب بيديه على صدره ، ثم عرق وأفاق رضى الله عنه وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم (١) .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا المسيب بن شريك ، حدثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : كان بمرّ الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم .

وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه نخالفة أخطأ حاجته ، وبالله ما تركت أرض النحر والنخيل والأمن ولا حلت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه ، فيقول ما جاء بعد . فيقال له : فصِّفه . فيقول لا .

ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه ، مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكون إليه من الأذى يوماً .

ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله ابن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف في أصل صومعته ثم نادى : يا عيصاه . فناداه من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله . فأشرف عليه فقال : كن أباه فقد ولد المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ، ويموت الاثنين .

(١) إلى هنا آخر الحاشية التي أثبتتها المطبوعة عن النسخة الحلية

قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال فما سميته ؟ قال : محمداً قال : والله لقد كنت أشتى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال نعرفه بها ، منها أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد . انطلق إليه فإن الذي كنت أخبركم عنه ابنك . قال فما يدريك أنه ابني ؟ ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله لي شبيه علمه على العلماء فإنه حجة . وآية ذلك أنه الآن وَجِئَ فيشتكي أياماً ثلاثة ، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى . فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحَسَّد أحد حسده قط ، ولم يُبَغَّ على أحد كما يُبَغَّى عليه ، إن تعش حتى يبدو مقالته ثم يدعو لظهر لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبرٍ وعلى ذل ، فاحفظ لسانك ودار عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين ، يموت في وترٍ دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جُلِّ أمته .

قال : وحل برسول الله صلى الله عليه وسلم في عاشر المحرم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .
هكذا رواه أبو نعيم ^(١) وفيه غرابة .

ذكر حواضنه ومرآضه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم .

وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمه أبي لهب ثويبة قبل حليلة السعدية .

(١) ورواه أيضا ابن عساكر

أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث الزُّهْرَى عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، قالت : يا رسول الله انكح أختى بنت أبي سفيان ولمسلم : « عَزَّة بنت أبي سفيان » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو تحبين ذلك ؟ » قلت : نعم لستُ لك بمخلية وأحبُّ من شاركنى فى خيرٍ أختى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فإن ذلك لا يحلُّ لى » .

قالت : فإننا نحدث أنك تريد أن تنكح بنتَ أبي سلمة ، وفى رواية : « درة بنت أبي سلمة » قال : « بنت أم سلمة ؟ » قلت : نعم . قال : « إنها لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلَّت لى ، إنها لابنة أخى من الرضاعة ، أرضعتى وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرّضن على بناتكن ولا أخواتكن » .

زاد البخارى : قال عُرْوَة : وثويبة مولاة لأبى لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب أُرِيه بعضُ أهله بشرَّ خبيّة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ فقال أبو لهب : لم ألقَ بعدكم خيراً ، غير أنى سُقيت فى هذه بعثاقتى ثويبة . وأشار إلى النقرة التى بين الإبهام والذى تليها من الأصابع .

وذكر السهلى وغيره : أن الرأى له هو أخوه العباس . وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر . وفيه إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفف علىّ فى مثل يوم الاثنين .

قالوا : لأنه لما بشرته ثويبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزى بذلك لذلك .

ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

من حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة
قال محمد بن إسحاق : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب ،
واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَام بن ناصرة [بن فُصَيَّة بن نصر] ^(١)
ابن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ ^(٢) بن قيس عَيْلان
ابن مُضَر .

قال : واسم أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرضعه - يعنى زوج حليلة .
الحارث بن عبد المُزَيَّ بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن .
وإخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت
الحارث ، وخِدَامَةُ ^(٣) بنت الحارث ، وهى الشَّيْء ، وذكروا أنها كانت تحضن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جَهْم بن أبي جهم [مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند
الحارث بن حاطب ، ويقال له] ^(٤) مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدثني من سمع
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حدثت عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت
مكة فى نسوة - وذكر الواقدي بإسناده أنهن كنَّ عشرة نسوة من بنى سعد بن بكر
يلتمسن بها الرُّضْعَاء - من بنى سعد نلتمس بها الرُّضْعَاء فى سنة شَهَبَاء ^(٥) ، فقدمت

(١) من ابن هشام . (٢) المطبوعة : حفصة ، وهو خطأ .

(٣) قال السهيلي : وقال غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم .

(٤) ليست فى ابن هشام . (٥) شهباء : مجذبة .

على أتان لي قَمَرَاء كانت أذمت بالركب^(١) ، ومعى صبي لنا ، وشارف لنا والله ماتَبِضُ^(٢) بقطرة ، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، مانجد^(٣) في ثدي ما يُغْنِيهِ ولا في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً .

فقد منّا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل إنه يتيم ، تركناه قلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ! فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيرى .

فلما لم نجد غيرَه وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلا خذنه . فقال : لا عليك أن تفعلى ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره .

فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلى فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام صاحبى إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فلب ماشرب وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة .

(١) القمراء التى يميل لونها إلى الخضرة . وقد ذكرها السهيلي أولا : أذمت وقال : تريد أنها حبستهم وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف . ويروى : « حتى أذمت » أى أذمت الأتان أى جاءت بما تدم عليه ، والمعنى أنها أبطأت عليهم حتى حبستهم . (٢) ما تبض : ما ترشح .

(٣) العجيب أن ابن كثير رحمه الله يعدل عن لفظ ابن إسحاق ويخلطه بما يفسد المعنى ، ولو أنه أثبتته بنصه لكفى وأغنى ، وإليك نص ابن إسحاق : « وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثديي ... الخ » ولو ذهبنا نتبع مفارقات المؤلف فى نقله عن ابن إسحاق لطال بنا الأمر ، ويمكن أن نعلم أن ابن كثير يلخص المعنى بعبارة وي زيد ويحذف ولا يلتزم النص إلا قليلا .

فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليلة والله إنى لأراك قد أخذت نَسمة مباركة ،
ألم ترى ما بَدَّنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ ! فلم يزل الله عز وجل
يزيدنا خيراً .

ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فوالله لقطعتْ أُناتى بالرَّكب حتى ما يتعلق بها حمار ،
حتى أن صواحي ليقان : ويلك يا بنت أبى ذؤيب ! هذه أُناتك التى خرجت عليها معنا ؟
فأقول : نعم والله إنها لهى . فيقان : والله إن لها لشأناً .

حتى قدمنا أرضَ بنى سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أَجَدَبَ منها ، فإن كانت
غنى لتسرح ثم تروح شباعاً لبنا فنحلب ماشئنا ، وما حوالينا أو حولنا أحدٌ تَبِضُّ له
شاةٌ بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم أو لرعيانهم :
ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنى
حيث تسرح ، فتروح أغنامهم جياً ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامى شباعاً لبناً
نحلب ماشئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة نتعرفها .

حتى بلغ سنتين فكان يَسِبُّ شباباً لا تشبُّه الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان
غلاماً جَفْراً ^(١) فقدمنا به على أمه ونحن أضنُّ شىء به مما رأينا فيه من البركة ، فلما رأته
أمه ، قلت لها : دَعِينَا نرجع بابتنا هذه السنة الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة .

فوالله ما زلنا بها حتى قالت : نعم . فسرحتنا معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة .

فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى بهم لسا جاء أخوه ذلك يشتد ،
فقال : ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعه فشقا بطنه .

فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوَه ، فنجده قائماً مُنتقعا لونه ، فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ماشأنك ؟ قال : جاءني رجلان عايمهما ثياب بيض ، أضجعاني وشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم ردّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليلة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلق بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ماتخوف . قالت حليلة : فاحتملناه فلم ترعْ أمه إلا به ، فقدمنا به عليها فقالت : ماردٌ كما به يا ظئر ، فقد كنتم عليه حريصين ؟ فقالا : لا والله ، إلا أن الله قد أدى عنا وقضينا الذي عاينا وقلنا نخشى الإتيان والأحداث نرده إلى أهله . فقالت : ماذا بكما ، فاصدقاني شأنكما . فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ ! كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنه لكائن لابني هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ؟ قلنا : بلى . قالت : حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه ^(١) ، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً مايقعه المولود ، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق آخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي .

وقال الواقدي : حدثني معاذ بن محمد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خرجت حليلة تطلب النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجدت البهْمَ ثَقِيل ، فوجدته مع أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يأومه ماوجد أخى حرّاً ، رأيت غمامة تظلل عليه ، إذا وقف وقفت ؛ وإذا سار سارت ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم أنا دعوة أبي إبراهيم

(١) يوم ذلك أنها حملت بغيره ، وهو غير ثابت .

وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمى حين حمات بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر ، فبينما أنا فى بهم لنا أتانى رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا ، فأضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقا فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها ، ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج ، حتى إذا أنقياه ردّاه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه . زِنَهْ بعشرة من أمته . فوزننى بعشرة فوزنّتهم ، ثم قال : زِنَهْ بمائة من أمته . فوزننى بمائة فوزنّتهم . ثم قال زنه بألف من أمته . فوزننى بألف فوزنّتهم ، فقال : دَعَهْ عنك ، فلو وزنّته بأمته لوزنّتهم .

وهذا إسناد جيد قوى .

وقد روى أبو نعيم الحافظ فى الدلائل من طريق عمر بن الصبح ، وهو أبو نعيم ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدّاد بن أوس هذه القصة مطولة جداً ، ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع . فلهذا لم نذكر لفظ الحديث إذ لا يُفَرِّحْ به .

ثم قال : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن نفير ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن بحير بن سعيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن ابن عمرو السلمى ، عن عتبة بن عبد الله ، أنه حدثه أن رجلا سأل النبی صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابنٌ لها فى بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً ، فقلت : يا أخى اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخى ومكثت عند البهم ، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال نعم ! فأقبلا بيئدرانى ، فأخذانى فبطحانى للثقا فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقا ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه :

اثنى بماء ثاج . ففسلا به جوفى . ثم قال : اثنى بماء برد . ففسلا به قابى . ثم قال : اثنى بالسكينة فذرّها فى قابى . ثم قال أحدهما لصاحبه : خطّه . نخطه وختم على قابى بخاتم النبوة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفاً من أمته فى كفة . فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق أشفق أن يخرّ علىّ بعضهم . فقال : لو أن أمته وزّنت به لمال بهم . ثم انطلقا فتركا نى وفرقتُ فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمى فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت أن يكون قد لبس بى ، فقالت : أعيذك بالله . فرحلت بعيراً لها وحملتنى على الرحل . وركنت خافى ، حتى بلغنا إلى أمى ، فقالت : أدّيت أمانتى وذمتى . وحدّثتها بالذى لقيت ، فلم يرّعها ، وقالت : إنى رأيت خرج منى نور أضاءت منه قصور الشام .

ورواه أحمد من حديث بقية بن الوليد به . وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبى داود الطيالسى ، حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشى ، أخبرنى عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبى ذر الغفارى قال : قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبى حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبى ؟ قال : « يا أبا ذر ، أتانى ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو . قال زنه برجل . فوزنتى برجل فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال : « فما هو إلا أن ولياً عنى فكأنا أعين الأمر معاينة » .

ثم أورده ابن عساكر عن أبى بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك .

وثبت في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب واستخرج منه عاقمة سوداء ، فقال : هذا حظ الشيطان ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمداً قد قُتل . فاستقبلوه وهو مُنتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

وقد رواه ابن عساكر من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه ابن سعيد ، عن ثابت البناني ، عن أنس ، أن الصلاة فرضت بالمدينة ، وأن ملكين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجا حشوته في طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم لبسا جوفه حكمة وعلماً .

ومن طريق ابن وهب أيضاً ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن أبيه عن عبد الرحمن بن عامر بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال : قال خذوا خيرهم وسيدهم ، فأخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمد به إلى زمزم ، فشق جوفه ثم أتى بتور من ذهب ففسل جوفه ثم ملأه حكمة وإيماناً . وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس .

وفي الصحيحين من طريق شريك بن أبي نمر ، عن أنس ، وعن الزهري عن أنس ، عن أبي ذر وقتادة عن أنس ، وعن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم .

ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين ، مرة وهو صغير ، ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثل بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أنا أعزُّ بكم ، أنا قرشي واسترضت في بني سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق : أن حليمة لما أرجعته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقلبوه وقالوا إنا سنذهب بهذا الغلام إلى مَلِكنا فإنه كائن له شأن . فلم تكذب تنفلت منهم إلا بعد جهد .

وذكر أنها لما ردت به حين تخوفت عليه أن يكون أصابه عارض ، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجده ، فجاءت جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قریش فأتيا به جده ، فأخذه على عاتقه وذهب فطاف به يعودوه ويدعوه له ثم رده إلى أمه آمنة .

وذكر الأموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي ، وهو ضعيف ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رضاعه ، وذكر أنه أقام عندها ست سنين تُزَيِّره جدّه في كل عام ، فلما كان من شقِّ صدره عندهم ما كان ردّه إليهم ، فأقام عند أمه حتى كان عمره ثمان سنين ماتت ، فكفله جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فكفله عمه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آيات في تلك السفرة ، منها أن فحلاً من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في وادٍ تمرُّهم عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم برك حتى حك بكلِّ كَلِّه الأرض ، فركبه عليه الصلاة والسلام ، ومنها أنه خاض بهم سيلاً عَرِمًا فأينسه الله تعالى حتى جاوزوه ، ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أن بَرَكتَه عليه الصلاة والسلام حَلَّتْ على حليلة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت على هوازن بكالم فواضله حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فتوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتى مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحنيين ، فلما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفدُ هَوازَن بالجعرانة وقد أسدوا ، فقالوا يارسول الله إنا أهلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يُخَفَّ عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهيرُ بن صُرَد فقال : يارسول الله إن ما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، فلو أنا ما نحنا^(١) ابن أبي شمر ، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثلُ الذي أصابنا منك رجونا عائدتهمَا وعطفُهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد :

أُمننُ علينا رسولَ الله في كرم	فإنك المرء نرجوه ونَدَّخِرُ
امنن على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ	مُزَقٌّ شَمْلُها في دهرها غَيْرُ
أبقت لنا الدهرَ هَتَّافاً على حَزَن	على قلوبهمُ الغماء والغمرُ
إن لم تداركها نِعماءُ تنشرها	يأأرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نِسوةٍ قد كنت ترضعها	إذ فوك يملأوه من محضها درر
امنن على نِسوةٍ قد كنت ترضعها	وإذ يزيناك ماتاتني وما تذر
لا تجمانا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي ،

(١) يعنى أرضعنا . وابن أبي شمر هو الحارث الغساني .

عن زياد بن طارق الجشمي ، عن أبي صرد زهير بن جَرَّوَل ، وكان رئيس قومه ، قال لما أَسْرَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ حنين فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبتُ حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعراً ، أذكره حين شَبَّ ونشأ في هوازن حيث أَرْضَعُوهُ :

أمنن علينا رسول الله في دَعَا	فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
أمنن على بيضة قد عاقها قَدَرُ	مَزَّقْ شَمْلَهَا في دهرها غَيْرُ
أبقت لنا الحربُ هُتَافاً على حزن	على قلوبهم الغمَاء والغمرُ
إن لم تُداركها نعامُ تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يُختبرُ
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملؤه من مُحْضها الدُرُرُ
إذ أنت طفلٌ صغيرٌ كنت ترضعها	وإذ يزيناك ما تأتى وما تذرُ
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإننا معشر زُهرُ
إنا لنشكر للنعمى وإن كفرتُ	وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَرُ
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إنَّ العفو مُشْتَهَرُ
إنا نؤمل عفواً منك تُلبسه	هذى البرية إذ تعفو وتنتصرُ
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظفرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف مابين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسى كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمائة ألف ألف درهم .

فهذا كاه من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة !

فصل

قال ابن إسحاق بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رضاعة حليلة له .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجدّه عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ، ينبتة الله نباتاً حسناً ؛ لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ ستّ سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدى بن النجار بزّيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقدي بأسانيده أن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت به أمه إلى المدينة ومعها أم أيمن وله ست سنين ، فزارت أخواله .

قالت أم أيمن : فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي : أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه فنظرا إليه وقلّباه ، فقال أحدهما لصاحبه : هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم .

فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهي راجعة .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أيوب بن جابر ، عن سَمَاك ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن بُريدة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى إذا كنا بؤدّان قال « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثقیل ، فقال : « إني أتيت قبرأم محمد فسألت ربی الشفاعة - یعنی لها - فمنعنيها ، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها ، وكنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الأشربة في هذه الأوعية فأشربوا ما بدا لكم » .

وقد رواه البيهقي من طريق سفيان الثوري ، عن عاقمة بن يزيد ، عن سايان بن بريدة عن أبيه قال : انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى رَسَم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرك رأسه كالخطاب ، ثم بكى . فاستقبله عمر فقال ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربی في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى عليّ ، وأدركتني رِقَتها فبكيت » . قال : فما رويت ساعة أكثرَ باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دثار عن بُريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاکم ، عن الأصمّ ، عن بحر بن نصر ، عن عبد الله بن وهب ، حدثنا ابن جُرَيْج ، عن أيوب بن هاني ، عن مسروق بن الأجدع ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها - فناجاه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً ، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكنا وأفزعنا .

فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزعكم بكأى ؟ قلنا نعم ! قال : « إن القبر الذى رأيتموني أناجى قبر آمنه بنت وهب ، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنت ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ، ونزل علىّ (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرْبى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ^(١)) فأخذنى ما يأخذنى الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذى أبكاني » .

غريب ولم يخرجوه .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ثم قال : « استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى ، واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى ، فزوروا القبور تذكركم الموت » .

وروى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلا قال يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفا دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » .

وقد روى البيهقي من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبى كان يصل الرحم ، وكان وكان ، فأين هو ؟ قال : « فى النار » .

قال : فكأن الأعرابى وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله أين أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » .

قال : فأسلم الأعرابي بعد ذلك . فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ،
ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار !

غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب -
حدثنا ربيعة بن سيف المَعافري ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو ،
قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بصرُ يامراً لا يظن أنه عرفها ،
فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : « ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟ » فقالت : أتيت أهل هذا البيت
فترجعت إليهم ميتهم وعزيتهم . قال : « لعلك بلغت معهم السكدي » قالت : معاذ الله
أن أكون بلغتهم معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر .

قال : « لو بلغتهم معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جدُّ أبيك .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المَعافري
الصنمي الإسكندري ، وقد قال البخاري عنده منا كبير . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال
مرة : صدوق ، وفي نسخة ضعيف . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان يخطئ كثيراً .
وقال الدارقطني : صالح . وقال ابن يونس في تاريخ مصر : في حديثه منا كبير . توفي قريباً
من سنة عشرين ومائة .

والمراد بالسكدي : القبور . وقيل : النّوح .

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفُرقة الشيعة
فيه وفي ابنه أبي طالب . على ماسيأتي في وفاة أبي طالب .

وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه « دلائل النبوة » : وكيف

لا يكون أبواه وجدّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ولم يدينوا دينَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وكُفّرهم لا يُقَدِّح في نَسَبه عليه الصلاة والسلام ، لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يُسَلِّمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم ، إذا كان مثله يجوز في الإسلام . وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قلت : وإخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديثَ الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصُّمَّ يمتحنون في العرصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتمناً [في تفسيرنا] عند قوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) فيكون منهم من يجب ومنهم من لا يجب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجب فلا منافاة . والله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربّه أن يُحْيِي أبويه ، فأحييها وآمنّا به ، فإنه حديث منكر جدّاً . وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى . لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه . والله أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم — يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب — فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجاسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيهِ إجلالاً له .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفَر حتى يجاس عليه ،
فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابني فوالله
إن له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري . وحدثنا عبد الله بن جعفر ،
عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله . وحدثنا هاشم بن عاصم الأسلمي ، عن المنذر بن
جهم . وحدثنا مَعْمَر عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز
عن أبي الحويرث . وحدثنا ابن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن نافع ، عن ابن
جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون
مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورقاً عليه رقة
لم يرقها على ولده ، وكان يقرّبه منه ويُدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام . وكان
يجاس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دَعُوا ابني إنه يؤسس ملكاً .

وقال قوم من بني مُدْج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإننا لم نَرَ قدماً أشبهه بالقدم الذي
في المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب
يحتفظ به .

وقال عبد المطلب لأم أيمن - وكانت تحضنه - : يا بركة لا تغفلي عن ابني ، فإني
وجدته مع غلمان قريب من السّدرّة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي
هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : علىّ بابني . فيؤتى به إليه .
فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون .

وقال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين هلك جده

عبد المطلب بن هاشم .

ثم ذكر جمعه بناته وأمره بإياهن أن يرثينه . وهن : أروى ، وأميمة ، وبرّة ،

وصفية ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء .

وذكر أشعارهن وما قلن في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته ، وهذا أبلغ النوح .

وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه

العباس ، وهو من أحدث إخوته سناً .

فلم تنزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية

عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن

عمران بن مخزوم .

قال : فكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

إليه ومعه .

وقال الواقدي : أخبرنا معمر ، عن ابن نجیح ، عن مجاهد . وحدثنا معاذ بن

محمد الأنصارى ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر

وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا :
لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام إلا
إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصبَّ به أبو طالب صباية لم يُصبَّ مثلها بشئ قط .

وكان يخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ،
وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . فكان إذا أراد أن يهديهم
قال كما أتم حتى يأتي ولدى . فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا
يُفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لمبارك .
وكان الصبيان يصبحون رُمصاً شُعناً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
دهينا كحिला .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا علي بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، سمعت عطاء
ابن أبي رباح ، سمعت ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يصبحون رُمصاً عصفاً
ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيلاً دهيناً .

وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحتهم أول البُكرة ، فيجلسون ويتنهبون ،
ويكفُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فلا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه
عزل له طعامه على حدة .

وقال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه
أن رجلاً من لُهب كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر
إليهم ويعتاف لهم فيهم .

قال : فأتى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه . قال : فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء . فلما فرغ قال : الغلام على به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ردُّوا على الغلام الذى رأيته آنفاً فوالله ليكون له شأن .

قال : وانطلق به أبو طالب .

فصل

فى خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبى طالب إلى الشام
وقصته مع بحيرى الراهب

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجراً إلى الشام . فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون .

فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا أفارقه ولا يفارقنى أبداً .

أو كما قال .

فخرج به . فلما نزل الركب بُصِّرَى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له . وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب فيها إليه يصير علمهم عن كتاب ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببخيرى — وكانوا كثيراً مايمرون به فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الرَّكْب حتى أقبل وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بجري نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، كبيركم وصغيركم ، وعبدكم وحرکم .

فقال له رجل منهم : والله يابجيري إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟

قال له بجري : صدقتَ قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة

فلما رآهم بجري لم ير الصفة التي يعرف ويحده عنده فقال : يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي .

قالوا : يابجيري ما تخلف أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدثنا سناً فتخلف في رحالنا . قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطالب عن طعام من بيننا .

ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بجري جعل ياحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدها

عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له : يا غلام : أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط أبغضهما . فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه . فقال له : سلنى عما بدا لك .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره . فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التى عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى .

قال بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

قال : فإنه ابن أختى . قال فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبيغنه شرًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق : فزعموا فيما روى الناس أن زُريرا ، وتما ودريسا^(١) - وهم نفر

من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا [من^(٢)] رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما رأى بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه فردهم عنه بحيرى ، فذكروهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم [إن^(٣)] أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا

(١) محرفة بالأصل : تما ودريسا . وما أثبتته من ابن هشام . (٢) سقطت من الأصل .

إليه . حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه .

وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد .

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه . وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عباس بن محمد الدوري ، حدثنا قراد أبو نوح ، حدثنا يونس ، عن ابن^(١) إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش ، فلما أشرّفوا على الراهب - يعني بحيرى - هبطوا فخلّوا رحالهم ، ففرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم .

قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخلّاهم حتى جاء فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين .

وفي رواية البيهقي زيادة : هذا رسول رب العالمين ، بعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وماء لملك ؟ فقال إنكم حين أشرقت من العقبة لم يبقَ شجر ولا حجر إلا خرّ ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه .

ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهاهم به - وكان هو في رعيّة الإبل - فقال : أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة تظله . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه غمامة . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه . قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

(١) الأصل أبى وهو تحريف .

قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشد هم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل خَلَفَكُم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أف رأيتم أمراً أراد الله أن يَقْضِيَهُ هل يستطيع أحد من الناس رَدَهُ ؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده .

قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذى عن أبي العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قراد أبي نوح به . والحاكم والبيهقى وابن عساكر من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدورى به .

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزازى مولاهم ، ويقال له الضبى ويعرف بقراد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخارى ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرَّحه . ومع هذا فى حديثه هذا غرابة .

قال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال عباس الدورى : ليس فى الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح ، وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقى وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرائب أنه من مُرسلات الصحابة ، فإن أبا موسى الأشعري إنما قدّم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة . ولا يلتفت إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة .

وعلى كل تقدير فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا .

الثالث : أن قوله : « وبعث معه أبو بكر بلالا » إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عُمرُ أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهم إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم كبيراً ، إما بأن يكون سفره بعد هذا ، أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ ، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي . وحكى السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين . قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى . فقال لأبي طالب بالسر ما قال . وأمره أن يحتفظ به فردّه معه أبو طالب إلى مكة .

وَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَبِي طَالِبٍ يَكْلُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَعَائِبِهَا لِمَا يَرِيدُ مِنْ كَرَامَتِهِ .

حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمَهُ مَرْوَةَ ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا ، وَأَكْرَمَهُمْ مَخَاطَظَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَأَمَانَةً ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَذَى .

مَا رَوَى مُلَاحِيًا وَلَا مِمَارِيًّا أَحَدًا ، حَتَّى سَمَاهُ قَوْمُهُ الْأَمِينَ ، لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ .

فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَعُضِدُهُ حَتَّى مَاتَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي جَبْرِ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ أَوْ أَبَا طَالِبٍ - شَكَ خَالِدٌ - قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ عَظَفَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَكَانَ لَا يَسَافِرُ سَفَرًا إِلَّا كَانَ مَعَهُ فِيهِ .

وَإِنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّامِ فَنَزَلَ مَنْزِلًا فَاتَاهُ فِيهِ رَاهِبٌ ؛ فَقَالَ إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا صَالِحًا . ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ أَبُو هَذَا الْغَلَامِ ؟ قَالَ : فَقَالَ هَا أَنَا ذَا وَلِيهِ - أَوْ قِيلَ هَذَا وَلِيهِ - قَالَ : احْتَفِظْ بِهَذَا الْغَلَامِ وَلَا تَذْهَبْ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، إِنَّ الْيَهُودَ حُسَّدَ وَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْهِ . قَالَ : مَا أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقُولُهُ .

فَرَدَّهُ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ مُحَمَّدًا . ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ .

قِصَّةُ بَحِيرَى

حَكَى السُّهَيْلِيُّ عَنْ سَيِّدِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ بَحِيرَى كَانَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ . قُلْتُ : وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ سِيَاقِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ كَانَ رَاهِبًا نَصْرَانِيًّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وعن المسعودى أنه كان من عبد القيس ، وكان اسمه جرجيس .

وفى كتاب « المعارف » لابن قتيبة : سَمِعَ هَاتِفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَقِيلٍ يَهْتَفُ وَيَقُولُ : أَلَا إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ ، بِحَيْرَى ، وَرِثَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّئْبَى ، وَالثَّالِثُ الْمُنْتَظَرُ . وَكَانَ الثَّالِثُ الْمُنْتَظَرُ هُوَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن قتيبة: وكان قبر رثاب الشئبى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش ، وهو المطر الخفيف .

فصل

فِي مَنْشَأِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَرْبَاهُ وَكِفَايَةُ اللَّهِ لَهُ ، وَحَيَاتِهِ
وَكَيْفَ كَانَ يَتِيمًا فَأَوَاهُ وَعَائِلًا فَأَغْنَاهُ

قال محمد بن إسحاق : فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْلُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ ، وَيَحْوِطُهُ مِنْ أَقْذَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لِمَا يَرِيدُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ ، حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمِهِ مَرْوَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفَحْشِ وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تَدْنِسُ الرِّجَالَ ، تَنْزُّهَا وَتَكْرِمًا .

حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لي ، يحدّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي غُلْمَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَنْقُلُ الْحِجَارَةَ لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ الْغُلْمَانُ ، كُلُّنَا قَدْ تَعَرَّيْنَا وَأَخَذَ إِزَارَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ ، فَإِنِّي لِأَقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأَذْبُرُ إِذْ لَكُنِي لَا كُمْ مَا أَرَاهُ لَكُمَّا وَجِيعَةً ، ثُمَّ قَالَ : شَدَّ عَلَيْكَ

إزارك . قال فأخذه فشده علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى .

وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيح عند بناء الكعبة ، حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تَكُنْها فهي متقدمة عليها كالتلوطة لها . والله أعلم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : لما بُنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة . ففعل نحرّاً إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : « إزارى » فشده عليه إزاره . أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق . وأخرجاه أيضاً من حديث روح ابن عبادة ، عن زكرياء بن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ، قالوا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغانى ، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، قال : وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشيد^(١) .

قال : فكنت أنا وابن أخى ، وكنا نحمل على رقابنا وأزرنّا تحت الحجارة ، فإذا غشينّا الناس اتّزرنّا . فينما أنا أمشى ومحمد أُمَامَى قال نحرّاً وانبطح على وجهه ، فجئت أسعى وألقيت حَجَرى وهو ينظر إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إني نهيت أن أمشى عرياناً » . قال : وكنت أكتمها من الناس مخافة أن يقولوا مجنون . وروى البيهقي من حديث يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد

(١) الشيد : ما طلى به حائط من جص ونحوه .

ابن عبد الله بن قيس بن نَحْرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما هَمَّتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به من النساء ، إلا ليلتين كتأهما عصمى الله عز وجل فيهما .

قلت ليلةً لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غم أهلها - فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أَسْمَر فيها كما يَسْمَر الفتيان . فقال بلى . قال : فدخلت حتى جثت أول دار من دور مكة سمعت عَزَافًا بالغرايل والزامير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة . جلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئًا . ثم أخبرته بالذي رأيت .

ثم قلت له ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى أَسْمَر . ففعل ، فدخلت فلما جثت مكة سمعت مثل الذي سمعتُ تلك الليلة ، فسألتُ فقيل نكح فلان فلانة ، جلست أنظرُ وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مَسُّ الشمس .

فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء . ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هَمَّتُ ولا عُدْتُ بعدَها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته .

وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مُقْحَمًا والله أعلم .

وشيخُ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حَبَّان في الثَّقَاتِ . وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح . قال شيخنا في تهذيبه : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : حدثني أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن

أَبِي سَلَمَةَ ، وَيُحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، قَالَ : كَانَ صَنَمٌ مِنْ نُحَاسٍ يُقَالُ لَهُ إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ يَتَمَسَّحُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ إِذَا طَافُوا ، فَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطُفْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ مَسَحْتُ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَمَسَّهُ » . قَالَ زَيْدٌ : فَطُفْنَا فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَأَمْسَنَّهُ حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَكُونُ ، فَمَسَحْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَمْ تَنْهَ » قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : زَادَ غَيْرُهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بِإِسْنَادِهِ قَالَ زَيْدٌ : فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، مَا اسْتَلِمَ صَنَمًا قَطُّ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّذِي أَكْرَمَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ .

وَتَقْدِمُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِبَحِيرَى حِينَ سَأَلَهُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى « لَا تَسْأَلْنِي بِهِمَا فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بَغْضَهُمَا » .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ ، أَنَبَانَا أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ عَدَى الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سَبَاطٍ ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْهَدُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ قَالَ : فَسَمِعَ مَلَكَينَ خَلْفَهُ وَاحِدَهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : اذْهَبْ بِنَا حَتَّى نَقُومَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : كَيْفَ نَقُومُ خَلْفَهُ وَإِنَّمَا عَهْدُهُ بِاسْتِلَامِ الْأَصْنَامِ ؟ ! .

قَالَ : فَلَمْ يَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَشْهَدَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَشَاهِدَهُمْ .

فَهُوَ حَدِيثٌ أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِيهِ : لَمْ يَكُنْ أَخُوهُ يَتَلَفَّظُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا .

وَقَدْ حَكَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ مَنْ يَسْتَلِمُ الْأَصْنَامَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَبْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ تَقْدِمُ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَنَّهُ اعْتَزَلَ شُهُودَ مَشَاهِدِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمرزلفة ليلة عرفة بل كان لا يقف مع الناس بعرفات . كما قال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير . قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي : معنى قوله : « على دين قومه » ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ولم يُشرك بالله قطّ صلوات الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظه « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه وإنه لواقف على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أضلتُ بعيراً لي بعُرنة^(١) فذهبت أطلبه ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف فقلت إن هذا من الحُمس^(٢) ماشأنه هاهنا ؟ وأخرجاه من حديث سفيان بن عُيينة به .

(١) عرنة : واد بجذاء عرفات .

(٢) الحُمس : جمع أحس . وكان يسمى به قريش ، لما ابتدعوا في شعائر الحج

ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفجار ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة .

وإنما سُمِّيَ يومَ الفجار ، بما استَحَلَّ فيه هذان الحيَّان - كنانة وقيسُ عيلان - من المحارم بينهم .

وكان قائد قریش وكنانة حربُ بن أمية بن عبد شمس . وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس . وقال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عُبَيْدة النحوى ، عن أبي عمرو بن العلاء ، هاجت حربُ الفجار بين قریش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان .

وكان الذى هاجها أن عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صَمُصعة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن أَجَازَ لطيمة - أى تجارة - للنعمان بن المنذر . فقال البرّاض بن قيس ، أحد بني ضُمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، : أّيجيزها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق .

نفرج فيها عروة الرَّحَّالِ وخرج البرّاض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بَتَيْمَن ذى طلالُ بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّيَ الفجار ، وقال البراض في ذلك :

وداهيةٍ تهمُّ الناسَ قبلى	شدتُ لها بنى بكرٍ ضلوعى
هدمتُ بها بيوتَ بنى كلابٍ	وأرضتُ الموالى بالضرُوع
رفعتُ له بذى طلالٍ كفى	فخرَّ يَمِيدُ كالجدعِ الصَّرِيعِ

وقال كبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب :

وأبلغ - إن عرضت - بنى كلابٍ وعامرَ والخطوبُ لها موالٍ
وأبلغ - إن عرضت - بنى مُنمِرٍ وأخوالِ القتيلِ بنى هلالٍ
بأنَّ الوافدَ الرَّحَّالَ أُمسى مقيماً عندَ تيمَنَ ذى طلالٍ

قال ابن هشام : فأتى آت قريشاً فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهو في الشهر الحرام بعاظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم . ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم . فاقتتلوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم .

ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

قال : وشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم . أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت أنبئ على أعمامى » أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها .

قال ابن هشام : وحديث الفجار طويل هو أطول مما ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه قُطْعُهُ حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال السهيلي : والفجار بكسر الفاء على وزن قِتَال . وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكرهن المسعودى .

وآخرهن ، فجار البراض هذا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شمطة ، ويوم العباء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوما - وهو الذى حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قيّد رئيس قريش وبنى كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان أنفسهما لثلاثا يفروا . وانهزمت يومئذ قيس إلا بنى نضر فإنهم ثبتوا . ويوم

الحريرة عند نخلة . ثم تواعدوا من العام للقبل إلى عكاظ . فلما توافوا الموعد ركب عتبة ابن ربيعة جملة ونادى : يامعشر مُضَرَّ علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ماتدعو إليه ؟ قال : الصالح . قالوا وكيف ؟ قال نَدَى قتلاكم ونزهنكم رهائن عايها ، ونعفو عن دياتنا . قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة .

فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفّوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار .

وقد ذكر الأموى حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولا فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن على ، عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَر بن المُنْثَنَّى فذكر ذلك .

فصل

﴿ فى شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول ﴾

قال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو سعد المالىنى ، أنبأنا أبو أحمد بن عَدِى الحافظ ، حدثنا يحيى بن على بن هاشم الخفاف ، حدثنا اسماعيل بن على ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهْرَى ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه . قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « شهدتُ مع عمومى حلف المطيّين فما أحب أن أنكته - أو كلمة نحوها - وإن لى حمر النعم » .

قال : وكذلك رواه بشر بن المفضل عن عبد الرحمن .

قال : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو بن مطر ، حدثنا أبو بكر بن

أحمد بن داود السمناني، حدثنا معلى بن مهدي، حدثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: «ما شهدت حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين، وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت تقضته».

قال: والمطيبون هاشم، وأمّية، وزهرة، ونخزوم.

قال البيهقي: كذا روى هذا التفسير مُدرجاً في الحديث ولا أدري قائله.

وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين.

قلت: هذا لا شك فيه، وذلك أن قريشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، والحجابة، ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم.

فأحضر أصحابُ بني عبد مناف حَفْنَةً فيها طيب، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا.. فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت. فسموا المُطِيبِينَ كما تقدم وكان هذا قديماً.

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جُدعان كما رواه الحميدي، عن سُفيان بن عُيينة، عن عبد الله، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعزَّ^(١) ظالم مظلوماً».

قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة.

(١) الأصل: بعد وما أثبتته من الروض الأتق. ومعنى يعز: يغلب.

وكان حلف الفضول أكرمَ حلف سُمِعَ به وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوماً ومُجمهاً وسهماً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه - أي اتهموه - فلما رأى الزبيدي الشرَّ أَوْفَى على أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس ، وقرِيشٌ في أنديتهم حول الكعبة ، فنادى بأعلى صوته :

يَا آلَ فِهْرٍ لَمُظْلُومٍ بَضَاعَتَهُ يَبِطْنَ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرَمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمرَتَهُ يَا لِرِجَالٍ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لُثُوبِ الْفَاجِرِ الْغَدْرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك .

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدَّى إليه حقه ما بلَّ بجرِّ صوفة ، وما رسي ثبيرٌ وجرَّاء مكانهما ، وعلى التآسي في المعاش .

فسمت قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول ، وقالو : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر . ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه ساعة الزبيدي فدفعوها إليه .

وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك :

حَلَفْتُ لَنَنْقِدَنَّ حَلْفًا عَلَيْهِم وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نَسِيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعِزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَذَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِيَ الْبَيْتِ أَنَا أَبَا الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال الزبير أيضاً :

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم بطن مكة ظالمُ
أمره عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار والمعتز فيهم سالمُ
وذكر قاسم بن ثابت - في غريب الحديث - : أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً
أو معتمراً ، ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضاً نساء العالمين ، فاعتصبها منه نبيه بن
الحجاج وغيبها عنه . فقال الخثعمي : من يُعَدِّني على هذا الرجل ؟ فقيل له عليك
بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول . فإذا هم يَفْنِقُونَ إليه من كل
جانب ، وقد انتصوا أسياهم يقولون : جاءك الغوث فما لك ؟ فقال : إن نبيها ظلمني في بنتي
وانزعها مني قسراً .

فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم فقالوا له : أخرج الجارية ، ويحك
فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه ، فقال : أفعل ، ولكن متعوني بها الليلة . فقالوا
لا والله ولا شخب لقحة^(١) ، فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صهي ولم أحَيِّ القَتُولَا لم أودعهم وداعاً جميلاً
إذا جَدَّ الفُضُول أن يمنعوها قد أراني ولا أخاف الفُضُولَا
لا تَحَالَى أنى عَشِيَّة راح الرك ب هِنَم على أن لا يزولا^(٢)

وذكراً أبياتاً آخر غير هذه .

وقد قيل إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جُرم على مثل هذا
مِنْ نَصْر المظلوم على ظالمه . وكان الداعي إليه ثلاثة من أشrafهم ، اسم كل واحد منهم :

(١) الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن - واللحقة الناقة الحلوب .

(٢) الروس لأف : ألا أقولا .

فضل ، وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث . هذا قول ابن قتيبة .
وقال غيره : الفضل بن شراة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة . وقد أورد السهيلي
هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : وتداعت قبائلُ من قر يش إلى حلف فاجتمعوا له
في دار عبد الله بن جُدعان لشرفه وسنه .

وكان حلفُهم عنده بنو هاشم و بنو عبد المطلب و بنو أسد بن عبد العزى وزُهرة
بن كلاب و تميم بن مُرة .

فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دَخَلها من
سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على مَنْ ظلمه حتى يرد عليه مظلمته .

فسمت قر يش ذلك الحلف حلفَ الفضول .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر [بن] ^(١) قُنْفَذ التَّيْمِي ^(٢) ،
أنه سمع طاححة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حُجر النِّعم ولو دُعِيَ به
في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي ^(٣) الليثي ^(٤) ،
أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب
وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن
أبي سفيان . - منازعةٌ في مال كان بينهما بذى المَرَوَة ^(٥) ، فكان الوليد تحامل على

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي الجدعي المدني .

(٣) ط : الهادي . (٤) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي المدني أبو عبد الله ، توفي

بالمدينة سنة ١٣٩ . وكان ثقة كثير الحديث . (٥) ذو المروة : قرية بوادي القرى .

الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني من حق أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لأدعون بحلف الفضول .
قال : فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى يُنصف من حقه أو نموت جميعاً .

قال وبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك .
وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك .
فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى .

فصل في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال على مالها مضاربة .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ماتعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له ميسرة .

فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذاك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال له الراهب : منازل تحت هذه الشجرة إلا نبي ^(١) .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعته - يعنى تجارته - التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة .

فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظللانه من الشمس وهو يسير على بعيره .

فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامتها .

فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون ، يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووُسْطُكَ ^(٢) فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرضت نفسها عليه .

وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام : فأصدقها عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم وكان به يكنى ، والطيب والطاهر ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء .

(٢) وسطك : توسطك فى قومك وكونك من أعرقهم . وتروى : وصيتك .

قال ابن هشام : أ كبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . وأ كبر بناته رقية ، ثم زينب ؛ ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال التيهني عن الحاكم قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة : حدثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيري ، قال : أ كبرُ ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية .

وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله .
وبلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال خمسين . وهو أصح .
وقال غيره : بلغ القاسمُ أن يَرَكِب الدابةَ والنَّحِيَّةَ ثم مات بعد النبوة .
وقيل : مات وهو رضيع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه » .

والمعروف أن هذا في حق إبراهيم .

وقال يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن عثمان ، عن القاسم ، عن ابن عباس قال : ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع نسوة : القاسم ، وعبد الله ، وفاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ورقية .

وقال الزبير بن بَكَّار : عبدُ الله هو الطيب وهو الطاهر ، سُمِّي بذلك لأنه ولد بعد النبوة . [وأما الباقر] فتأوا قبل البعثة .

وأما بناته فأدركن البعثة ودخان في الإسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فمن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس صاحب اسكندرية من كورة أنضاء^(١) .

(١) مدينة بالصعيد شرق النيل .

وسنتكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة
إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قال ابن هشام : وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة خمساً
وعشرين سنة ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم ، منهم أبو عمرو المذني .

وقال يعقوب بن سفيان : كتبت عن إبراهيم بن المنذر : حدثني عمر بن أبي بكر
المؤملي ، حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد زوج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمره خمس وعشرون سنة وقريش تبني الكعبة .

وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها إذ ذاك خمساً وثلاثين . وقيل
خمساً وعشرين سنة .

وقال البيهقي : « باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن
يتزوج خديجة » .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن
سفيان ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا عمرو بن أبي يحيى بن سعيد القرشي ، عن
جده سعيد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله
نبياً إلا راعى غم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا راعيتها لأهل
مكة بالقراريط » .

رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر ، وهو ضعيف ، عن أبي الزبير عن

جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آجرت نفسي من خديجة سَفْرَتَيْن بَقْلَوَص » .

وروى البيهقي من طريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس : أن أبا خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو - أظنه - قال - سكران .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القَطَّان ، أنبأنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سُفيان ، قال حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي حدثني عبد الله بن أبي عبيد بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن أبيه ، عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وما يكثر فيه يقول :

أنا أعلمُ الناس بتزويجه إياها ، إني كنت له تَرِباً وكنت له إلفاً وخِذْناً ، وإني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى إذا كنا بالحزورة أَجَزْنَا على أخت خديجة وهي جالسة على أَدَمَ تبيعها ، فنادتني فأنصرفت إليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ .

قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته فقال : « بلى لَعَمْرِي » ..

فذكرت لها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : اغدُوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وأبسوا أبا خديجة حُلَّةً ، وصفرت لحيته ، وكلت أخاها فكلم أباه وقد سقى خراً ، فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه ، وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ونام أبوها ثم

استيقظ صاحبا . فقال : ما هذه الحلة وما هذه الصُّفرة وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كملت عمّارا : هذه حُلّة كساها محمد بن عبد الله خَتَنكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوّجته خديجة .

فأنكر أن يكون زوّجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجْر ، وخرج بنو هاشم برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءوه فكلّموه . فقال : أين صاحبكم الذى تزعمون أنى زوجه خديجة ؟ فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر إليه قال : إن كنت زوّجته فسيل ذاك ، وإن لم أكن فعلتُ فقد زوّجته .

وقد ذكر الزُّهرى فى سيره أن أباهما زوجها منه وهو سكران . وذكر نحو ما تقدم . حكاه السهيلي .

قال المؤملى : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذى زوّجها منه .

وهذا هو الذى رجحه السهيلي . وحكاه عن ابن عباس وعائشة . قالت : وكان خويلد مات قبل الفِجَار ، وهو الذى نازع تُبَعًّا حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن ، فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ، ثم رأى تبّع فى منامه ماروعه ، فنزع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق فى آخر السيرة أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه أعلم .

فصل

قال ابن إسحاق : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكان ابن عمها - وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم

الناس ، ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرى منه إذ كان
الملكان يُظْلانهُ .

فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن
لهذه الأمة نبي يُنتظر هذا زمانه . أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال في ذلك :

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لُجُوجًا	لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطْنِ الْمَكْتَنِ ^(١) عَلَى رَجَائِي	حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَيْسٍ	مِنْ الرُّهْبَانِ أَكْرَهَ أَنْ يَعُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ يَوْمًا ^(٢)	وَيَنْخَصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ	يُقِيمُ ^(٣) بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَأْتِي مَنْ يَحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا ^(٤)
فِيَالَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ وَكُنْتُ ^(٥) أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهِمْ عَاجِيجَا
أَرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ ، مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى تَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلَكَ فَكُلْ فَتَى سَيْلَقٍ	مِنْ الْأَقْدَارِ مَتَلَفَةً حَرُوجَا ^(٦)

(١) المكنين : جانباً مكة ، أو بطاحها وظواهرها (٢) ط : قوماً وهو خطأ . وفي ابن هشام :
سيسود فينا . (٣) خ ط : يقوم وهو خطأ ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٤) الفلوج : النجاج والظفر . (٥) ابن هشام : فكننت .
(٦) ط : خروجاً . وهو خطأ .

وقال ورقة أيضا فيما رواه يونس بن بكير^(١) عن ابن إسحاق عنه .

أَتَبَكَّرَ أُمَّ أَنْتَ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ
لَفُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فَرَاغَهُمْ
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خُبِّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ
أَتَاكَ^(٢) الَّذِي وَجَّهَتْ يَأْخِزُ حَرَةً
إِلَى سُوقِ بُصْرَى فِي الرَّكَابِ الَّتِي غَدَتْ
فِيخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ
وُظِنَ بِهِ أَنَّ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَنْبَغِيهِ حَيًّا لَوْيٍ وَغَالِبٍ
فَإِنَّ أَتَى حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ
وَلَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي
وَزَادَ الْأُمَوِيُّ :

فَتَتَّبِعُ دِينَ الَّذِي أَسَّسَ الْبِنَاءَ
وَأَسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا
حَرَا جِيجَ^(٣) أَمْثَالُ الْقِدَاحِ مِنَ الشَّرَى
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ
تَلَاؤُا فِيهِ بِالْظَّلَامِ الْمَصَانِجُ
تَخَبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الْطَّلَاحُ^(٤)
يُعَاقُ فِي أَرْسَافِهِنِ السَّرَاحُ

(١) ليست في ابن هشام ، لأن ابن هشام أثبت رواية زياد البكائي (٢) الاكتفا : فذاك .
(٣) المعاصح : جمع صحصح وهي الأرض المستوية (٤) أى بطيئات مثقلات الخطو .
(٥) اليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة الجيبة . والطلاح : المعبات . (٦) الحراجيج : الطوال

ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في روضه :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم أنا النذيرُ فلا يَغْرَكمُ أحدُ
لا تعبدنَّ إلهاً غيرَ خالقِكُم فإن دَعَوْكم ققولوا يَنبئنا حَدَدُ^(١)
سُبْحان ذى العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا سَبَّحَ الجودى والحمدُ
مسخرٌ كلُّ ماتحتَ السماء له لا ينبغى أن يُناوى مُلكه أحدُ
لا شيء مما ترى تَبقى بِشأسته يَبقى الإله ويودى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمٍ يوماً خزائنه وأخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانُ إذ تجرى الرياحُ به والجن والإنس فيما يَينها مرَدُ
أين الملوك التى كانت لعزتها من كل أوبٍ إليها وافدٌ يَفدُ
حوضٌ هُناك مورودٌ بلا كذبٍ لا بُدَّ مِن وِرْدِه يوماً كما ورَدُوا
ثم قال : هكذا نسبهُ أبو الفرج إلى ورقة . قال : وفيه أبيات تنسب إلى أمية
ابن أبى الصلت .

قلت : وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يستشهد
في بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات . والله أعلم .

فصل

في تجديد قریشِ بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذكر البيهقي بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة .
والمشهور أن بناء قریشِ الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين .

ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في صحيح البخاري ، وذكر ماورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم .

ولا يصح ذلك ، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناء مبتدئاً ، وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات . قال الله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (١) .

وثبت في الصحيحين عن أبي ذرٍّ قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت ثم أى ؟ قال « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة « وقد تكامنا على هذا » (٢) وأن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام .

وفي الصحيحين « إن هذا البلد حرّمه الله يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله الصّفّار ، حدثنا أحمد ابن مهران ، حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مُجَاهِدٍ ، عن عبد الله ابن عمرو . قال : كان البيت قبل الأرض بألفي سنة ، « وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ » . قال : مِنْ تَحْتِهِ مُدَّتْ .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريب جداً ، وكأنه من الزَّامَلَتَيْنِ اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك ، وكان فيهما إسرائيليات يحدث منها ، وفيهما منكرات وغرائب ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الله البغدادي ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبو صالح الجهنى ، حدثني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيآ إلى بيتنا ، فخطَّ لهما جبريل ، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودى من تحته حسبك يا آدم . فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت ، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه » .

قال البيهقي : تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووقفه على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت . والله أعلم . وقال الربيع : أنبأنا الشافعي ، أنبأنا سفيان ، عن ابن أبي ليبيد ، عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حجَّ آدم فلقيته الملائكة فقالوا : برَّ نسكك يا آدم ، لقد حجَّجنا قبلك بالفي عام .

وقال يونس بن بكير : عن ابن اسحاق حدثني بَقِيَّة - أو قال ثقة من أهل المدينة - عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلت : وقد ذكرنا حجَّهما إليه^(١) . والمقصود الحج إلى محله وبقعته ، وإن لم يكن ثمَّ بناء . والله أعلم .

(١) وذلك في الجزء الأول من البداية والنهاية للمؤلف .

ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المذكور في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتماه وهو في صحيح البخارى .

ثم روى البيهقي من حديث سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة . قال : سأل رجل علياً عن قوله تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) أهو أول بيت بُنى فى الأرض ؟

قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ، ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً . وإن شئت نباتك كيف بناؤه !

إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتا فى الأرض . فضايق به ذرعا فأرسل إليه السكينة وهى ريح خجوج ^(١) لها رأس ، فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت فى موضع البيت تطوَّق الحية ، فبنى إبراهيم حتى بلغ مكان الحجر ، قال لابنه : ابنى حجرا . فالتمس حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد ركب . فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأثمه .

قال : فمرَّ عليه الدهر فأنهدم ، فبنته العالقة ، ثم أنهدم فبنته جرم .

ثم أنهدم فبنته قریش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه فى مِرْط ^(٢) ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك ابن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن على بن أبى طالب قال : لما أنهدم البيت بعد جُرم بنته قریش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا مَنْ يضعه .

(١) الحجوج : الريح الشديدة المرأو المتتوية فى هبوبها . (٢) الرط : كساء من صوف ثمخر .

فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بنى شَيْبَةَ فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كلَّ فَنَدٍ أن يأخذوا بطائفة من الثوب . فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

قال يعقوب بن سفيان : أخبرني أَصْبَغ بن فرج ، أخبرني ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُلُمَ جَحَرَت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت ، فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قریش في الركن : أي القبائل تلي رَفْعَهُ .

فقالوا : تعالوا نحكم أولَ من يطاع عابنا ، فطاع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نَمْرَةٍ ، فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ، ثم أخرج سيدَ كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه . فكان لا يزداد على السنِّ إلا رِضًى حتى دَعَوْهُ الأُمَين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرون جزوراً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها . وهذا سياق حسن ، وهو من سِيَر الزهري .

وفيه من الغرابة قوله : « فلما بلغ الحُلُم » والمشهور أن هذا كان ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمره خمس وثلاثون سنة ، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عَقْبَةَ : كان بناء الكعبة قبل المَبْعَث بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عَقْبَةَ : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفجار وحاف الفضول في سنة واحدة ، إذ كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة وهذا يؤيد ما قال محمد بن إسحاق والله أعلم .

قال موسى بن عُقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذي صفوه فخرَّ به ، خافوا أن يدخلها الماء .

وكان رجل يقال له مُلَيْح سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا .

فأعدوا لذلك نفقةً وعمَّالاً ، ثم غدَّوا إليها ليهدموها على شفقٍ وحذر أن يمنعم [الله] ^(١) الذي أرادوا .

فكان أول رجل طاعها وهدم منها شيئاً الوليدُ بن المغيرة ، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك .

فلما أرادوا أن يأخذوا في بنائها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضعَ قَدَم .

فزعموا أنهم رأوا حيةً قد أحاطت بالبيت ، رأسها عند ذَنبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدةً ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة .

وكانت الكعبة حِرْزهم ومَنَعَتهم من الناس وشرِّقائهم ، فلما سَقَطَ في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فذكر ما كان من نُصْحِهِ لهم وأمره إياهم أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها ، وأن يقتسموها أرباعاً ، وأن لا يدخلوا في بنائها مالاً حراماً .

وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبَت الحية في السماء وتغيَّبت عنهم ورأوا أن ذلك من الله عز وجل .

قال : و يقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجْيَاد .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، وكانوا يهثون بذلك ليسقفوها ويهايون هدمها ، وإنما كانت رضا^(١) فوق القامة ، فأراحوا رَفْعها وتسقيفها .

وذلك أن نفرأ سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان [يكون] ^(٢) في بئر في جوف الكعبة .

وكان الذي وجد عنده الكنز دُؤيك مولى لبني مُليح بن عمرو بن ^(٣) خزاعة . فقطعت قريش يده .

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دؤيك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت . فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها .

قال الأموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سَرَّحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس للحبشة ، فلما بلغت مَرَساها من جُدَّة بعث الله عليها ريحا غطمتها .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبطي نجار ، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها .

وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم ، فتشرَّق^(٤) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهايون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد

(١) أى حجارة نضد بعضها على بعض من غير ملاط . (٢) من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : من خزاعة . (٤) تشرَّق : تبرز للشمس . ووط : تنصرف ، وهو خطأ .

إلا احزألت وكشَّت^(١) وفتحت فاهها ، فكانوا يهابونها ، فينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاخطفها فذهب بها .

فقال قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفیقٌ وعندنا خشبٌ ، وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي عن رزين ، أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرهم ليسرق كنزها ، فانهار البئر عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كراس الجدى ، وبطنها أبيض وظهرها أسود ، فأقامت فيها خمسمائة عام . وهى التى ذكرها محمد بن اسحاق .

قال محمد بن اسحاق : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها^(٢) وبنائها قام أبو وهب [بن^(٣)] عمرو بن عائذ^(٤) بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام : عائذ^(٤) بن عمران بن مخزوم - فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل^(٥) فيها مهرٌ بنى ولا بيع رباً ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر^(٦) بن مخزوم . ثم رجع ابن اسحاق أن قائل ذلك أبو وهب ابن عمرو . قال : وكان خال أبى النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً ممدحاً .

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة . فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا

(١) احزألت : رفعت رأسها . وكشَّت : صوت من جلد لها لا من فيها .

(٢) ابن هشام : فى هدمها . (٣) سقطت من ط .

(٤) ط : عابد ، وهو خطأ . (٥) ابن هشام : لا تدخلوا . (٦) ط : عمرو ، وهو خطأ .

إليهم . وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وسَم . وكان شقُّ الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن عبد العزى ولبنى عدى بن كعب رَهَوُ^(١) الحَظِيم .

ثم إن الناس هابوا هَدَمَهَا وَفَرَقُوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدوكم في هَدَمَهَا . فأخذ المَعُول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ^(٢) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير .

ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا^(٣) [من هدمها^(٤)] .

فأصبح الوليد غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أفضوا إلى حجارة خُصِرَ كالأسنة آخذٍ بعضها بعضاً .

ووقع في صحيح البخارى عن يزيد بن رومان « كأسنة الإبل » قال السهيلي : وأرى رواية السيرة « كالأسنة^(٥) » وهما والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقاع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتفضت^(٦) مكة بأسرها ، فاتهبوا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عُقبة : وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدري أنه من

(١) الرهو : ما اطمان من الأرض وارتفع ما حوله . وفي المطبوعة : وهو ، وهذا تحريف .

(٢) أى لم تفرع الكعبة . ويروى : اللهم لم نرغ . (٣) ليست في ابن هشام .

(٤) ط : كالأسنة وهو تحريف . (٥) ابن هشام : نقضت .

الأساس الأول ، فأبصر القوم بَرَقَة تحت الحجر كادت تلمع بصرَ الرجل ونزا الحجر من يده فوقه في موضعه ، وفرغ الرجل والبُناة . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بيتانهم ، وقالوا لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً بجذائه .

قال ابن اسحاق : وحدث أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يعرفوا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو أنا الله ذُو بَكَّةَ ، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحققها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام : يعني جبلاها - مبارك لأهلها في الماء واللبن .

قال ابن اسحاق : وحدث أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : مكة [بيت ^(١)] الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يُحَلُّها أول من أهلها .

قال : وزعم ليثُ بن أبي سليم أنهم وجدوا [حجرًا ^(٢)] في الكعبة قبل مَبْعَث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، إن كان ما ذكر حقاً ، مكتوباً فيه : مَنْ يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات وتُجْزَوْنَ الحسنات ؟ ! أجل كما [لا ^(٣)] يَحْتَنِي مِنَ الشُّوكِ الْعَنْب .

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدثنا المعتمر بن سليمان الرقي ، عن عبد الله بن بشر الزهرى - يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « وجد في المقام ثلاثة أصفح ، في الصفح الأول : إني أنا الله ذُو بَكَّةَ ، صنعتُها يوم صنعت الشمس والقمر ، وحققها بسبعة أملاك حُنَفَاء ، وباركت لأهلها في اللحم واللبن .

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) سقطت من المطبوعة .

(٣) من ابن هشام .

وفي الصفح الثاني : إني أنا الله ذو بَكَّة ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته .

وفي الصفح الثالث : إني أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر وقدرته ، فطوبى لمن أجريت الخير على يديه ، وويل لمن أجريت الشر على يديه .

قال ابن اسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة .

ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى . حتى تحاوروا^(١) وتحالفوا ، وأعدوا للقتال فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاهدواهم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة . فسُموا لعقة الدم .

فكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر^(٢) بن مخزوم - وكان عامئذ أسن قريش كلها ، قال : يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

فكان أول داخل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلموا إلي ثوباً » . فأتى به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة

(١) وتروى : تحاوروا بالزاي . أي اعازت كل قبيلة للجهة . وفي ط : تحاوروا أو تحالفوا وهو خطأ

(٢) ط : عمرو ، وهو خطأ .

بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمين .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت - يعني أبا يزيد - حدثنا هلال يعني ابن حبان ، عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لى حجر أنا نحتته أعبدته من دون الله ، قال : وكنت أجيء بالابن الخائر الذى آفقه على نفسه فأصبه عليه فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشغف فيبول عليه ؛ قال : فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد . فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حكماً . فقالوا : أول رجل يطلع من الفج . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له ، فوضعه في ثوب . ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قال ابن إسحاق : وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعاً وكانت تُكسى القباطى ^(٢) . ثم كسيت بعد البرود ^(٣) . وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف .

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم النفقة ، أى لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم . وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق . وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا .

(١) القباطى : نوع من الثياب كان ينسج بمصر .

(٢) المطبوعة : البرود وهو خطأ .

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة . ولولا حُدُثان قومك بكفرٍ لَتَقَضْتُ الكعبةَ وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وأدخلت فيها الحِجْرَ » .

ولهذا لما تمكن ابنُ الزبير بنائها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .

فلما قتل الحجاجُ ابنَ الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان ، وهو الخليفة يومئذ ، فيما صنعه ابن الزبير ، اعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه .

فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامى فحسّوه وأخرجوا منه الحِجْرَ ورسّوا حجارته في أرض الكعبة ، فارتفع باباها وسدّوا الغربى ، واستمر الشرقى على ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكاً في إعادةها على ما كان صنعه ابن الزبير . فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك مَلْعَبَةً

فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك

وأما المسجد الحرام : فأول من آخر البيوت من حول الكعبة عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه ، فلما ولى ابن الزبير أحكم بنيانه ، وحسّن جدرانها وأكثر أبوابه . ولم يوسّع شيئاً آخر .

فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدرانها ، وأمر بالكعبة فكسيت الديباج . وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند

قوله ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ وذكرنا ذلك مطولا مستقصى ، فمن شاء كتبه هاهنا . والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب ^(١) ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لما تصوّبت العقابُ	إلى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت تكون لها كَشِيشٌ	وأحيانا يكون لها وثابُ
إذا قُمْنَا إلى التأسيسِ شَدَّتْ	تهيبنا البناء وقد نهابُ
فلمَّا أنْ خَشِينَا الزجرَ جاءتْ	عُقَابٌ تتأبُّ ^(٢) لها انصبابُ
فضمَّتْهَا إِلَيْهَا ثم خَلَّتْ	لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناءِ	لنا منه القواعد والترابُ
غداة يُرْفَعُ التأسيسُ منه	وليس على مساويننا ثيابُ
أعزَّزَ به المليكُ بنى لؤيٍّ	فايس لأصله منهم ذهابُ
وقد حشدت هناك بنو عديٍّ	ومرّةً قد تقدمها كلابُ
فبواُنَا المليكُ بذاك عِزًّا	وعندَ اللَّهِ يُلتمس الثوابُ

وقد قدّمنا في فصلٍ ما كان الله يحوط به رسوله صلى الله عليه وسلم من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمه ينقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهى عن خلع إزاره ، فأعاده إلى سيرته الأولى .

(١) يبدو على تلك الآيات الصنعة والتكلف ، ولا تصح نسبتها إلى الزبير .

(٢) تتلّب : تقيم صدرها ورأسها . والفعل : اتلاب .

فصل

وذكر ابن إسحاق ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الخمس ، وهو الشدة في الدين والصلابة .

وذلك لأنهم عظموا الحرم تعظيماً زائدا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة . وكانوا يقولون : نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله .

فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرّروه من البدعة الفاسدة . وكانوا لا يدخرون من الابن أقطاً ولا ستماً ولا يسلمون شحماً وهم حُرُم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ولا يستظلون إن استظلوا إلا ببیت من آدم . وكانوا يمنعون الحجيج والعُمّار - ماداموا مُحْرَمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش ، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الخمس ، وهم قريش وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة ، طاف عريانا ، ولو كانت امرأة ، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول :

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أَحْلَهُ

فإن تكررَ أحدٌ ممن يجد ثوبَ أخصٍ فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يلقبها فلا ينتفع بها بعد ذلك . وليس له ولا لغيره أن يمسّها . وكانت العرب تسمى تلك الثياب : « اللقي » قال بعض الشعراء .

كَفَى حَزَنًا كَرَّيْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّاغُوتِ حَرِيمُ

قال ابن إسحاق : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل

عليه القرآن ردًّا عليهم فيما ابتدعوه فقال « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ^(١) أى جمهور العرب من عرفات « واستغفروا الله إن غفور رحيم » ^(٢).

وقد قدّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقفُ بعرفات قبل أن ينزل عليه توفيقاً من الله له .

وأنزل الله عليه ردًّا عليهم فيما كانوا حرّموا من اللباس والطعام على الناس « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ : قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ » ^(٣) الآية .

وقال زياد البكائي ^(٤) ، عن ابن إسحاق : ولا أدرى أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

(١) سورة البقرة ١٩٩ . (٢) سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ (٣) هو : أبو محمد زياد .
ابن عبد الله بن طفيل القيسي العامري البكائي راوى السيرة عن ابن إسحاق . توفي سنة ١٨٣ هـ

كتاب مَبْعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً

وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، والكهّان من العرب ^(١) قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه .

أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَدْعُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(٢) ۞ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ^(٣) ۞ . وقال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ

(١) العبارة محرفة في المطبوعة والمخطوطة : « وكانت الأخبار من اليهود والكهّان من النصارى ومن العرب » وما أثبتته من ابن هشام . (٢) سورة الأعراف ١٥٧ . (٣) سورة الصف ٦ .

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ : وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۖ ﴾ (٢) .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ ، لَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِيثَاقَ لَنْ يُبْعَثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ أَحْيَاءُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ وَلِيَتَّبِعَنَّهُ » .

يُعَلِّمُ مِنْ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بَشَرُوا وَأَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النُّضْر ، حدثنا الفرَج بن فَصَّالَة ، حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمامة قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان بدء أمرك .

قال : « دعوةُ أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نورٌ
أضاءت له قصور الشام » .

وقد روى محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أراد : بدء أمره بين الناس واشتجار ذكره وانتشاره ، فذكر دعوة إبراهيم الذى تنسب إليه العرب ، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل كما تقدم . يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضا .

أما في اللأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام . كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرياض بن سارية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عند ^(١) الله خاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنيكم بأول ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين » .

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال : إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعد ، عن بديل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .
تفرد بهن أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبي هريرة فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، حدثني يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به . وقال : « وآدم منجدل في طينته » .
وروى عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدم ، عن بَقِيَّة بن سعيد بن بشير ، عن

(١) ط : عبد . وهو خطأ .

قتادة ، عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ^(١) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » .

ومن حديث أبي مُزَاحِم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » .

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن مما تَسْتَرِق من السَّمْع ، إذ كانت وهى لا تُجِب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ^(٢) ، ولا يلقى العرب لذلك فيه بالا . حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر زمان مبعثه حُجِبَت الشياطين عن السَّمْع ، وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السَّمْع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الشياطين أن ذلك لأمرٍ حدث من أمر الله عز وجل .

قال : وفي ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم « قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » إلى آخر السورة .

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : « وإذ صرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا

(١) سورة الأحزاب . (٢) الضمير يرجع إلى الرسول صلوات الله عليه .

إلى قومهم مُنْذِرِينَ ، قالوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ « الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَةَ بن المغيرة بن الأَخْنَس ، أنه حَدَّثَ أن أول العرب فَرَزَ لارمى بالنجوم حين رُمِيَ بها - هذا الحَيُّ من ثَقِيف - وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلَاج ، وكان أَذْهَى العرب وَأَنْكَرَهَا^(١) ، فقالوا له : يا عمرو أَلَمْ تَرَ ما حَدَثَ في السماء من القذف بهذه النجوم ؟

قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالمُ النجوم التي يُهْتَدَى بها في البرِّ والبحر ، ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لِمَا يصاح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق ، وإن كانت نجومًا غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمرٌ أراد الله به هذا الخلق فما هو ؟ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سَهْم - يقال لها الغَيْطَلَة - كانت كاهنة في الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلَة من الليالي فانقضَّ تحتها ، ثم قال : أَدْر ما أَدْر^(٢) ، يومُ عَقْر ونحر ؟ قالت قریش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟

ثم جاءها ليلة أخرى فانقضَّ تحتها ثم قال : شُعُوب^(٣) ما شعوب ؟ تصرع فيه كَعْبٌ لِحُجُوب . فلما بلغ ذلك قریشا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو .

(١) أنكرها : من النكر بمعنى الدهاء . وفي ط خ : وأمكرها وهو تحريف .

(٢) في الاكتفاء للكلامى : بدر ما بدر . وهو أصح .

(٣) شعوب : جمع شعب . ويشير إلى ذلك قوله : فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب .

فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُخذ بالشَّعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبه .

قال ابن إسحاق : وحدثني على بن نافع الجرشي أن جَنَّبَا - بطنا من اليمن - كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب ، قالت له جَنَّب : انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جبله .

فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء . ثم ذكر ابن إسحاق قصة سوادِ بن قارب . وقد أخرجنا إلى هواتف الجان .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أن كنا نسمع من رجل من يهود^(١) - كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يبعث الآن نقاتكم معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسولاً الله صلى الله عليه وسلم أجنبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فأمنوا به وكفروا به .

ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . « ولَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا

(١) ابن هشام : لما كنا نسمع من رجال من يهود .

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » (١) .

وقال ورقاء : عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به .
رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الملك ابن هارون بن عنبرة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت اليهود بخير تقاتل غطفان ، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم .
قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به . فأنزل الله عز وجل « وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا » الآية .

وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن كبيد ، عن سلمة بن سلام (٢) بن وقش ، وكان من أهل بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ، قال فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنًا على فروة لي مصطجع فيها بفناء أهلي .

فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار .

قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثنان ، لا يرون أن بعثاً كائنٌ بعد الموت .

فقالوا له : ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال : نعم ، والذي يخلف به ، ويود ^(١) أن له تحطة من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن .
قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً - فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حتى بين أظهرنا ، فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً !

قال : فقلنا له ويحك يا فلان ! ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟

قال : بلى ؛ ولكن ليس به .

رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم في الدلائل عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد

(١) ابن هشام : ولود .

ابن سامة ، قال : لم يكن في بنى عبد الأشهل إلا يهودىً واحد يقال له يوشع ، فسمعتة يقول ، وإني لغلّامٌ في إزار : قد أظلكم خروجُ نبي يُبعث من نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدّقه .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً . وقد قدمنا حديثَ أبي سعيد عن أبيه في إخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ، وإخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحاكم عن البيهقي بإسناده من طريق يونس بن بكير عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال قال لى : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة ، وأسد بن عبيد - نفر من بنى هذيل ، إخوة بنى قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام ؟

قال : قلت لا .

قال : فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهَيَّيَّان قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فخلَّ بين أظهرنا ، لا والله مارأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس أفضل منه .

فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدّموا بين يدي تخرّجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّين من شعير .

قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنَا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى . قد فعل ذلك غيره مرة ولا مرتين ولا ثلاثا .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخرجني من أرض الحمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟
قال : قلنا أنت أعلم .

قال : فإنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجرة فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظلم زمانه فلا تُسَبِّقن إليه يامعشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبى الذراري من خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية ، و كانوا شبابا أحداثا ، : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهَيَّيَّان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله ؛ إنه هو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

قلت : وقد قدمنا في قدوم تُبَّع اليماني ، وهو أبو كَرِب تَمَّان أسعد ، إلى المدينة ومحاصرته إياها ، وأنه خرج إليه ذانك الخبران من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مهاجرة نَجِيَّ يكون في آخر الزمان . فثَنَاهُ ذلك عنها .

وقد روى أبو نعيم في الدلائل من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه عن جده . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله لما أراد هُدَى زيد بن سَعْيَةَ قال زيد : لم يَبَقْ شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتُها في

وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه وجهه ، ولا يزيده شدة الجبل عليه إلا حلاًماً .

قال : فكنت أتألف له لأن أخالطه فأعرف حِلْمه وجهه ، فذكر قصة إسلامه للنبي صلى الله عليه وسلم مآلاً في ثمرة . قال : فلما حلَّ الأجل أتيتُه فأخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ألا تقضيني حقى ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب لمُطْلَ .

قال : فنظر إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم قال : ياعدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ، وتفعل ما أرى ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومَه لضربت بسيفي رأسك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم . ثم قال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّبَاعَة ، اذهب به يا عمر فاقضِ حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر . »

فأسلم زيد بن سَعْيَة رضى الله عنه . وشهد بقية المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عام تبوك رحمه الله .

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله : إسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه وأرضاه ، فقال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي - من فيه - قال :

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَبِي ، وكان أبى دِهْقَان قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى في بيته كما تحبس الجارية .

واجتهدت في المجوسية ، حتى كنت فطِن النار الذى يوقدها لا يترك
تخبو ساعة .

قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوماً فقال لى : يا بنى إني
قد شغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطَّلِعْهَا ، وأمرنى فيها ببعض
ما يريد . ثم قال لى : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلى من ضيعتى
وشغلتنى عن كل شيء من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى إليها ، فمرت بكنيسة من كنائس النصارى ،
فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون . وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبس أبى إياى في
بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم
ورغبت في أمرهم . وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه .

فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها .

ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى وقد بعث في طلبى وشغلته عن أمره كله . فلما جئت قال : أى
بنى أين كنت ؟ ألم أكن أعهد إليك ما عهدته ؟ قال : قلت يا أبتِ مررت بأناس
يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى
غربت الشمس .

قال : أى بنى ، ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه .

قال : قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا .

قال : نخافنى فجعل في رجلى قيداً ثم حبسنى في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني

بهم . قال : مقدم عليهم ركب من الشام فجاءوني النصرارى فأخبروني بهم . فقلت : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذِنُونِي .

قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقفُ في الكنيسة .

قال فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلّم منك فأصلى معك . قال : ادخل .

فدخلت معه ، فكان رجلاً سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يُعطه المساكين ، حتى جمع سَبْعَ قِلَالٍ من ذهب وورق .

قال : وأبفضّته بفضّاً شديداً لما رأيته يصنع .

ثم مات واجتمعت له النصرارى ليدفنوه . فقلت لهم : إن هذا كان رجلاً سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يُعط المساكين منها شيئاً .

قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه . قالوا : فدُلُّنا . قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قِلَالٍ مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبداً . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فوضعه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، وأزهّد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال : فأحببته حباً لم أحبّ شيئاً قبله مثله .

قال : فأقيمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إني قد كنت معك ،

وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فألى من توصى بي ؟ وبم تأمرني ^(١) ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل . فقلت : يا فلان ، إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألقى بك ، وأخبرنى أنك على أمره . فقال لى : أقم عندى .

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بى إليك وأمرنى بالحق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فألى من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى . فقال : أقم عندى . فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فألى من توصى بى وبم تأمرنى ؟

قال : يا بنى والله ما أعلمه بقى أحداً على أمرنا آمرك أن تأتبه ، إلا رجلاً بعُمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه . فإن أحببت فأتته ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عُمورية ، فأخبرته خبر ، فقال : أقم عندى . فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة .

(١) الأصل : وبم تأمرنى به . وهو لا يستقيم

قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان . ثم أوصى بي فلان إليك ، فألى مَنْ توصى بي وبم تأمرني ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم أصبح أحدٌ على مثل ما كنا عليه من الناس أمرك أن أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرضٍ ^(١) بينَ حَرَّتَيْنِ بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تالحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث .

ثم مر بي نفرٌ من كَلْب تجار ، فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمي هذه . قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبي ، ولم يحقَّ فى نفسى .

فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قُرَيْظَةَ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتمانى إلى المدينة ، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي لها ، فأقمت بها .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرِّق ؛ ثم هاجر إلى المدينة .

فو الله إني لنى رأس عِدْقٍ ^(٢) لسيدى أعمل فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بنى قَيْلَةَ ^(٣) . والله إناهم لاجتمعون الآن بقباء على رجل قدِم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي .

(١) ط ح : الأرض وهو تحريف . (٢) العدق : النخلة . (٣) بنو قَيْلَةَ : الأنصار .

قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرعدةُ حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

قال : فغضب سيدي فلكني لكمةً شديدة . ثم قال مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . قال : فقلت لا شيء . إنما أردت أن أستثبته عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعتُهُ ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقاء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحقَّ به من غيركم .

قال : فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل .

فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته فقلت له : إني قد رأيته لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه .

قال : فقلت في نفسي هاتان ثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بَقِيع الغَرِّ قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعاليه شملتان وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى ظهوره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني استثبت في شيء ووصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحوّل » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس .

فأنجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد .

قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ » فَكَاتَبَتْ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير^(١) وأربعين أوقية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » فَأَعَانُونِي فِي النَّخْلِ : الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً^(٢) ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةِ وَدِيَّةٍ ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرَةٍ ، يَعِينُ الرَّجُلُ بِقَدَرٍ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذْهَبْ يَا سَلْمَانَ فَقَفِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرِغْتَ فَائْتَنِي أَوْ كُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي » .

قال : فَقَفَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا فَرِغْتَ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ . ففَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِيَ إِلَيْهَا ، فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرِغْنَا ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً .

فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ . فَقَالَ : « مَا فَعَلَ الْفَارَسِيُّ الْمَكَاتِبُ ؟ » قَالَ : فَدَعَيْتُ لَهُ قَالَ : « خُذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانَ » .

قال : قلت : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ مِمَّا عَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ » قَالَ : فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهَا مِنْهَا ، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً ، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ .

وَعَتَّقَ سَلْمَانَ ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ثُمَّ لَمْ يُفَتَّنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ .

(١) الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة . (٢) الودية : كغنية : صغار الفسيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس ، عن سلمان أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبها على لسانه ، ثم قال : « خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حدثني من لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إيت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه .

قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه . قال : فتناولته فقال : من هذا ؟ والتفت إلي . قال : قلت يرحمك الله ! أخبرني عن الحنيفة دين إبراهيم .

قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأنته فهو يملك عليه . ثم دخل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : « لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجل مُبهم ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة .

وقد قيل إنه الحسن بن عماره ، ثم هو منقطع بل مُعْضِل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضى الله عنه .

قوله : « لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » غريب جداً بل مُنْكَر ، فإن الفترة أقل ما قيل فيها أنها أربع مائة سنة ، وقيل ستمائة سنة بالشمسية ، وسلمان أكثر ما قيل أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . وحكى العباس بن يزيد البخراي إجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمائة وخمسين سنة والله أعلم . والظاهر أنه قال لقد لقيت وصى عيسى بن مريم فهذا ممكن بالصواب .

وقال السهيلي : الرجل المُبْهَم هو الحسن بن عماره وهو ضعيف ، وإن صح لم يكن فيه نكارة . لأن ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعد ما رفع فوجد أمه وامرأة أخرى يكيان عند جذع المصلوب ، فأخبرها أنه لم يُقتل ، وبعث الحوارين بعد ذلك .

قال : وإذا جاز نزوله مرةً جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يَكْسِر الصليب و يقتل الخنزير ، ويتزوج حينئذ امرأة من بنى جذام ، وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة قصة سلمان هذه من طريق يونس ابن بكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدم ورواها أيضاً عن الحاكم عن الأصم بن يحيى ابن أبي طالب .

حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا حاتم بن أبي صُفْرة ، عن سَمَّاك بن حرب ، عن يزيد ابن صوحان ، أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول إسلامه . فذكر قصة طويلة وذكر أنه

كان من رامهرمز ، وكان له أخ أكبر منه غنى ، وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه ،
وأن ابن دِهْقَانِهَا^(١) كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلم لهم ، وأنه كان يختلف
ذلك الغلام إلى عبّاد من النصارى في كهف لهم ، فسأله سلمان أن يذهب به معه إليهم ،
فقال له : إنك غلام وأخشى أن تمّ عليهم فيقتلهم أبى . فالتزم له أن لا يكون منه
شئ يكرهه .

فذهب به معه فإذا هم ستة أو سبعة ، كأن الرّوح قد خرجت منهم من العبادة ،
يصومون النهار ويقومون الليل ، يأكلون الشجر وما وجدوا .
فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرّسل المتقدمين ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن
أمته ، أيده بالمعجزات .

وقالوا له : يا غلام إن لك ربّاً ، وإن لك معاداً ، وإن بين يديك جنة ونارا ، وإن
هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا
على دينه .

ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمان بالكلية ، ثم أجالهم ملك
تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذى صحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبس الملك
ابنه عنده ، وعرض سلمان دينهم على أخيه الذى هو أكبر منه فقال : إني مشغول بنفسى
فى طلب المعيشة .

فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل ، فسأّم عليهم أهلها ثم أرادوا أن
يتركوا عندهم ، فأبيت إلا صُحبَتهم . فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال ، فتحدّث إليهم
رهبان تلك الناحية يسأمون عليهم واجتمعوا إليهم ، وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عندهم
ويسألونهم عنى فيثنون على خيراً .

(١) الدهقان : رئيس الإقليم أو زعيم فلاحى العجم . مغرب .

وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم قائم على الله بما هو أهله، وذكر الرسل وما أيدوا به، وذكر عيسى بن مريم، وأنه كان عبد الله ورسوله، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه. قال فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد، فيخرج إليهم ويعظهم ويأمرهم وينهاهم، فمكث على ذلك مدة طويلة، ثم أراد أن يزور بيت المقدس فصحبه سلمان إليه.

قال: فكان فيما يمشي يلتفت إلى ويقبل على فيعظني ويخبرني أن لي رباً، وأن بين يدي جنة ونارا وحساباً ويعلمني ويدكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الأحد. قال فيما يقول لي: يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد، يخرج من تهامة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم [النبوة] وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب، فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه، فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه، قلت له: وإن أسرنى بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: وإن أسرك، فإن الحق فيما يحيى به ورضا الرحمن فيما قال.

ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس، وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا، ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقظه، فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك. ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مُقعد فقال: يا عبد الله سألتك حين وصلت فلم تعطني شيئاً، وها أنا أسألك. فنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال: قم بسم الله. فقام وليس به بأس ولا قابة^(١) كأنما نشط من عقال. فقال لي: يا عبد الله، احمل على متاعى حتى أذهب إلى أهلى فأبشّرهم، فاشتغلت به، ثم أدركت الرجل فلم ألحقه ولم أدري أين ذهب، وكلما سألت عنه قوماً قالوا: أمامك.

(١) القلبة: محركة داء وألم من علة.

حتى لقيني ركب من العرب من بني كلب فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بغيره فحملني خلفه حتى أتوا بي بلادهم .

فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط لها .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة ، فلما رآه آمن من ساعته ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره الذي جرى له .

قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فاشتراه من سيده فأعتقه .

قال : ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال : لا خير فيهم . قال : فوقع في نفسي من أولئك الذين صحبتهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي بيت المقدس ، فدخلني من ذلك أمر عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت وأنا خائف ، فجلست بين يديه فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » الآيات . ثم قال : « يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين » فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتباعك ، فقلت له : فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال : نعم فاتركه ، فإن الحق وما يرضى الله فيما يأمرك .

وفي هذا السياق غرابة كثيرة وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى مارواه البخارى في صحيحه من

حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي ، أنه تداوله بضعة عشر ، من رب إلى رب ، أى من معلّم إلى معلّم ومربّ إلى مثله . والله أعلم .

قال السهيلي : تداوله ثلاثون سيّداً من سيّد إلى سيّد ، فالله أعلم .
وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل » وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أن اسم سيّدته التي كاتبته حلبسة . فالله أعلم .

ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي^(١) ، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السّوية المنقري ، حدثنا عبّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبي عتّوّارة الخزاعي ، عن سعيّر بن سودة العامري قال : كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل الحى ، أركب لها الصعب والذّلول لا أبقي من البلاد مسرحاً أرجو رجاءاً في متجر إلا أتيت ، فأنصرفت من الشام بمرث وأثاث أريد به كبة الموسم^(٢) ودهاء العرب ، فدخلت مكة بليل مُسَدَف ، فأقمت حتى تعرّى عنى قميص الليل فرفعت رأسى فإذا قباب مُسامتة^٣ شَعَفَ الجبال ، مضروبة بأنطاع الطائف ، وإذا جزر تُنجر وأخرى تساق ، وإذا أكلة وحشّة على الطهاة يقولون ألا عَجّلوا ألا عجّلوا ، وإذا رجل يجر على كَنَسز من الأرض ينادى : يا وفد الله ميلوا إلى الغداء . وأنيسان على مدرّجة يقول : يا وفد الله مَنْ طَعِمَ فَلْيَرْحَ إلى العشاء . فجهرنى^(٣) ما رأيت فأقبلت أريد عيد القوم ، فعرف

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي ببصري يعرف بـ زكرويه (٢) الكبة : الزحام .

(٣) جهرنى : راعنى

رجلٌ الذى بنى ، فقال : أمامك . وإذا شيخ كأن فى خديه الأساريع ^(١) ، وكأن الشعرى ^(٢) توقد من جبينه ، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملائها جمة ^(٣) فينانة كأنها سماسم ^(٤) . قال فى بعض الروايات : تحته كرسى سماسم ^(٥) ومن دونها تمرقة ، بيده قضيب متخصر به ، حوله مشايخ جلس نواكس الأذقان ، مامنهم أحد يفيض بكلمة . وقد كان نبي إلى خبر من أخبار الشام أن النبي الأُمى هذا أوان نجومه ، فلما رأيته ظننته ذلك فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأن قد ، وليتنى إياه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا هذا أبو نضلة ، هذا هاشم بن عبد مناف ، فوليت وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة - يعنى ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم آل جفنة - . وهذه الوظيفة التى حكاه عن هاشم هى الفادة يعنى إطعام الحجيج زمن الموسم .

وقال أبو نعيم : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبى يحيى ، حدثنا سعيد بن عثمان ، حدثنا على بن قتيبة الخراسانى ، حدثنا خالد بن الياس ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم ، عن أبيه عن جده . قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال : بينا أنا نائم فى الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ، ففرغت منها فرعاً شديداً ، فأتيت كاهنة قریش وعلى مطرف خز وجمتى تضرب منكبي ، فلما نظرت إلى عرفت فى وجهى التغير ، وأنا يومئذ سيد قومى فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى !

(١) الأساريع لها معان كثيرة منها : دود بيض حمر الرءوس (٢) الشعرى : نجم عظيم .
(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس . (٤) السماسم : الأولى عيدان السمس ، والثانية خشب أسود .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبّل يدها اليمنى ، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأننى [كنت ^(١)] كبير قومى .

فجلست فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة نبّت ^(٢) قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نوراً أزهرَ منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزدد كل ساعة عِظاً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخنى وساعة تزهر ، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلّقوا بأغصانها ، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ^(٣) ويقلع أعينهم . فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فنعنى الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلّقوا بها وسبقوك إليها . فانتبهت مذعوراً فزعاً .

فرايت وجه الكاهنة قد تغيّر ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صُلبك رجلٌ يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس . ثم قال - يعنى عبد المطلب - لأبى طالب لعلك تكون هذا المولود ^(٤) .

قال : فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ما بعث . ثم قال ^(٥) كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين ، فيقال لأبى طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار !

(١) من الدلائل . (٢) الأصل : تنبت ، وهو تحريف . (٣) الدلائل : أضلهم . وفي الخصائص : أظهرهم . وما أثبتته من الدلائل .

(٤) كذا بالأصل ودلائل النبوة وهو تحريف ، وصوابه رواية ابن الجوزى في الوفا حيث قال : « ثم قالت لأبى طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود » الوفا ٨٠ بتحقيقى . (٥) الدلائل : « فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة .. الخ . »

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار الضبي ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب - منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداً ؟ فقلت : نعم .

فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء ، فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني . فقال : هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أيّ بني أخى ؟ فقال أبو سفيان : إياي تكتم ؟ ! وأيّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ! قلت وأيهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل .

وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أن محمداً قام بالأبطح فقال : « أنا رسول أدعوكم إلى الله عز وجل » فقال العباس : قلت أجده يا أبا حنظلة صادقا .

فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا ، إني لا أخشى أن يكون عليّ خير من هذا الحديث يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قریش تزعم أن لكم هبة وهبة ، كل واحدة منهما غاية ! لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك ؟ قلت : نعم قد سمعت . قال فهذه والله شؤمتكم . قلت : فلعلها يُمنتنا .

قال : فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن ، ففشا ذلك في مجالس اليمن ، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه خبر من

أحبار اليهود ، فقال له اليهودى : ماهذا الخبر ؟ بلغنى أن فيكم عمّ هذا الرجل الذى
قال ما قال ؟

قال أبو سفيان : صدّقوا ، وأنا عمه ، فقال اليهودى : أخو أبيه ؟ قال : نعم .
قال : حدّثنى عنه .

قال : لا تسألنى ! ما أحبُّ أن يدعى هذا الأمر أبداً ، وما أحبُّ أن أعييه
وغيره خير منه .

فرأى اليهودى أنه لا يغمس عليه ولا يحب أن يعييه .

فقال اليهودى : ليس به بأس على اليهود ، وتوراة موسى .

قال العباس : فنادانى الخبر ، فجنّت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ،
وفيه أبو سفيان بن حرب والخبر ، فقلت للخبر : بلغنى أنك سألت ابن عمى عن رجل منا
زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرك أنه عمه ، وليس بعمّه ، ولكن ابن عمه ،
وأنا عمه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه .

فأقبل على أبي سفيان فقال : صدّق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سألنى فإن كذبتُ
فليردّ علىّ .

فأقبل علىّ فقال : نشدّتك هل كان لابن أخيك صَبُوة أو سَفْهة .

قلت : لا وإله عبد المطلب ، ولا كَذَب ولا خان ، وإنه كان اسمه عند
قريش الأمين .

قال : فهل كتب بيده ؟

قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يَكُتِب بيده ، فأردت أن أقولها ، ثم ذكرت
مكانَ أبي سفيان يكذِّبنى ويردُّ علىّ فقلت : لا يكتب .

فوثب الخبر ونزل رداؤه وقال : ذُبِحَت يهود ، وقتلت يهود !

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا ، قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إن اليهود تفرغ من ابن أخيك . قلت : قد رأيتَ ما رأيت ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ، فإن كان حقا كنت قد سبقت ، وإن كان باطلا فمعك غيرك من أكتفائك .

قال : لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء ^(١) .

قلت : ماتقول ؟ قال : كلمة جاءت على فمي ، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع من كداء .

قال العباس : فلما استفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة ؟!

قال : إي والله إنني لذكرُها ! فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان في رجاله من هو متكلم فيه . والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت ، وهو شبيه بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات وعليه النور .

وسياتي أيضا قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله ، واستدلّاه بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كمتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ماتقول حقا ليلكن موضع قدميَّ هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والمنة .

(١) كداء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأخبار والعرب،
فأكثر وأطرب وأحسن وأطيب . رحمه الله ورضى عنه .

قصة عمرو بن مُرّة الجهني^(١)

قال الطبراني : حدثنا علي بن إبراهيم الخزازي الأهموازي ، حدثنا عبد الله
ابن داود بن دهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سُويد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبي ، عن أبيه دهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن
أباه عبد الله حدثه عن أبيه ، أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة
الجهني قال :

خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ،
نورا ساطعاً [خرج^(٢)] من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب وأشعر جهينة^(٣) .
فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول : انقشعت الظلماء ، وسطع الضياء ، وبُعث
خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن^(٤) ،
وسمعت صوتاً من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرَت الأصنام ،
ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومي : والله ليحدثن لهذا الحى من قريش حدثاً . وأخبرتهم
بما رأيت .

(١) هذه القصة ليست في النسخة ا وهي ماثبة في الطبوعة من النسخة الحلبية .

(٢) من الوفا . (٣) هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه . (٤) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءني [الخبر أن رجلاً^(١)] يقال له أحمد قد بُعث .

فأُتيته^(٢) فأخبرته بما رأيته . فقال [لي^(١)] « يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحَقِّ الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان [شهر^(١)] من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، آمنت بما جئت من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام . ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به . وكان لنا صنم ، وكان أبي سادنا له فقمته إليه فكسرتة . ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وأنتى لآلهةِ الأحجارِ أولُ تاركِ
وشمَّرتُ عن ساقِ الإزارِ مهاجراً إليك أجوب القفرَ بعد الدكادك^(٣)
لأصحبَ خير الناس نفساً ووالداً رسولَ ملِكِ الناسِ فوقِ الحباثكِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرحبا بك يا عمرو بن مُرَّة » . فقلت : يا رسول الله ابعثنى إلى قومي ، لعل الله يمنَّ عليهم بي كما منَّ علىَّ بك . فبعثنى إليهم . وقال : « عليك بالرفق والقول السديد . ولا تكن فظاً . ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا

(١) من الوفا . (٢) الوفا : فخرجت حتى أُتيته .

(٣) الدكادك : أرض فيها غلط . وفي الوفا : أجوب إليك الدعث بعد الدكادك . والدعث : الأرض المستوية

كلهم ، إلا رجلا واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرحَّب بهم وحياهم . وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب [أمان ^(١)] من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق ، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ^(٢) ، ترعون ^(٣) نباته وتشربون صافيه ، على أن تقرؤا بأئخمس ، وتصلوا صلاة الأئخمس ، وفي التبعية والصريمة [شاتان ^(٤)] إن اجتمعتا وإن تفرقتا شاة شاة ، ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة اللبقة وشهد على نبينا صلى الله عليه وسلم من حضر من المسلمين ^(٥) بكتاب قيس ابن شماس . »

وذكر شعراً قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط من المسند الكبير وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ^(٥) » .

قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟) أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(١) من الوفا .

(٢) في الوفا : إن لكم بطون الأرض وظهورها وتلاع الأودية وسهولها . وهو أصح وأولى والتلاع : جمع تلة : ما ارتفع من الأرض . (٣) الوفا : ترعون نباته ، وهو أصح .

(٤) الوفا : والله يشهد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين . (٥) سورة الأحزاب آية ٧ .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة » من طرق عن الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ » . وهكذا رواه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم . وقال : حسن غريب من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر النعماني ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عروة بن رويم ، عن الصنابحي^(١) . قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدَمُ مُنْجَدِلٌ فِي الطِّينِ » . ثم رواه من حديث نصر بن مزارع ، عن قيس بن ربيع ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قيل يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » .

وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدَمَ حين استخرج الله من صلبه ذريته خص الأنبياء بنور بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قدر منازلهم ورُتَبِهِمْ عند الله .

وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد صلى الله عليه وسلم كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم .

وهذا تنويه عظيم وتنبية ظاهر على شرفه وعلو قدره .

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلابي ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ،

(١) الصنابحي : بضم الصاد وفتح النون وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم حاء ، نسبة إلى صنابح بن زاهر بن عامر بن عوثان بن زاهر بن يهاير ، الباب ٢ / ٦

عن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ خَاطِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنْ آدَمَ لَمْ يُنْجَدْ لَوْ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُنْبِئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعَا أَبَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَارَةَ عِيسَى بَنِي ، وَرَوَّيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أَمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَيْنَ » .

ورواه الليث وابن وهب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح وزاد « إِنْ أُمَّهُ رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ بَدِيلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ، عَنْ مَيْسِرَةَ الْفَجَرِ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ قَالَ : « وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » .

إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ أَيْضًا .

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان ، وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن ميسرة به .

ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار ، عن عبد الله بن سفيان ، عن ميسرة الفجر قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ قَالَ : « وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه « دلائل النبوة » ^(١) : حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَمْدَانَ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ خَلِيدِ بْنِ دَعَاجٍ ، وَسَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ » قَالَ : « كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » .

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع .

ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بَقِيَّة ، عن سعيد بن نسير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله .

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثله . وهذا أثبت وأصح والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملاء الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح ، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملاء الأعلى . والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم من حديث عبد الرازق عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ^(١) المقضى لهم قبل الخلائق . بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم » .

وزاد أبو نعيم في آخره : فكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في البعث وبه إُختمت النبوة . وهو السابق يوم القيامة ، لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ، ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ماسبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد .

وروى إمامكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام -

(١) التي في دلائل النبوة المطبوع إلى هنا ولم يستكمل الحديث ولم يذكر التعليق المذكور هنا ، وهذا يؤكد أن النسخة المطبوعة إنما هي مختصر لكتاب دلائل النبوة وليست هي الكتاب نفسه . انظر دلائل النبوة ص ١٧

عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى ، فقال الله : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلق بعد ؟ فقال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعملت أنك لم تُصِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إلى ، وإذ قد سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

قال البيهقى : تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف والله أعلم .

وقد قال الله تعالى « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَعَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١) .

قال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه [وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه] (٢) .

وهذا تقويه وتنبيه على شرفه وعظمته فى سائر الملال وعلى السنة الأنبياء ، وإعلام لهم ومنهم برسالته فى آخر الزمان . وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين .

وقد أوضح أمره وكشف خبره وبين سره ، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل فى قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت « رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١).

فكان أول بيان أمره على الجليّة والوضوح بين أهل الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء .

ولهذا قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر ، سمعت أبا أمانة قال : قلت يا نبي الله ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشري عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام » .

تفرد به الإمام أحمد ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة .

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب « المولد » من طريق بَقِيَّة ، عن صفوان بن عمرو ، عن حجر بن حجر ، عن أبي مريق ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله أى شيء كان أول أمر نبوتك ؟

فقال « أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم [ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام] » (٢) .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك .

(١) سورة البقرة ١٢٩

(٢) ليست في أ

قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمى حين حبلت كأنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام » .
إسناده جيد أيضاً .

وفيه بشارة لأهل مَحِلَّتِنَا أرض بُصْرَى ، وأنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة ، والله الحمد والمنة . ولهذا كانت أولَ مدينة فتحت من أرض الشام ، وكان فتحها صلحاً في خلافة أبى بكر رضى الله عنه . وقد قَدِمَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرتين في صحبة عمه أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وكانت عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه . والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها . وبها مَبْرُكُ الناقة التى يقال لها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بركت عليه فأثْرُ ذلك فيها فيما يذكر ، ثم نُقِلَ وبني عليه مسجد مشهور اليوم . وهى المدينة التى أضاءت أعناقُ الإبل عندها من نور النار التى خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستائة وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « تَخْرُجُ نارٌ من أرض الحجاز تضيء لها أعناقُ الإبل ببُصْرَى » .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، عن الجريري ، عن أبي صخر الثقفي ، حدثني رجل من الأعراب قال : جلستُ جلوبةً إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغتُ من بيعي قلت لأتقين هذا الرجل فلا تسمعن منه .

قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهما حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرأها يعزّي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسنِ الفتيان وأجملهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَشُدُّكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ ، هل تجدني في كتابك ذا صِفتي وَتَخْرُجِي ؟ » فقال برأسه هكذا - أي لا - فقال ابنه : إني والذي أنزل التوراة ، إنا لنجد في كتابنا صفتك وَتَخْرُجُكَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . فقال : « أَقِيمُوا الْيَهُودِيَّ عَنْ أَخِيكُمْ » ثم ولي كفته والصلاة عليه .

هذا إسناد جيد وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

وقال أبو القاسم البَغَوِي : حدثنا عبد الواحد بن غِيَاث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز ابن مسلم ، حدثنا عاصم بن كَلْبٍ ، عن أبيه ، عن الصلتان بن عاصم وذكر أن خاله قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ شخص بصره إلى رجل ، فإذا يهودى عليه قميص وسراويل ونعلان . قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه وهو يقول : يارسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه عليه : « وسلم أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قال : لا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَقْرَأُ التَّوْرَةَ ؟ » قال : نعم . قال : « أَتَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ ؟ » قال : نعم . قال : « وَالْقُرْآنَ ؟ » قال : لا . ولو تشاء قرأته .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فِيمَ تَقْرَأُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، أَتَجِدُنِي نَبِيًّا ؟ » قال : إنا نجد نعتك وَتَخْرُجُكَ ، فلما خرجتَ رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنك لستَ به .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولم ييهودى ؟ » قال : إنا نجده مكتوباً : يدخل من أمته الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه .

وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يهود] فقال « أخرجوا أعلمكم » فقالوا : عبد الله بن صوريا . نفلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المنّ والسّلوى ، وظلّهم به من الغمام « أتعلّمنى رسول الله ؟ » قال : اللهم نعم . وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبّين في التوراة ، ولكنهم حسدوك .

قال « فما يمنحك أنت ؟ » قال : أكره خلاف قومى . وعسى أن يتبعوك ويُسلموا فأسلم .

وقال سامة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قال لكم : يامعشر يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إن محمداً رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلمهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب

الرِّزْقَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . وإني أنشدكم بالله وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسباطكم المنّ والسّوى ، وأنشدكم بالذي أَيْبَسَ البحرَ لآبائكم حتى أنجأكم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُره عليكم قد تبَيَّنَ الرشد من الغي . وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم . » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « المبتدأ » عن سعيد بن بشير ، عن قتادة عن كعب الأحمار ، وروى غيره عن وهب بن منبه أن بَحْتَصَرَ بعد أن خَرَبَ بيت المقدس ، واستدل بنى إسرائيل بسمع سنين ، رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته ، فجمع الكهنة والحزار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا : ليقصّها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني نسيتهما ، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتم عن آخركم .

فذهبوا خائفين وجلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه . فقال للسجّان : اذهب إليه فقل له : إن هاهنا رجلا عنده علم رؤياك وتأويلها .

فذهب إليه فأعلمه فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجد له . فقال له : مامنعك من السجود لي ؟ فقال : إن الله آتاني علماً وعلمني وأمرني أن لا أسجد لغيره . فقال له بختنصر : إني أحب الذين يوفون لأربابهم بالعهود . فأخبرني عن رؤياي .

قال له دانيال : رأيت صنماً عظيماً رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه فضة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من نِخَار ، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك حسنه وإحكام صنعته قذفه الله بحجر من السماء ، فوقع على قمة رأسه حتى طحنه

واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده ونخاره ، حتى تحيل لك أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدرُوا على ذلك . ونظرت إلى الحجر الذى قُذِفَ به يَرَبُّو وَيَعْظُم وَيَنْتَشِر ، حتى ملأ الأرض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء . فقال له بختنصر : صدقت ، هذه الرؤيا التى رأيتها ، فما تأويلها ؟

فقال دانيال : أما الصنم فأُممٌ مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره ؛ وأما الحجر الذى قُذِفَ به الصنم فدينٌ يَقْدِفُ الله به هذه الأمم فى آخر الزمان فيُظْهِرُ عليها ، فيبعث الله نبياً أُمياً من العرب فيدوِّخُ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوِّخَ أصناف الصنم ، ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها ، فيمحّص الله به الحق ويُزْهِقُ به الباطل ويَهْدِي به أهل الضلالة ، ويعلمُ به الأميين ويقوى به الضعفة ويعزُّزُ به الأدلة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمام القصة فى إطلاق بختنصر بنى إسرائيل على يدى دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدى بأسانيده عن المغيرة بن شعبه فى قصة وفوده على المقوقس ملك الإسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من سؤال هرقل لأبى سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى فى الكنائس عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه عن ذلك ، وهى قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم فى الدلائل^(١) .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بِمَدْرَاسٍ^(٢) اليهود فقال

(١) دلائل النبوة .

(٢) المدراس : هو البيت الذى يقرأ فيه اليهود كتبهم . وفى ط : بمدارس ، وهو تحريف .

لهم : « يامعشر اليهود أسلموا ، فوالذى نفسى بيده إنكم لتجدون صفى فى كتبكم » الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن ، يأياها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحِزْزاً للأُميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكِّل ، لَافِظٌ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عمياً وآذناً صماً وقلوباً غُلْفاً .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان العوفى عن فليح به .

ورواه أيضاً عن عبد الله - قيل بن رجاء ، وقيل ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن هلال بن علوية ، ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير من حديث فليح ، عن هلال عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فلقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً . وقال : « فى البُيُوع » . وقال : سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرناه أبو الحسين بن الفضل القطَّان ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثنى خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إنا لنجدُ صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِزْزاً للأُميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميت المتوكِّل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق ، ولا يجرى السيئةَ بمثلها ولكن يعفو ويتجاوز ، ولن يقبضه

حتى يقيم به أئمة العوجاء ، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، يفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقبوراً غافلاً .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأخبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبهه ، ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يحدث عنهما كثيراً .

وليُعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون « التوراة » على كتب أهل الكتاب ، فهي عندهم أعم من التي أنزلها الله على موسى . وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث .

وقال يونس : عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن ثابت بن شرحبيل ، عن ابن أبي أوفى ، عن أم الدرداء : قالت : : قلت لكعب الأخبار : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟

قال : نجده : محمد رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظولا غليظولا صخاب في الأسواق ، وأعطى المفاتيح ، فيبصر الله به أعيناً عوراً ، ويُسمع آذاناً وُقراً ، و يقيم به ألسنا معوجة ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له ، يعين به المظلوم ويمنعه .

وقد روى عن كعب من غير هذا الوجه .

وروى البيهقي ، عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حدثنا عتبة بن مكرم ، حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم ، حدثنا حمزة بن الزيات ، عن سليمان الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة (وما كنت بجانب الطور

إِذْ نَادَيْنَا) قَالَ : نودوا : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ اسْتَجِبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي ، وَأَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي .

وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور : يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد ، صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً ، ولا يُغضبني أبداً ، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء . والرسول ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء .

إلى أن قال : يا داود إني فضّلت محمداً وأمته على الأمم كلها .

والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة ، وقد دل على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها والله الحمد .

فمن ذلك قوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يُتلى عليهم قالوا آمناً به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)^(١) .

وقال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)^(٢) .

وقال تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرون للأذنان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً)^(٣) أي إن كان وعدنا ربنا بوجود محمد وإرساله لكائن لا محالة . فسبحان القدير على ما يشاء لا يعجزه شيء .

وقال تعالى إخباراً عن القسيسين والرهبان : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول .

(٣) سورة الإسراء ١٠٧، ١٠٨

(٢) سورة البقرة ١٤٦

(١) سورة القصص ٥٢، ٥٣

تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ^(١) .

وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم . كما سيأتي شواهد كثيرة
لهذا المعنى . والله الحمد والمنة .

وذكرنا في تضاعيف قصص الأنبياء^(٢) وصفهم لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونعته وبلد مولده ودار مُهَاجَرِهِ ونعت أمته ، في قصة موسى وشُعَيْبَا وأرمياء
ودانيال وغيرهم .

وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم عيسى بن مريم أنه قام في
بني إسرائيل خطيباً قائلاً لهم : (إني رسولُ الله إليكم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ^(٣)) .

وفي الإنجيل البشارة بالفارقليط ، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن
بَكِير ، عن يونس بن عمرو ، عن العيزار بن حرب ، عن عائشة رضي الله عنها أن
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال « مكتوبٌ في الإنجيل لا فِظٌّ ولا غليظ ولا صخاب في
الأسواق ، ولا يجزى بالسبيثة مثاها بل يعفو ويصفح » .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا فيض البجلي ، حدثنا سلام بن مسكين ، عن
مقاتل بن حيان قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : جِدِّ في أمري واسمع
وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين ،
فإياي فاعبد . فبين لأهل سوران بالسريانية ، بلغ من بين يديك أني أنا الحق القائم

(٢) وذلك في الجزء الأول من البداية والنهاية

(١) سورة المائدة ٨٣ .

(٣) سورة الصف ٦ .

الذى لا أزول ، صدّقوا بالنبي الأُمى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ، وهى التاج ،
والنعلين ، والمراوة ، وهى القضيبة ، الجعد الرأس ، الصلت^(١) الجبين ، المقرون الحاجبين ،
الأنجل العينين ، الأهدب الأشفار ، الأذعج العينين ، الأقفى الأنف ، الواضح الخدين ،
الكث اللحية ، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ ، ريح المسك ينضح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ،
وكان الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سُرته تجرى كالقضيبة ،
ليس فى بطنه شعرٌ غيره ، شثن^(٢) الكف والقدم ، إذا جاء مع الناس غمّهم ،
وإذا مشى كأنما يتقلّع من الصخر ويتحدّر من صَبَب ، ذو النسل القليل - وكأنه أراد
الذكور من صلبه .

هكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان .

وروى البيهقى عن عثمان بن الحكم بن رافع بن سنان^(٣) حدثنى بعض عمومتى
وآبائى أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها فى الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام
وبقيت عندهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذكروها له وأتوه بها
مكتوب فيها : بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب . هذا الذّكر لأمة تأتى فى
آخر الزمان ، يفسلون^(٤) أطرافهم ويأتزرون^(٥) على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى
أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفى عاد ما أهلكوا
بالريح ، وفى ثمود ما أهلكوا بالصيحة . بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين فى تباب .
ثم ذكر قصة أخرى . قال فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأت عليه فيها .

(١) الصلت : الواضح (٢) أى غليظ أصابعهما . وذلك جمال فى الرجال . (٣) رواه
بن الجوزى فى الوفا : عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس . قال : كان عند أبى أو عند جدى ورقة
توارثونها قبل الإسلام بزمان . (٤) الأصل : ليلون . وما أثبتته عن الوفا لابن الجوزى .
(٥) المطبوعة : ويوترون ، وهو تحريف .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف (الذى يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) قصة هشام بن العاص الأموى ، حين بعثه الصديق في سرية إلى هرقل يدعو إلى الله عز وجل . فذكر أنه أخرج لهم صور الأنبياء في رُقعة من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ، على النعت والشكل الذى كانوا عليه . ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً إكراماً له . ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها . قال : فقلنا له من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إن آدم سأل ربه أن يريه جميع الأنبياء من ذريته^(١) ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانه آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى دانيال .

ثم قال : أما والله إن نفسى قد طابت بالخروج من مُلكى وأنى كنت عبداً لأشركم ملكة حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرحنا .
فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال : فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجدون نعت محمد عندهم .
رواه الحاكم بطوله . فليكتب هاهنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله بن زياد عن ابن إسحاق قال : وحدثنى يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت بريق من عند النجاشى أعطانيهم فقالوا لى : يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا ، فرأى أبو بكر قلت أهو هذا ؟ قالوا : لا . فرأى عمر قلت : أهو هذا ؟ قالوا :

(١) خ ط : من ذلك وهو تحريف .

لا . فدخلنا الدار فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوني : يا عمر وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنظرت فإذا هو هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدم إنذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر أسلفناه في ترجمته . فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الخبرين من اليهود لتَّبِعَ اليماني حين حاصر أهل المدينة أنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان . فرجع عنها ونظم شعراً^(١) يتضمن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا الشعر المنسوب إلى تبع مختلف مصنوع كما حقق ذلك بعض الباحثين ، لأنه كان من حير ولسانهم غير لسان عدنان .

قصة سيف بن ذى يزن الحميرى

وبشارته بالنبي الأمى

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه «هواتف الجان» حدثنا على بن حرب ، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القعنبي - عن أحمد بن القاسم ، عن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن عبد الله بن عباس . قال : لما ظهر سيف بن ذى يزن - قال ابن المنذر : واسمه النعمان ابن قيس - على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتمته وفود العرب وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه .

وأناه فيمن أناه وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمىة بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد بن أسد ، فى أناس من وجوه قريش . قدّموا عليه صنعاء ، فإذا هو فى رأس عُمدان الذى ذكره أمىة بن أبى الصلت :

واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس عُمدان داراً منك محلاًلاً

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم فأذن لهم ، فدنا عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام . فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذِنَّا لك . فقال له عبد المطلب : إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزّت^(١) جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم موطن وأطيب معدن ، فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعةا الذى تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومَعَقَها الذى يلجأ إليه العباد . وسلفك خير سلف ،

(١) الأصل : وعزيت . وما أثبتته عن الاكتفا للسكاكى ١/ ١٧٩ .

وأنت لنا منهم خير خلف . فلن يَحْمِلَ^(١) من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجت^(٢) من كشف الكرب الذي قد فدَحنا [فنحن]^(٣) ، وقد التهنئة لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتكلم .

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال ادن^(٤) . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً وناقة ورَحْلاً ، ومُسْتَنَاخاً سهلاً ، ومِلْكَ رَاحِلاً^(٥) يعطى عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقاتلكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقتم والحباء إذا ظعنتم .

ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يَصِلُونَ إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب إني مُفَضُّ^(٦) إليك من سرِّ عِلْمِي ما لو يكون غيرك لم أُبْجَ به . ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم الخزون الذي اختزنناه^(٧) لأنفسنا واحتجبتناه^(٨) دون غيرنا خيراً عظيماً ، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرّ وبرّ ، فما هو ، فدأوك أهل الوبر زمراً بعد زمر ؟

(١) الاكتفا : فلم يَحْمِلْ من أنت سلفه . وفي دلائل النبوة : فلم يَحْمِلْ ذكر من أنت سلفه .
(٢) الاكتفا : أبهجتنا . (٣) سقطت من الأصل والمطبوعة . (٤) الاكتفا : ادنه .
(٥) وبجلاً : كثير العطاء . (٦) الاكتفا والدلائل : إني مفوض ، وهو الأصح . وفي الاكتفا : من سني (٧) ط : اخترناه . (٨) ط : احتجناه ، وهو تحريف .

قال : إذا ولد بتهامة ، غلام به علامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أثبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما أزداد به سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ، ولدناه مراراً والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزُّ بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عَرْض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ويُخمد النيران ، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ، قوله فَصْل ، وحُكْمه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

فقال عبد المطلب : أيها الملك - عَزَّ جَدُّكَ ، وعلا كعبك ، ودام مُلْكُكَ ، وطال عمرك [فهذا نجارى]^(١) فهل الملك سار^(٢) لى يافصاح فقد أوضح لى بعض الإيضاح . فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على التُّصْب^(٣) إنك يا عبد المطلب لجدُّه غير كذب

نَحَرَ عبدُ المطلب ساجدا فقال : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

فقال : أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا ، فزوّجته كريمة من كرائم قومه أمنة بنت وهب ، فجاءت بفلام سميته محمداً ، فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ،

(١) ليست فى الاكتفا ولا فى الدلائل ولا فى الوفا . والنجار : الأصل . (٢) المراجع : سارى .

(٣) ط خ : النقب وهو تجريف . وما أثبتته عن المراجع السابقة .

فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنني لست آمنُ أن تدخل لهم ^(١) النفاسة من أن تكون لكم الرياسة ، فيطلبون له الفوائل ، وينصبون له الحبالل ، فهم ^(٢) فاعلون أو أبنائهم ، ولولا أني أعلم أن الموت مُجْتاحي قبل مَبْعَثِهِ لِسِرْتُ بِخَيْلي وَرَجِلي حتى أصير ييثر دار مملكته ^(٣) ، فإنني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن ييثر استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ، ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عَقْبَهُ ، ولكني صارفٌ ذلك إليك عن ^(٤) غير تقصير بمن معك .

قال : ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشرة إماء وبمائة من الإبل وخلّتين من البرود وبخمس أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : إذا حال الحول فائتني ، فمات ابن ذى يزن قبل أن يَحُولَ الحول .

فكان عبدالمطلب كثيراً ما يقول : [يامعشر قریش] ^(٥) لا يَغْبُطُنِي رجل منكم بِجَزِيل عطاء الملك [وإن كثُر] ^(٥) فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبى من بعدى ذِكْرُهُ وَفَخْرُهُ وشرفه .

فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين .

قال : وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس ^(٦) :

(١) المراجع : أن تدخلهم . (٢) الاكتفا : وهم . (٣) الاكتفا : دار ملكه .
(٤) الاكتفا : عن . (٥) من الاكتفا . (٦) الأبيات في الوفا لابن الجوزي باختلاف
(٢٢ - السيرة ١)

جَلَبْنَا النُّصْحَ نَحْقِبِهِ^(١) المطايا على أَكْوَارِ أُنْجَالٍ وَنُوقٍ
مُقَلَّفَةٌ مَرَاتِعَهَا تَعَالَى إلى صَنْعَاءَ مِنْ فَجٍّ عَمِيقٍ^(٢)
تَوْمٌ بَنَّا ابْنَ ذِي يَزْنَ وَتَفْرَى بذاتِ بَطُونِهَا ذِمَّ^(٣) الطَّرِيقِ
وَتَرَعَى مِنْ نَحْأَيْلِهِ بُرُوقًا مُوَاصِلَةَ الْوَمِيزِ إِلَى بُرُوقِ
فَلَمَّا وَاصَلَتْ صَنْعَاءَ حَلَّتْ بَدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسْبِ الْعَرِيقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من طريق عمرو بن بكير بن بككار القعنبى .

ثم قال أبو نعيم^(٤) : أخبرت عن أبي الحسن على بن إبراهيم بن عبد ربه بن محمد ابن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زُرْعَةَ بن سيف بن ذى يَزْنَ ، حدثنى أبى أبو يزن إبراهيم ، حدثنا عمى أحمد بن محمد أبو رجاء به ، حدثنا عمى محمد بن عبد العزيز ، حدثنى عبد العزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زُرْعَةَ بن سيف بن ذى يزن الحِميرى قال : لما ظهر جدى سيفُ بن ذى يزن على الحبشة . وذكره بطوله .

وقال أبو بكر الخرائطى : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسى ، حدثنا العلاء ابن الفضل بن أبى سَوِيَّة ، أخبرنى أبى عن أبيه عبد الملك بن أبى سَوِيَّة ، عن جده أبى سَوِيَّة ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سِوَاءَ بن خثعم بن سعد فقلت : كيف سماك أبوك محمداً ؟ فقال : سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال : خرجت رابعَ أربعة من بنى تميم أنا منهم ، وسفيان بن مُجَاشِعَ بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جُنْدَب ابن العقيد ، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حربوص بن مازن ، ونحن نريد ابن جَنَنَةَ ملكَ غَسَّانَ ، فلما شارقنا الشامَ نزلنا على غدير عليه شجرات فتحدَّثْنَا ، فسمع كلامنا راهبٌ ، فأشرف علينا فقال : إن هذه لغةُ ماهى بلغة هذه البلاد . فقلنا : نعم نحن قومٌ من مُضَرَ ،

(١) الأصل : تحقيه . (٢) المراتم : جمع مرتع . ومقلَّفة : بها القلفة بالكسر وهو ضرب من النبات أخضر له ثمرة صغيرة تمرص عليها الإبل . (٣) الوفا : أم الطريق . (٤) ليس في دلائل أبى نعيم المطبوعة .

قال : من أى المضرين ؟ قلنا : من خِندف . قال : أما إنه سيبعث وشيكا نبي خاتم النبیین ، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد .

قال : فرجعنا من عند ابن جَفَنَة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً .

يعنى أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطى : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدثنا حازم بن عقال ابن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السَّمَوَّال بن عاديّا ، حدثني جابر بن جدّان ابن جميع بن عثمان بن سمالك بن الحصين بن السموأل بن عاديّا قال : لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة ، اجتمع إليه قومه من غَسَّان فقالوا : إنه قد حضرك من أمر الله ماترى ، وكنا نأمرك بالتزوج في شبابك فتأبى ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك . فقال : لن يهلك هالك ترك مثل مالك ، إن الذى يُخْرِج النار من الوَيْئمة^(١) قادر أن يجعل لمالك نسلًا ورجالا بُسلاً ، وكلُّ إلى الموت .

ثم أقبل على مالك وقال : أى بنى : المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلدّد ، القبر خيرٌ من الفقر ، إنه من قلّ ذلٌّ ، ومن كثرَ فَرٌّ ، مِن كَرَم الكريم الدَفْعُ عن الحریم . والدهرُ يومان : فيومٌ لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تَبَطَّرْ ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس يثبت منهما الملك المتوّج ، ولا اللّثيم الملعُج^(٢) ، سلّم ليومك حيّاك ربك ، ثم أنشأ يقول :

شهدتُ السَّبايا يومَ آل محرق وأدرك عُمرى^(٣) صيحةَ الله فى الحجرِ

(١) الوئمة : الحجارة . (٢) الملعج : الرجل الأحمق الهذر اللثيم . اللسان ١٥٢/٣

(٣) كذا فى ١ والخصائص . وفى المطبوعة : أُمرى .

فلم أر ذا مُلْكٍ من الناسِ واحداً
فعلَّ الذي أَرَدَىٰ نُموداً وجُرْهماً
تَفَرَّجَ بِهِم من آلِ عمرو بنِ عامرٍ
فإن لم تَكُ الأيامُ أَبْلَنَ جِدَّتِي
فإن لنا رَبًّا عَلاَ فوق عَرشِهِ
ألم يَأْتِ قَوْمِي أبَ اللَّهِ دَعْوَةً
إِذَا بُعِثَ المَبْعُوثُ من آلِ غَالِبٍ
هَنَالِك فابْعُوا نَصْرَهُ بِيَلادِكُم
ولا سُوْقَةً إِلَّا إلى الموتِ والقَبْرِ
سَيُعْقَبُ لِي نَسْلاً على آخِرِ الدَّهْرِ
عَيونٌ لَدَى الدَّاعِي إلى طَلَبِ الوَثْرِ
وَشَيَّينَ رَأْسِي والمَشِيبُ مع العُمُرِ
عَالِماً بما يَأْتِي من الخَيْرِ والشرِّ
يَفوزُ بها أَهْلُ السَّعَادَةِ والْبَرِّ
بِمَكَّةَ فَيَا بَيْنَ مَكَّةَ والحِجْرِ
بَنِي عامرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ في النَصْرِ
قال : ثم قضى من ساعته .

باب فى هواتف الجان

وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان^(١)

وقد تقدم كلام شِقِّ وسَطِيحٍ لربيعه بن نصر ملك اليمين فى البشارة بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رسولٌ زكىَّ يأتى إليه الوحى من قِبَلِ الْعَلِيِّ » .
وسألتى فى المولد قول سَطِيحٍ لعبد المسيح : « إذا كَثُرَتِ التلاوة ، وغاضت بُحيرة ساوة . وجاء صاحب الهرأوة » يعنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتى بيانه مفصلاً^(٢) .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفى ، حدثنى ابن وهب ، حدثنى عمرو - هو محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال : ماسمت عمر يقول لشيء قط : « إنى لأظنه » إلا كان كما يظن .

بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل .
فدعى به . فقال له ذلك فقال : مارأيتُ كالسيوم أستقبل به رجلاً مسلماً .

(١) كان القدماء رحمهم الله يحتفلون بالنبىات التى كانت تجد لدى العامة قبولاً ورواجاً ، ولكنهم لم تكن تستحق هذا الاحتمال ، وليس لها من الناحية العلمية وزن ، إذ أن فيها مجالا واسعا للتخيل والاختلاق وأهم من ذلك أن الإسلام وهو دين يعتمد على حقائق الحياة وشهادة التاريخ لا يحتاج فى إثباته وصدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى عليها ، فكيف يستشهد بأقوال الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !

قال : فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى . قال : كنتُ كاهنهم فى الجاهلية ، قال : فما أعجبُ ما جاءتك به جنيتك ؟

قال : بينما أنا فى السوق يوماً جاءتنى أعرف فيها الفزع ، فقالت :

ألم ترَ الجنَّ وإبلاسها ، ويأسها من بعد أنكاسها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها ؟

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائم عند آلتهم جاء رجلٌ بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : يا جليح ، أمرُ نجيح رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى : يا جليح أمرُ نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله . فقامت فما نشبتنا أن قيل هذا نبى .

تفرد به البخارى .

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي ، ويقال السدوسي من أهل السراة من جبال البلقاء له حبة ووفادة . قال أبو حاتم وابن منده : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن على ، وقال البخارى : له حبة . وهكذا ذكره فى أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعى الحافظ ، والدارقطنى ، وغيرهما وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى : سواد بن قارب بالتخفيف . وقال عثمان الوقاصى : عن محمد بن كعب القرظى : كان من أشرف أهل اليمن .

ذكره أبو نعيم فى الدلائل . وقد روى حديثه من وجوه آخر مطولة بالبسط من رواية البخارى .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن

عُفان أنه حَدَّثَ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر قال : إن الرجل لعلَّ شِرَّكه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا في الجاهلية .

فسلمَّ عليه الرجل ثم جلس ، فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهنا في الجاهلية ؟

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خِلْتُ فيَّ واستقبلتني بأمرٍ ما أراءُ قلته لأحد من رعيَّتِكَ منذ وليتَ ما وليت .

فقال عمر : اللهم غَفِّرا ، قد كنا في الجاهلية على شِرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام .

قال : نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية .

قال : فأخبرني ما جاء به صاحبك . قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شِيعه^(١) فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسهما ، وإياسهما من دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها .

قال ابن إسحاق : هذا الكلام سجع ليس بشعر .

فقال عمر : عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فحن ننتظر قَسْمه أن يقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شِيعه يقول : يا ذَرِيج ، أمر نجيح ، رجل يصيح يقول لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول لا إله إلا الله .

(١) أى دونه بقليل، وشيع كل شيء : ما هو له تبع .

قال : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبتُ للجن وإبلاسها وشدّها العيسَ بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي ، حدثنا على بن منصور الأنباري ، عن محمد بن عبد الرحمن الوَقَّاصي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل ، فقبل : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المارَّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب ، الذى أتاه رِئِيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فأرسل إليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

قال : ففضب وقال : ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمتُ يا أمير المؤمنين .

فقال عمر : ياسبحان الله ! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك .

فأخبرني ما أنباك رِئِيك ^(١) بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رِئِي

فصر بنى برجله وقال : قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه

قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنِّ وتِطلابها وشدّها العيسَ بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادقُ الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدأماها كأذناها

(١) فأخبرني بإتيانك رِئِيك .

قال : قلت دعني أنام فإنني أمسيت ناعساً .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَحْبَارِهَا ^(١) وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجَنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهِمْ وَأَحْجَارِهَا
قال : قلت دعني أنام ، فإنني أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَحْسَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا خَيْرُ الْجَنِّ كَأَنْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى رَاسِهَا

قال : فقامت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلت ناقتي ، ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

أَتَانِي تَجِيٍّ بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ ^(٢) بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولُ مَنْ لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ

(١) المطبوعة : وتَحْيَارِهَا . وهو تحريف . وما أثبتته من أ .

(٢) خ ط : قَلَوْتُ . وهو تحريف ، وما أثبتته عن الأكتفا .

فَشَمَّرَتْ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطَتْ بِي، الذَّعْلَبُ الْوَجْنَاءَ عَبرَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ^(١)
وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلُهُ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَابِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَأْذُو شَفَاعَةِ سِوَاكَ بَمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ
قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالاتي فرحاً شديداً ، حتى رُئِيَ
الفرح في وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنت أشتهى أن أسمع هذا
الحديث منك ، فهل يأتيك رَيْثُكَ اليوم .

قال : أمّا منذ قرأت القرآن فلا ، ونِعِمَّ الْعِوَضُ كِتَابُ اللَّهِ مِنَ الْجَنِّ .
ثم قال عمر : كنا يوماً في حَيٍّ مِنْ قَرِيْشٍ يُقَالُ لَهُمْ آلُ ذَرِيحٍ وَقَدْ ذَبَحُوا عَجْلاً لَهُمْ
وَالْجُزَارُ يَعالِجُهُ ، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتًا مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ وَلَا نَرَى شَيْئًا ، قَالَ : يَا آلُ ذَرِيحٍ ،
أَمْرٌ نَجِيحٌ ، صَاحٌّ يَصِيحُ ، بِلِسَانٍ فَصِيحٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وهذا منقطع من هذا الوجه ويشهد له رواية البخارى . وقد تساعدوا على أن السامع
الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتابه الذى جمعه فى
هواتف الجان : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدّب ، حدثنا محمد بن عمران بن محمد
ابن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصّابى^(٢) ، عن أبيه ، عن أبي
جعفر محمد بن على قال : دخل سوادُ بن قاربِ السّدّوسى على عمر بن الخطاب رضى الله

(١) الأصل غالب . وما أثبتته عن الدلائل والوفا .

(٢) نسبة إلى وصاب بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل .

عنه فقال : نشدتك بالله ياسواد بن قارب ، هل تحسن ^(١) اليوم من كهانتك شيئاً .
فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، ما استقبلت أحداً من جلسائك بمثل
ما استقبلتني به .

قال : سبحان الله ياسواد : ما كنا عليه من شرٍ كنا أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ،
والله ياسواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجب من العجب .

قال : إى والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب . قال : فخذني .

قال : كنتُ كاهناً في الجاهلية ، فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نَجِيٌّ فضربنى برجله
ثم قال : يا سواد اسمع أقل لك ، قلت : هات . قال :

عجبت للجن وإيجاسها ^(٢) ورَحَلها العيسَ بأحلاسها
تَهْوِي إلى مكة تَبْغِي الهدى ما مؤمنوها مثلُ أرجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال : ففتمتُ ولم أحفل بقوله شيئاً . فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربنى برجله ثم
قال لى : قم يا سواد بن قارب اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

عجبت للجن وتطلابها وشدّها العيسَ بأقتابها
تَهْوِي إلى مكة تَبْغِي الهدى ما صادقُ الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشمٍ ليس المقادير كاذبابها

قال : فحرك قوله مني شيئاً ، ونمتُ . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربنى برجله
ثم قال : يا سواد بن قارب أتعقل أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبي يدعو
إلى عبادة ربه فالحق به ، اسمع أقل لك . قلت : هات . قال :

(١) لعلها : هل تحسن . بدليل قوله بعد : هل تحسن اليوم منها بشيء .

(٢) ط : وأنجاسها .

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَنَفَّرَهَا وَرَحَلَهَا الْعَيْسُ بِأُكُورِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبَغَى الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجَنِّ كَكْفَارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَائِبِهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فعلت أن الله قد أراد بي خيراً . فقممت إلى بردة لى ففتقتها ولبستها ووضعت رجلى فى غَرَزِ رِكَابِ النَّاقَةِ ، وأقبلت حتى انتهيت إلى النبی صلى الله عليه وسلم فعرض على الإسلام فأسلمت ، وأخبرته الخبر فقال : « إذا اجتمع المسلمون فأخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قتت فقلت :

أَتَانِي نَجِيجِي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
فَشَمَرْتُ عَنْ ذَيْلِ الْإِزَارِ وَوَسَّطْتُ بِي الذُّعْلَبُ الْوَجْنَاءُ عَبْرَ السَّبَاسِبِ^(١)
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَكَ مُأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنْتَكَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
قال : فسرَّ المسلمون بذلك .

فقال عمر : هل تحس اليوم منها بشيء ؟ قال : أما إذ علمنى الله القرآن فلا .
وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن حفص قال : لما ورد
سواد بن قارب على عمر قال : يا سواد بن قارب ما بقى من كهانتك ؟
ففضض وقال : ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً من العرب بمثل هذا .

(١) الذعلب : الناقة السريعة ، والوجناء : الشابة . والسباسب : جمع سبب وهى الفلاة . هذا ، وقد
حرفت فى الأصل : غير السباسب .

فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : أنظر سواد . الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمُ . ثم قال : يا سواد حَدِّثْنِي حَدِيثًا كُنْتُ أَشْتَهِي أَسْمَعُهُ مِنْكَ .

قال : نعم ، يَبْنَا أَنَا فِي إِبِلٍ لِي بِالسَّرَاةِ لَيْلًا وَأَنَا نَائِمٌ ، وَكَانَ لِي نَجِيُّ مِنَ الْجَنِّ أَتَانِي فَضْرَبَنِي بِرَجْلِهِ فَقَالَ لِي : قُمْ يَا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ فَقَدْ ظَهَرَ بِتَهَامَةِ نَبِيٍّ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . فَذَكَرَ الْقِصَّةَ كَمَا تَقْدُمُ وَزَادَ فِي آخِرِ الشَّعْرِ :

وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو قَرَابَةِ سِوَاكَ بِمَغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سِرُّ فِي قَوْمِكَ وَقُلْ هَذَا الشَّعْرُ فِيهِمْ » .

وَرَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرٍ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ يَعْلَى بْنِ عَطَاءِ الْحَارَبِيِّ ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ : كُنْتُ نَائِمًا عَلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ السَّرَاةِ فَأَتَانِي آتٌ فَضْرَبَنِي بِرَجْلِهِ . وَذَكَرَ الْقِصَّةَ أَيْضًا .

وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَرَاءِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ . قَالَ : قَالَ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ : كُنْتُ نَازِلًا بِالْهَنْدِ فَجَاءَنِي رِثِيٌّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ . وَقَالَ بَعْدَ إِنْشَادِ الشَّعْرِ الْآخِيرِ : فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ : « أَفْلَحْتَ يَا سَوَادُ » .

وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُنْذِرِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَانِيِّ قَالَ : كَانَ مِنْ أَجْلٍ يُقَالُ لَهُ مَا زَيْنُ بْنُ الْعُضُوبِ ^(١) يَسْدُنْ صِنًا بِقَرِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا سَمَايَا ، مِنْ عُمَّانَ ، وَكَانَتْ تَعْظُمُهُ بَنُو الصَّامِتِ وَبَنُو حَطَامَةَ

ومُهْرَة وهم أخوال مازن ، أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن خويص ^(١) أحد
بنى نمران .

قال مازن : فَعَتَرْنَا يوما عند الصنم عتيرةً ، وهى الذبيحة ؛ فسمعت صوتا من الصنم
يقول : يا مازن اسمع تُسَرِّ ، ظهر خير وبَطَن شر ، بُعث نبي من مُصَر ، بدين الله
الأكبر ، فدَعَّ نَحيتا من حجر ، تسلم من حرِّ سَقَر .
قال : ففزعنا لذلك فزعاً شديداً .

ثم عَتَرْنَا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : أَقبل إلىَّ أَقبل ،
تَسْمَع ما لا تَجْهَل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق مُنْزَل ، فَأَمِنْ به كي تَعْدِل ، عن حر نار
تُشْعَل ، وقودها الجندل .

قال مازن : فقلت إن هذا لعَجَب ، وإن هذا لخَيْر يُرَاد بى ، وقدم علينا رجل
من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه :
أجيبوا داعى الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت . ففُتِرَتْ إلى الصنم فكسرتَه جُذَاذاً وركبت راحلتى حتى
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدرى للإسلام ، فأسلمت ، وقلت :

كَسَّرْتُ ياجِرًا جُذَاذاً ^(٢) وكان لنا ربًّا نُطِيف به ضَلالًا بتضلالٍ
بالهاشمي هَدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مَنى على بالٍ
يا رَاكِبًا بَلَّغَن عَمْرًا وإخوتها أَنى لِمَنْ قال رَبِّى ياجِرٌ قالِ

يعنى بعمره : الصامت . وإخوتها : حطامة .

(١) دلائل النبوة : خويص بالحاء .

(٢) الأصل باجرا . وهو تحريف . وما أنبته عن الاكتفا للكلاعى . وفى الدلائل محرفة : باجرا .
والأجذاذ : جمع الجذ بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

فقلت : يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك إلى النساء وشرب الخمر ، وألححت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن السراري ، وليس لي ولد ، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتينا بالحياة ، ويهب لي ولد .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرām الحلال وبالأثم والعُهر عفةً ، وآته بالحياة ، وهب له ولدا » .

قال فأذهب الله عني ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وحفظت شطر القرآن ، ووهب لي حيّان بن مازن . وأنشأ يقول :

إليك رسول الله خبت مطيّي	تجوب الفيافي من عُمان إلى العرج
لتسفع لي يا خير من وطئ الحصى	فيغفر لي ربي فأرجع بالفالج ^(١)
إلى معشر خالفت في الله دينهم	فلا رأيهم رأي ولا شرّهم شرّجى ^(٢)
وكنت امرءاً بالخمر والعُهر مولعاً	شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفاً وخشيةً	وبالعُهر إحصانا فخصني لفرجى
فأصبحت همى في الجهاد ونيتي	فله ما صومى ولله ما حجّى

قال : فلما أتيت قومي أنبوني وشتموني ، وأمروا شاعرا لم فهجاني ، فقلت إن رددت عليه فإنما أهجو نفسي .

فرحلت عنهم فأتنتي منهم زلفة عظيمة ، وكنت القيم بأمورهم ، فقالوا : يا ابن عم : نبنا عليك أمرا وكرهنا ذلك ، فإن آيت ذلك فارجع وقم بأمورنا ، وشأنك وما تدين به .

فوجعت معهم وقلت :

كَبُغْضَ كُمْ عِنْدَنَا مَرُّ مَذَاقَتِهِ وَبُغْضُنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَبَنٌ
لَا يَفْطِنُ الدَّهْرُ إِنْ بُتَّتْ مَعَانِيكُمْ وَكَلِمَ حِينَ يُثْنَى عَيْنُنَا فَطَنُ
شَاعِرِنَا مُنَحَّمٍ عَنْكُمْ وَشَاعِرُكُمْ فِي حَدْبِنَا مُبْلَغٍ فِي شَتْمِنَا لِسْنُ
مَافِي الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا وَغَرُّ وَفِي قُلُوبِكُمُ الْبَغْضَاءُ وَالْإِحْنُ
قَالَ مَازَنُ : فَهَذَا هُوَ اللَّهُ بَعْدُ إِلَى الْإِسْلَامِ جَمِيعًا .

وروى الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ،
قال : ' إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن امرأة بالمدينة كان
لها تابع من الجن ، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط لهم ، فقالت له : لم لا تنزل
إلينا فتحدثنا ونحدثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بُعث نبي بمكة حرّم الزنا
ومنع منا القرار .

وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن علي بن
الحسين ، قال : ' إن أول خبر قديم المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأة
تدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار فقالت : ألا تنزل ؟ فقال :
لا إنه قد بُعث الرسول الذي حرّم الزنا .

وأرسله بعض التابعين أيضاً ، وسماء بابت لوزان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ،
ثم لما قدم عاتبته فقال : إني جئت الرسول فسمعتني يحرم الزنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن
عفان : خرجنا في غير إلى الشام ، قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كنا
بأفواه الشام ، وبها كاهنة ، فتعرضتنا ، فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي ، فقلت :
ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق .

ثم انصرفتُ فرجعتُ إلى مكة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله الزُّهري قال : كان الوحي يُسمع ، فلما كان الإسلام مُنعوا .

وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سعيذة لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها فضج في صدرها فذهب عقلها ، فجعل يقول من صدرها : وضع العناق ، ومنع الرفاق ، وجاء أمر لا يطاق ، وأحمد حرّم الزنا .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البَلَوِي - بمصر - حدثنا عُمارة بن زيد ، حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن مِرْدَاس بن قيس السِّدْوسِي قال : حضرت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه ، فقالت : يا رسول الله قد كان عندنا في ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها الخُلَصَة لم يُعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت : يا معشر دوس ، العجبُ العجب لما أصابني ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت . إني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة ، فقد خشيت أن أكون حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاماً أغضف له أذنان كأذني الكلب ، فكث فينا حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته ، وجعل يقول : ياويلة ياويلة يا عولة يا عولة ، ياويل غنم ، ياويل فِهْم ، من قابس النار ، الخليلُ والله وراء العقبة ، فيهن فتیان حِسان نُجَبَة .

قال : فركبنا وأخذنا للأداة وقلنا : ياويلك ماترى ؟ فقال : [هل من جارية

طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخ منا : هي والله عندى عفيفة الأم فقلنا فعجلها .
فأتى بالجارية وطاع الجبل وقال للجارية : اطرحى ثوبك واخرجى فى وجوههم ، وقال
للقوم : اتبعوا أثرها ، وقال لرجل منا يقال له أحمد بن حابس : يا أحمد بن حابس ، عليك
أول فارس . فحمل أحمد فطعن أول فارس فصرعه وانهرموا فغنمناهم . قال : فابتئنا عليهم
بيتاً وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول .

حتى إذا كان مبعثك يارسول الله قال لنا يوماً : يامعشر دؤس ، نزلت بنو الحارث
ابن كعب . فركبنا فقال لنا : اكدسوا الخيل كدساً ، واحشوا القوم رمساً ، انقوهم
غديةً ، واشربوا الخمر عشية .

قال : فلقيناهم فهزمونا وغلبونا فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك وما الذى صنعت بنا ؟
فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه ، وانتصبت أذناه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينفطر وقام .

فركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا فقال : هل لكم فى غزوة
تهب لكم عزاً وتجعل لكم حرزاً ويكون فى أيديكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أحوجنا إلى
ذلك . فقال اركبوا . فركبنا فقلنا : ماتقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسامة . ثم قال :
قفوا ، فوقفنا ثم قال : عايكم بفهم ، ثم قال ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمُضَر ، هم أرباب
خيل ونعم . ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصمة قليل العدد وفى الذمة . ثم قال لا ،
ولكن عايكم بكعب بن ربيعة وأسكنوها ضيعة عامر بن صعصعة ، فليكن
بهم الوقعة .

قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا ، فرجعنا وقلنا : ويلك ماذا تصنع بنا . قال :
ما أدرى كذبى الذى كان يصدّقنى . اسجنونى فى بيتى ثلاثاً ثم ائتونى .

ففعلنا به ذلك ثم أتيناها بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه حجرة نار ، فقال : يامعشر

دوس ، حُرست السماء وخرج خَيْرُ الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكة ، وأنا ميت ، فادفنوني في رأس جبل قناني سوف أضطرم ناراً ، وإن تركتموني كنت عليكم عاراً ، فإذا رأيتم اضطرامي وتلهي فاقذفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر : باسمك اللهم : فإني أَهْدَا وأُطْفِئ .

قال : وإنه مات فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقد قذفناه بثلاثة أحجار نقول مع كل حجر : باسمك اللهم ، نحمد وطقى .

وأقننا حتى قدم علينا الحاج فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله .
غريب جداً .

وروى الواقدي عن أبيه عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جندب ، عن النَّضْرِ بن سفيان الهذلي ، عن أبيه . قال : خرجنا في غير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومُعَانَ قد عرَّسنا^(١) من الليل ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النِّيَّام هُبُّوا ، فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد ، فطردت^(٢) الجن كل مطرد .
ففرغنا ونحن رُقَّةٌ حزاورة^(٣) كلهم قد سمع بهذا .

فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد .
ذكره أبو نعيم .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله بن محمد البَلَوِي^(٤) — بمصر حدثنا عُمَارَةُ بن زيد ،

(١) الوفا : وقد عرَّسنا .

(٢) الوفا : وطردت .
(٣) الأصل : حزورة ، وما أثبتته من الدلائل لأبي نعيم . والحزاورة جمع حزور كجعفر وهو الرجل القوى .

(٤) بفتح الباء واللام نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، اللباب ١/١٤٤ .

حدثني عبد الله بن العلاء ، حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، أن نفراً من قريش منهم ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن جحش بن رثاب ، وعثمان بن الحويرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً ، كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ، فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبواً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله ، فلم يابث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة .

فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث : ماله قد أكثر التَّنَكُّس ؟! إن هذا الأمر قد حدث . وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل عثمان يقول :

أَيَا صَنَمِ الْعِيدِ الَّذِي صُفِّ حَوَاهِ	صَنَادِيدُ وَفَدٍ مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ
تَنَكَّسْتَ مَغْلُوباً فَمَا ذَاكَ قُلْ لَنَا	أُذَاكَ سَفِيهَةٌ أَمْ تَنَكَّسْتَ لِلْعُتْبِ
فَإِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبٍ أَتَيْنَا فَإِنَّا	نَبُوءُ بِإِقْرَارٍ وَنَلَوِي عَنِ الذَّنْبِ
وَإِنْ كُنْتَ مَغْلُوباً وَنَكَّسْتَ صَاغِراً	فَمَا أَنْتَ فِي الْأَوْثَانِ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ

قال : فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله . فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم بصوت جهير وهو يقول :

تَرَدَّى لِمَوْلُودٍ أَنْارَتْ بَنُورُهُ	جَمِيعُ فُجَاجِ الْأَرْضِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
وَحَرَّتْ لَهُ الْأَوْثَانُ طُرّاً وَأَرْعَدَتْ	قُلُوبُ مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرّاً مِنَ الرَّعْبِ
وَنَارُ جَمِيعِ الْفَرَسِ بَاخَتْ وَأَظْلَمَتْ	وَقَدَبَاتُ شَاهِ الْقُرْسِ فِي أَعْظَمِ الْكَرْبِ
وَصَدَّتْ عَنِ الْكُهَّانِ بِالْغَيْبِ جِئُهَا	فَلَا تُخْبِرْ عَنْهُمْ بِحَقٍّ وَلَا كِذْبِ

فيا لقصيِّ ارجعوا عن ضلالكم وهُبُوا إلى الإسلام وَالنَّزْلَ الرَّحْبَ^(١)
قال : فَمَا سَمِعُوا ذَلِكَ خَلَصُوا نَجِيًّا ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكن
بعضكم على بعض .
فقالوا : أَجَل !

فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دينٍ ، ولقد أخطأوا الحجة
وتركوا دين إبراهيم ، ما حجرٌ تَطِيفُونَ به لا يَسْمَع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ !
يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين .
قال : فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم
عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً .
وأما عثمان بن الحويرث فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده .
وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فُحِبس .
ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى
بها راهباً عالمًا فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلب ديناً ما تجد من
يَحْمِلُك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يُبْعَث بدين الحنيفية .
فلما قال له ذلك رجع يريد مكة ففارت^(٢) عليه نَحْمٌ فقتلوه .

(١) لا يستطيع تقبل هذه الأشعار ولا الرضا بهذه الأخبار المتكلفة التي تغلب عليها النزعة الأسطورية
ولقد كان الأقدمون لا يجدون غضاضة في قتل هذه الأخبار وروايتها ، بل والسكوت عليها وكانت في
نظرهم تؤيد الدين وتخدمه ، أما في عصرنا الذي لا يقبل الخبر إلا بعد التححيص والنقد فلا تثبت أمثال هذه
الروايات أمام النظر العلمي ؛ وكل ما نريده أن يفهم القارئ أنه في حل من رفض هذه الروايات
الأسطورية ، هذا والجانب الأخير من الرواية وهو ما بعد هذا الشعر صحيح مقبول بثبته التاريخ وقد رواه
عدة ، منهم الكلاعي في الاكتفا . (٢) كذا والقياس أغارت .

وأما عبد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصّر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

تقدم في ترجمة زيد بن عمر بن نُفَيْل له شاهد .

وقد قال الخرائطي : حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوراق ، حدثنا عمرو ابن عثمان ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز ، حدثني محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن أنس السلمي ، عن العباس بن مرداس أنه كان يعرف^(١) في لِقَاح له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامه بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض مثل اللبن فقال : يا عباس بن مرداس ، ألم تر أن السماء قد كَفَّتْ أحراسها ، وأن الحرب تجرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل بالبر والتقوى ، يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ، صاحب الناقة القصوى .

قال : فرجعت مرعوباً قد راعني ما رأيت وسمعت ، حتى جئت وثناً لنا يدعى الضَّمار^(٢) وكنا نعبده ونكلم من جوفه فكُنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته فإذا صَاح من جوفه يقول :

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلَكَ الضَّمَّارُ وَفَازَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
هَلَكَ الضَّمَّارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
إِنْ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهَدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى

قال : فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر ،

(١) أي يبالغها . (٢) الأصل الضمار ، وما أثبتته من الاكتفا وابن هشام ، وفي القاموس : والضمار ككتاب .. وصنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .

وخرجت في ثلاثمائة من قومي بني حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « يا عباس كيف كان إسلامك » ؟ فقصص عليه القصة . قال فسرَّ بذلك وأسلمت أنا وقومي .

ورواه الحافظ أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي بكر بن أبي عاصم عن عمرو ابن عثمان به .

ثم رواه أيضا من طريق الأصمعي ، حدثني الوصافي ^(١) ، عن منصور بن المعتمر ، عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزازي ، عن العباس بن مرداس السلمي قال :

أول إسلامي أن مرداساً أبي ، لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال له [ضمَّار ^(٢)] فجعلته في بيت وجعلت آتية كل يوم مرة ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعت صوتاً مُرسلاً في جوف الليل راعني ، فوثبت إلى ضمَّار ^(٢) مستغيثاً ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلَّاكَ الْأَنْيَسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
أَوْدَى ضِمَارٌ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْمُهْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَرِيشٍ مُهْتَدَى

قال : فكتمته الناس ، فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إيلي بطرف العقيق من ذات عرق راقداً ، سمعت صوتاً وإذا برجل على جناح نعامه وهو يقول : النور الذي

(١) نسبة إلى وصاف وهو اسم جماعة منهم وصاف بن عامر العجلي .. ينسب إليه عبيد الله بن الوليد ابن عبد الرحمن بن قيس الوصافي يروي عن عطية وعطاء ، سمع منه يعلى بن عبيد ووکیع وغيرهما ؛ وكان منكر الحديث الباب ٢٧٥/٣ .

(٢) الأصل : ضمار وهو تحريف .

وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء في ديار إخوان بني العنقاء . فأجابه هاتف من شماله وهو يقول :

بشّر الجنّ وإبلاسها ، أن وضعت المطى أحلاسها ، وكالأت السماء أحراسها
قال : فوثبت مذعوراً وعلت أن محمداً مرسل ، فركبت فرسى واحتشت السير حتى
اتهمت إليه فبايعته ، ثم انصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار ، ثم رجعت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنشدته شعراً أقول فيه :

لعمرك إني يومَ أجعل جاهلاً	ضامراً لربّ العالمين مشاركاً
وتركي رسول الله والأوس حوله	أولئك أنصاره له ما أولئكاً
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي	ليسلك في وعث الأمور المسالكاً
فأمنت بالله الذي أنا عبده	وخالفت من أمتي يريد المهالكاً
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً	أبايع نبي الأكرمين المباركاً
نبي أئانا بعد عيسى بناطق	من الحق فيه الفصل فيه كذلكاً
أمين على القرآن أول شافع	وأول مبعوث يُجيب الملائكاً
تلاقي عري الإسلام بعد انتقاضها	فأحكمها حتى أقام المناسكاً
عنيتك يا خير البرية كلها	توسّطت في الفرعين والمجد مالِكاً
وأنت المصفي من قريش إذا سمّت	على ضميرها تبقى القرون المباركاً
إذا انتسب الحليان كعب ومالك	وجدناك محضاً والنساء العواركاً ^(١)

(١) على ذلك الشعر - مع ما فيه من ركاكة - علامات الصنعة والافتراء منها :

١ - لم يخص الأوس بالذكر مع أنهم بعد الإسلام لم يعد لهم ذكر مستقل بل هم والخزرج أنصار .
٢ - وقوله : « ووجهت وجهي نحو مكة . . » مع أنه يذكر أنه يأبى ترك رسول الله والأوس حوله
وذلك في المدينة ، ومع أنه ذكر من قبل أن ذلك كان بعد رجوع الناس من الأحزاب .
=

قال الخرائطي : وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدثنا عمارة بن زيد ، حدثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني شيخ من الأنصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة ، قال : بلغني أن رجلا من خثعم كانوا يقولون : إن مما دعانا إلى الإسلام أننا كنا قوما نعبد الأوثان ، فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم ، إذ هتف بهم هاتف يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام	من بين أشياخ إلى غلام ^(١)
ما أنتم وطائشُ الأحلام	ومُسندُ الحكم إلى الأصنام
أكلُكم في حيرة نيام ^(٢)	أم لا ترون ما الذي أمامي
من ساطعٍ يجلو دُجَى الظلام	قد لاح للناظر من تيهام
ذاك نبيُّ سيد الأنعام	قد جاء بعد الكفر بالإسلام
أكرمهُ الرحمن من إمام	ومن رسولٍ صادق الكلام
أعدلُ ذي حكم من الأحكام ^(٣)	يأمرُ بالصلاة والصيام
والبر والصلوات للأرحام	ويزجر الناس عن الآثام

٣ - وكيف علم العباس سريعا - مع أنه حديث الإسلام - أن رسول الله أول شافع وأول من تنشق عنه الأرض مع أن ذلك من التفاصيل الدقيقة التي لم تكن تقرر في ذلك الوقت ، وعلى كل فلا يستطيع حديث عهد بالإسلام أن يحيط بها .

٤ - كذلك قوله : تلاقى عرى الإسلام بعد انتقاضها .. إلا أن يفسر الإسلام بالدين عموما ، وهذا فهم خاص لا يتمكن منه العباس في ذلك الوقت . ومعنى أقام الناسكا ..
لن هذا الشعر مثل واضح للصنعة والافتراء .

(١) الاكتفا : يا أيها الناس ذوو الأجسام . ومُسند الحكم إلى الأصنام .

(٢) الاكتفا : أكلُكم أوره كالكمهام . والأوره : الأحمق .

(٣) الاكتفا : أعدل في الحكم من الحكم .

والرجس والأوثان والحرام من هاشم في ذروة السنام

* مستعلن^(١) في البلد الحرام *

قال : فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمنا .

وقال الخرائطي : حدثنا عبد الله البلوي ، حدثنا عمارة ، حدثني عبيد الله بن الملاء ، حدثنا محمد بن عكبر ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا من بني تميم يقال له رافع بن عمير ، وكان أهدى الناس للطريق وأسراهم بايل وأهجمهم على هؤل ، وكانت العرب تسميه لذلك دعووس العرب ، لهدايته وجراسته على السير ، فذكر عن بدء إسلامه قال :

إني لأسير برمل عاج^(٢) ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها وتوسدت ذراعها ونمت ، وقد تعوذت قبل نومي فقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن من أن أؤذى أو أهاج . فرأيت في منامي رجلا شابا يرصد ناقتي ويده حربة يريد أن يضعها في نحرها ، فانتبهت لذلك فرعاً فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا ، فقلت : هذا حلم . ثم عدت ففوت فرأيت في منامي مثل رؤياي الأولى ، فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم أر شيئا وإذا ناقتي ترعد ، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب ، والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام بيده حربة ورجل شيخ مسك بيده يرده عنها وهو يقول :

يامالك بن مهلهل بن دثار مهلاً فداً لك مئزرى وإزارى
عن ناقة الإنسى لا تعرض لها واختربها ما شئت من أثوارى
ولقد بدا لي منك ما لم أحسب ألا رعتى قرابتى وذمارى

(١) الاكتفا : مستعلن .

(٢) العالج : المرتفع .

تَسْمُو إِلَيْهِ بِحَرْبَةٍ مَسْمُومَةٍ تَبًّا لِفَعْلِكَ يَا أَبَا الْغَفَّارِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ أَهْلَكَ جِيرَةٌ لَعَلَّتْ مَا كَشَفْتَ مِنْ أَخْبَارِ
قال فأجابه الشاب وهو يقول :

أَأَرَدْتُ أَنْ تَعْلُو وَتَخْفُضَ ذِكْرَنَا فِي غَيْرِ مُزْرِيَةٍ أَبَا الْعِزَّارِ
مَا كَانَ فِيهِمْ سَيِّدٌ فِيمَا مَضَى إِنْ الْخِيَارُ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
فَأَقْصِدْ لِقَصْدِكَ يَا مُعْكَبِرَ إِنَّمَا كَانَ الْمَجِيرُ مَهْلِلُ بْنُ دَثَّارِ

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أنوار من الوحش فقال الشيخ للفتى :
قم يا ابن أخت نخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الإنسى . فقام الفتى فأخذ منها ثورا
وانصرف . ثم التفت إلى الشيخ فقال : يا هذا إذا نزلت واديا من الأودية نخفت هوله
فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى . ولا تعذ بأحد من الجن فقد
بطل أمرها . قال : فقلت له : ومن محمد هذا ؟ قال : نبى عربى ، لا شرقى ولا غربى ، بُعث
يوم الاثنين . قلت : وأين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبت راحلتى حين
برق لى الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة ، فرآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحدثنى بحدثنى قبل أن أذكر له منه شيئا ودعانى إلى الإسلام فأسلمت ^(١) .

قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذى أنزل الله فيه (وأنه كان رجلا من
الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) .

وروى الخرائطى من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة ، عن داود
ابن الحسين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن على ، قال : إذا كنت بواد تخاف السبع
فقل أعوذ بدانيال والجب ، من شر الأسد .

(١) وهذا أيضا مما لا يترتب على ثبوته شيء ، وهو من أساطير العزب عن الجن وما أكثرها .

وروى البَلَوَى عن عمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قتال عليّ الجَنِّ بالبئر ذات العَلَمِ التي بالجحفة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقي لهم الماء فأرادوا منعه وقطعوا الدلو فنزل إليهم ، وهي قصة مطولة منكورة جدا والله أعلم .

وقال الخرائطي : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقي ، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج ، حدثنا خالد بن سعيد ، عن السَّعْبِي ، عن رجل قال : كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكرون فضائل القرآن فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل . وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أتم عن فضيلة آية الكرسي : أما إنها سبعون كلمة في كل كلمة بركة .

قال : وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يحير جوابا ، فقال : أين أتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدثنا يا أبا ثور .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع فأقحمت فرسى في البرية فما أصبت إلا بيض النعام ، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له ، فقلت له : استأسر ثكلتك أمك . فرفع رأسه إلى وقال : يافتي إن أردت قرى فإنزل وإن أردت معونة أعناك . فقلت له : استأسر . فقال :

عرضنا عليك النزل منا تكثر ما
فلم تر عوى جهلا كفعل الأشائم
وجئت بهتان وزور ودون ما
تمنيته بالبيض^(١) حر الغلاصم

قال : ووثب إلى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت تحته .

(١) يقصد بالبيض هنا : ابنته وحريره .

ثم قال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت : بل خلّ عنى . قال : فخلّى عنى . ثم إن نفسى جاذبتنى بالمعاودة . فقلت استأسر ثكلتك أمك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فُزْنَا هنالك والرحيم به قَهَرْنَا
وما تُغْنِي جَلَادَةُ ذِي حِفَاطٍ إذا يوماً ^(١) لمعركةٍ برزْنَا

ثم وثب لى وثبة كأنى مثلت تحته . فقال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قال : قلت بل خلّ عنى . فخلّى عنى فانطلقت غير بعيد . ثم قلت فى نفسى : ياعمرو أيقهرك هذا الشيخ ! والله لأموت خير لك من الحياة ، فرجعت إليه فقلت : استأسر ثكلتك أمك . فوثب إلى وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فكأنى مثلت تحته ، فقال : أقتلك أم أخلى عنك ؟ قلت : بل خلّ عنى . فقال : هيهات ، يا جارية اثبتى بالمُدية . فأنته بالمدية فجزّ ناصيتى ، وكانت العرب إذا ظفرت برجل فجزّت ناصيته استعبدته ، فكننت معه أخدمه مدة . ثم إنه قال : ياعمرو أريد أن تركب معى البرية وليس بى منك وجل ، فإنى بيسم الله الرحمن الرحيم لوائق .

قال : فسرنا حتى أتينا وادياً أشباً مهولاً مُغولاً . فنادى بأعلى صوته بيسم الله الرحمن الرحيم . فلم يبق طير فى وكره إلا طار . ثم أعاد القول فلم يبق سبع فى مَرَبضه إلا هرب ، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بحبشى قد خرج علينا من الوادى كالنخلة السحوق ، فقال لى : ياعمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل : غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم . قال : فلما رأيتهما قد اتحدنا قلت : غلبه صاحبي باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئاً . فرجع إلى وقال : قد علمت أنك قد خالفت قولى . قلت : أجل ولست بعائد . فقال : إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم . فقلت : أجل . فلما رأيتهما قد اتحدنا

قلت : غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم ، فاتكأ عليه الشيخ فَبَعَجَه بسيفه فاشتق بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الأسود ثم قال : يا عمرو هذا غِشُّه وغله . ثم قال : أتدري من تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعة بنت السليل الجُرهمي من خيار الجن . وهؤلاء أهلها بنو عمها يفزوني منهم كل عام رجل ينصرني الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيت ما كان مني إلى الحبشي . وقد غلب على الجوع فأتيت بشيء آكله ، فأقحمت بفرسى البرية فما أصبت إلا بيض النعام ، فأتيته به فوجدته نأماً ، وإذا تحت رأسه شيء كهيئة الخشبة ، فاستلته فإذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار ، فضربت ساقيه ضربةً أبنت الساقين مع القدمين ، فاستوى على قفا ظهره وهو يقول قاتلك الله ما أغدرك يا غدار . قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلت : فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعته إرباً إرباً . قال فوجم لذلك ثم أنشأ يقول :

بالقدر نلتَ أcha الإسلام عن كُثبٍ	ما إن سمعتُ كذا في سالف العربِ
والعُجم تأنف ممما جئتَه كرمًا	تبًّا لِمما جئتَه في السيد الأربِ
إني لأعجب أني نلت قتلته	أم كيف جازاك عند الذنب لم تنبِ ؟
قرم عفا عنك مرأت وقد علقت	بالجسم منك يداه موضع العطبِ
لو كنت أخذ في الإسلام ما فعلوا	في الجاهلية أهل الشرك والصلبِ
إذا لئالتك من عدلى مُشطبة ^(١)	تدعو لذائقها بالويل والحربِ

قال : ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت : ثم إني أتيت الجارية . فلما رأيتي قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلت : قتله الحبشي ، فقالت : كذبت بل قتلته أنت بفدرك ثم أنشأت تقول :

يا عين جودى للفراس المنفوارِ ثم جودى بواكفاتٍ غِزارِ
لا تَمَلِّ البكاء إذ خانك الدهر رُبَّ بوافٍ [ذى] حقيقةٍ صبارِ
وتَقَّ وذى وقارٍ وحِلمٍ وعديلٍ الفخار يومَ الفخارِ
لَهَفَ نفسى على بقائك عمرو أسلمتكَ الأعمارُ للأقـدارِ
ولعمري لو لم تَرُمهُ بفـدر رُمْتَ ليشاً كصارِمٍ بـتارِ

قال : فأحفظنى قولها فاستللت سيفى ودخلت الخيمة لأقتلها فلم أرفى الخيمة أحداً .
فاستقت للماشية وجئت إلى أهلى .
وهذا أثر عجيب (١) .

والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم وتعلم القرآن ، وفيما تعلمه
بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوذ بها .

وقال الخرائطى : حدثنا عبد الله بن محمد البلوى ، حدثنا عمارة بن زيد ، قال :
حدثنى عبد الله بن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ،
قالت : كان زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشى بعد رجوع
أبرهة من مكة ، قالا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اصْدُقَانِ أيها القرشيان هل ولد فيكم
مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسَلِمَ ونَحِرَتْ عنه إبل كثيرة ؟ قلنا : نعم .
قال : فهل لكما علمٌ به ما فعل ؟

قلنا : تزوج امرأة يقال لها آمنة بنت وهب تركها حاملا وخرج . قال : فهل تعلمان
ولد أم لا ؟ قال ورقة بن نوفل : أخبرك أيها الملك ، إني ليلةً قد بَتَّ عند وثن لنا كنا
نطيف به ، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفا يقول :

(١) بل هو أسطورة لا سبيل إلى تصديقها .

وَلَدَ النَّبِيُّ فَذَلَّتْ الْأَمْلاَكُ وَنَأَى الضَّلَالُ وَأَذْبَرَ الْإِشْرَاكُ

ثم انتكس الضنم على وجهه فقال زيد بن عمرو بن نفيل : عندي كخبه أيها الملك . قال : هات قال : أنا في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حَمَلَ آمَنَةٍ حَتَّى أَتَيْتَ جَبَلَ أَبِي قُبَيْسٍ أُرِيدُ الْخُلُوفَ فِيهِ لِأَمْرِ رَابِنِي ، إِذْ رَأَيْتُ رَجُلًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضِرَانِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ ثُمَّ أَشْرَفَ عَلَى مَكَّةَ فَقَالَ : ذَلَّ الشَّيْطَانُ وَبَطَلَتِ الْأَوْثَانُ ، وَلَدَ الْأَمِينُ . ثُمَّ نَشَرَ ثَوْبًا مَعَهُ وَأَهْوَى بِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَرَأَيْتَهُ قَدْ جَالَ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ وَسَطَعَ نَوْرُكَ أَدْنَى يَخْتَطِفُ بَصْرِي وَهَالِي مَا رَأَيْتُ . وَخَفِقَ الْهَاتِفُ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْكَعْبَةِ ، فَسَطَعَ لَهُ نَوْرٌ أَشْرَقَتْ لَهُ تِهَامَةٌ . وَقَالَ : ذَاكَتِ الْأَرْضُ وَأَدَّتْ رِبِيعَهَا . وَأَوْمَأَ إِلَى الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْكَعْبَةِ فَسَقَطَتْ كُلُّهَا .

قال النجاشي : ويحكما أخبركما عما أصابني ، إني لنأثم في الليلة التي ذكرتما في قبة وقت خلوتي ، إذ خرج عليَّ من الأرض عنق ورأس ، وهو يقول : حَلَّ الْوَيْلُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، رَمَتْهُمْ طَيْرُ أَبَايِلَ ، بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ هَلَكَ الْأَشْرَمُ الْمُعْتَدِي الْجَرَمِ ، وولد النبي الأمي ، الْمَكِّي الْحَرَمِي ، مِنْ أَجَابِهِ سَعْدٌ ، وَمِنْ أَبَاهُ عَتِدٌ . ثُمَّ دَخَلَ الْأَرْضَ فغاب فذهبت أصبح فلم أطق الكلام ، ورمت القيام فلم أطق القيام ، فصرعت القبة بيدي ، فسمع بذلك أهلي فجاءوني فقلت : احجبوا عني الحبشة ، فحجبوهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي .

وسياتي^(١) إن شاء الله تعالى في قصة المولد رؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطوح لذلك على يدي عبد المسيح . وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه في ترجمة الحارث بن هاني بن المدلج بن ابن المقداد بن زمل بن عمرو العذري ، عن أبيه عن جده ، عن أبيه عن زمل بن عمرو العذري ،

(١) قد مر ذلك .

قال : كان لبني عُذْرَة صنم يقال له صمام ، وكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حِرَام ابن ضبة بن عبد بن كبير ^(١) بن عُذْرَة ، وكان سادنه رجلاً يقال له طارق ، وكانوا يَعْتَرُونَ عنده . فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حرام ، ظهر الحق وأودى صمام ، ودفع الشرك الإسلام . قال : ففرعنا لذلك وهالنا . فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق ياتارق ، بُعث النبي الصادق ، بوحي ناطق ، صدع صادع بأرض تهامة ، لناصر به السلامة ، ولخاذليه البدامة ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة .

قال زميل : فوقع الصنم لوجهه . قال : فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته شعراً قلته :

إليك رسول الله أَعْمَلْتُ نَصَّهَا وَكَلَّفْتُهَا حَزْناً وَغَوْرًا مِنَ الرَّمْلِ
لَأَنْصُرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا وَأَعْقِدُ حَبْلًا مِنْ حَبَالِكَ فِي حَبْلِي
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ أَدِينُ بِهِ مَا أَثْقَلَتْ قَدَمِي نَعْلِي

قال : فأسلمت وبايعته ، وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » .

ثم قال : « يا معشر العرب ، إني رسول الله إليكم وإلى الأنعام كافة ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وأني رسوله وعبده ، وأن تحجوا البيت وتصوموا شهراً من اثني عشر شهراً وهو رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نُزُلًا ، ومن عصاني كانت النار له مُنْقَلَبًا » . قال : فأسلمنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله لزم بن عمرو ومن أسلم معه خاصة ، إني بعثته إلى قومه عامداً ، فمن أسلم ففي حِزْبِ الله ورسوله . ومن أبى فله أمان شهرين . شهد على بن أبي طالب ومحمد بن مسleme الأنصاري » .

(١) الأصل : كثير وهو تحريف .

ثم قال ابن عساكر : غريب جداً^(١) .

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه : حدثنى محمد بن سعيد - يعنى عمه - قال : قال محمد بن المنكدر : إنه ذكر لى عن ابن عباس قال : هتف هاتف من الجن على أبى قبيس فقال :

قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فِهْرِ	ما أدقَّ العقول والأفهام
حين تُغْضَى لمن يعيبُ عليها	دين آبائها الحماة الكرام
حالفَ الجنَّ جنَّ بُصْرَى عليكم	ورجالَ النخيل والآطام
يوشك الخيل أن تروها ^(٢) تهادى	تقتل القوم فى حرام بهام
هل كريمٌ منكم له نفسُ حُرٍّ	ماجدُ الوالدين والأعمام
ضاربٌ ضربةً تكونُ نكالا	ورواحاً من كربة واغتمام

قال ابن عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا شيطان يكلم الناس فى الأوثان ، يقال له مسعر ، والله مخزیه » فكنوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول :

نحن قتلنا فى ثلاثٍ مسعرا	إذ سفَّه الجنَّ وسنَّ المنكرا
قممته سيفاً حساماً مشهرا	بشتمه نيننا المطهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عفريت من الجن اسمه سمج آمن بى سميته عبد الله ، أخبرنى أنه فى طلبه ثلاثة أيام » فقال على : جزاه الله خيراً يا رسول الله .

(١) وما الذى يحمل على رواية الأخبار الواهية ثم التعليق عليها بأنها غريبة جداً ! لقد كان الأولى نبذها . وفى الثابت الصحيح غنية عن الغرائب والعجائب .
(٢) ط : أن تردها . وهو تحريف .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في الدلائل قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفار ، حدثنا عباس بن الفرج الرياشي ، حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عبادة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرموت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل فسمعت هاتفا يقول :

أبا عمرو تناوبني ^(١) الشهود	وراح النوم وامتنع الهجود
لذكر عصابة سلقوا وبادوا	وكل الخلق قصرهم يبيد
تولوا واردين إلى المنايا	حياضا ليس منهلها الورود
مضوا لسبيلهم وبقيت خلفا	وحيدا ليس يسعني وحيد
سدى لا أستطيع علاج أمر	إذا ما عالج الطفل الوليد
فلأيا ما بقيت إلى أناس	وقد باتت بمهلكها تمود
وعاد القرون بذي شعوب	سواء كلهم إرم حصيد

قال : ثم صاح به آخر : يا خرب ، ذهب بك العجب ؟ إن العجب كل العجب بين زهرة ويثرب .

قال : وما ذاك يا شاحب ؟ قال : نبي السلام ، بعث بخير الكلام إلى جميع الأنام ، فخرج من البلد الحرام إلى نخيل وآطام .

قال : ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل ، والأمر المفضل ؟ قال رجل من ولد لؤي بن غالب ، بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

قال : هيهات فات عن هذا سِنِّي ، وذهب عنه زَمَنِي ، لقد رأيتني والنضر بن كنانة نرعى غرضاً واحداً ، ونشرب حلباً بارداً ، ولقد خرجت به من دَوْحَةٍ في غداةٍ شَبِمةٍ^(١) وطلع مع الشمس وغرب معها ، ويروى ما يَسْمَعُ ويُثَبِّت ما يُبْصِر ، ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف وذهب الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهلك الربا .

قال : فأخبرني ما يكون ؟ قال : ذهبت الضراء والبؤس والمجاعة ، والشدة والشجاعة إلا بقيةً في خَزَاعَةٍ . وذهبت الضراء والبؤس ، واخُلِقَ النفوس إلا بقية من الخرزج والأوس . وذهبت الخيلاء والفخر ، والنميعة والغدر ، إلا بقية في بني بكر . يعني ابن هوازن . وذهب الفعل المندّم والعمل المؤثّم ، إلا بقية في خَنَمٍ .

قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : إذا غُلِبَتِ البرّة ، وكُطِيتِ الحُرّة ، فاخرج من بلاد الهجرة ، وإذا كُفَّ السلام ، وقطعت الأرحام ، فاخرج من البلد الحرام . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : لولا أذن تسمع ، وعين تلمع ، لأخبرتكَ بما تفزع . ثم قال :

لا منامٌ هَدَأَتْهُ بنعيمٍ يا ابن غَوَاطٍ ولا صباحُ أَتانا

قال : ثم صَرَصَرَ صرصرة كأنها صرصرة حُبْلَى ، فذهب الفجر ، فذهبت لأنظر فإذا عَطَايَةٌ^(٢) وثمان ميطان .

قال : فما علمت أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

ثم رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان ابن عبادَةَ بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهْرٍ ، عن ابن عباس عن سعد بن عبادَةَ . قال : لما بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاج ، قال : فقضيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض الطريق نِمْتُ ، ففزعَت من الليل بصائح يقول :

(١) شَبِمة : باردة . (٢) العطاية : دويبة ملساء تمشي مشياً سريعاً ثم تقف .

أبا عمرو تَنَآوَبَنِ السُّهُودُ وراح النوم وانقطع الهجودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن علي ، حدثنا النضر بن سمة حدثنا أبو غزيرة محمد بن موسى ، عن العطف بن خالد الوَصَّابِي ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعت تيمياً الدَّارِي يقول : كنت بالشام حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرجت لبعض حاجتي فأدركني الليل . فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة . قال : فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمنادي ينادي لا أراه : عُدْ بالله ، فإن الجن لا تجير أحداً على الله . فقلت أيم الله [ما] تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصاينا خلفه بالحجون . فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورُميت بالشُّهب ، فانطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم .

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهبا وأخبرته الخبر . فقال الراهب : قد صدَّقوك ، يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ ، ومُهَاجِرُهُ الْحَرَمِ ، وهو خير الأنبياء فلا تُسَبِّقُ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخوصَ حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهذلي ، عن أبيه قال : كنا عند صنمنا سَوَاعٍ ، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مائتي شاة قد أصابها جَرَبٌ ، فأدنيناهما منه لنطلب بركته ، فسمعت منادياً من جوف الصنم ينادي : قد ذهب كيدُ الجن ورُمينا بالشُّهب ، لنبي اسمه أحمد .

قال فقلت غويت والله . فصَدَقْتُ وجهَ غَنَمِي مُنْجِداً إلى أهلي فرأيت رجلاً ،
فخبرني بظهور النبي صلى الله عليه وسلم .
ذكره أبو نعيم هكذا معلقاً .

ثم قال : حدثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدثنا إبراهيم بن السندی ، حدثنا النضر
ابن سلمة ، حدثنا محمد بن مسلمة الخزومي ، حدثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء
الظفري - من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه ، عن جده ، عن راشد بن
عبد ربه قال : كان الصنم الذي يقال له سَوَاع بالمعلاة من رهط تدين له هذيل وبنو ظفر
بن سليم ، فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم إلى سواع .

قال راشد : فألقيت مع الفجر إلى صنم قَبْلَ صنم سواع ، فإذا صارخ يصرخ من
جوفه : العجبُ كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب ، يحرم الزنا والربا
والذبح للأصنام ، وحُرِّست السماء ورمينا بالشهب ، العجب كل العجب . ثم هتف
صنم آخر من جوفه : ترك الضَّمارُ وكان يُعْبَدُ ، خرج النبي أحمد ، يصلي الصلاة
ويأمر بالزكاة والصيام ، والبر والصلات للأرحام . ثم هتف من جوف صنم آخر
هاتف يقول :

إن الذي ورث النبوة والهْدَى بعد ابن مریم من قريش مُهْتَدَى
نبي أتى يخبر بما سبق ، وبما يكون اليوم حقاً أو غد .

قال راشد : فألقيتُ سَوَاعاً مع الفجر وثلعبان يلحسان ماحولَه ، ويأكلان
ما يُهْدَى له ، ثم يعوجان عليه ببولهما ، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أربُّ الثَّلْبَانِ برأسه لقد ذَلَّ من بَالَتْ عليه الثَّلالبُ

وذلك عند مَخْرَجِ النبي صلى الله عليه وسلم ومُهاجره إلى المدينة وتَسَامُعِ الناس به ،

فخرج راشد حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ومعه كلب له ، واسم راشد يومئذ ظالم ، واسم كلبه راشد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « فاسم كلبك ؟ » قال : راشد ، قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم ! » وضحك النبي صلى الله عليه وسلم .

وباع النبي صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة معه ، ثم طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعةً بوهاط - ووصفها له - فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلاء من وهاط شأو الفرس ، ورُمِيَتْه ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتفل فيها وقال له « فرغها في أعلا القطيعة ولا تمنع الناس فضلها » ففعل . فجعل الماء مَعِينًا يجرى إلى اليوم ، ففرس عليها النخل . ويقال إن وهاط كلها تشرب منه ، فسمّاها الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم . وأهل وهاط يفتسلون بها . وبلغت رَمِيَّةُ راشد الرّكْب الذي يقال له ركب الحجر ، وغدا راشد على سَوَاعٍ فكسره .

وقال أبو نُعَيْم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا علي بن إبراهيم الخُزَاعِي الأَهْوَازِي ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دهاث بن إسماعيل بن مسرع بن ياسر ابن سُويْد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا أبي ، عن أبيه دهاث ، عن أبيه إسماعيل ، أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه مُسْرَع بن ياسر ، أن أباه ياسر حدثه عن عمرو ابن مُرَّة الجُهَنِي ، أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجًّا في جماعة من قومي في الجاهلية . فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جُهَيْنَةَ^(١) . فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : انقشعت الظلّماء ، وسطع الضياء ، وُبِعث خاتم الأنبياء .

(١) أشعر جهينة : جبل ينحدر على ينبع من أعلاه . معجم البلدان .

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن^(١) .
فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ،
ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعماً ، فقلت لقومي : والله ليحدثن في هذا الحى من قریش حَدَث ،
وأخبرتهم بما رأيت . فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلاً يقال له أحمد قد
بعث ، فأنتيه فأخبرته بما رأيت فقال : « ياعمرو بن مرة ، إني المرسل إلى العباد كافة أدعوهم
إلى الإسلام ، وأمرهم بحَقِّ الدماء وصلة الأرحام ، وعبادة الله ورفض الأصنام ، وحج
البيت ، وصيام شهر من اثني عشر شهراً وهو شهر رمضان ، فمن أجاب فله الجنة . ومن
عصى فله النار ، فأمن ياعمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم » .

فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، آمنت بكل ما جئت به
من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، ثم أنشدته أبياتاً قلتها
حين سمعت به ، وكان لناصم وكان أبي سادنا له ، فقمتم إليه فكسرتة ثم لحقت النبي
صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

شهدتُ بأن الله حقٌّ وأنتى لآلهة الأحجار أولُ تارك

فشمَرْتُ عن ساقٍ إزارٍ مُهاجرٍ إليك أدب الغور بعد الدَّ كادك^(٢)

لأُحِبَّ خيرَ الناسِ نفساً ووالدا رسولَ ملكِ الناسِ فوقَ الحَبائِكِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرحباً بك ياعمرو بن مرة » . فقلت : يا رسول

بأبي أنت وأُمى ، ابعث بى إلى قومي ، لعل الله أن يمنَّ بى عليهم كما مَنَّ
بك علىَّ .

(١) أبيض المدائن : قصر كسرى .

(٢) الوفا والخصائص :

فشمَرْتُ عن ساقِ الإزارِ مُهاجرًا إليك أجوبُ الدعث بعد الدَّ كادك
والدَّ كادك : الأرض المستوية

فبعتني إليهم وقال : « عليك بالقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فأتيت قومي فقلت لهم : يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة ، إني رسول من رسول الله إليكم ، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَحْذَرُكُمُ النَّارَ ، وَأَمْرُكُمْ بِحَقِّنِ الدَّمَاءَ ، وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، شَهْرٍ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً . فَمَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ . وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ ، يَامَعْشَرَ جَهِينَةَ : إِنْ اللَّهَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، جَعَلَكُمْ خِيَارَ مَنْ أَتَمَّ مِنْهُ ، وَبَغَضَ إِلَيْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مَا حَبَّبَ إِلَى غَيْرِكُمْ مِنَ الرَّفَثِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ، وَيَخْلُفُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَةِ أَبِيهِ ، وَالتَّرَاتِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ . فَأَجِيبُوا هَذَا النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي لُؤْيَ بْنِ غَالِبٍ ، تَنَالُوا شَرَفَ الدُّنْيَا وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ ، سَارِعُوا سَارِعُوا فِي ذَلِكَ يَكُونُ لَكُمْ فَضِيلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ .

فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : ياعمر بن مرة ، أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ عَيْشُكَ ! ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَرْفُضَ أَهْلَنَا وَنَفْرُقَ جَمَاعَتَنَا بِمُخَالَفَةِ دِينِ آبَائِنَا إِلَى مَا يَدْعُو هَذَا الْقُرْشِيُّ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ ؟ لَا وَلَا مَرْحَبًا وَلَا كَرَامَةً ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنْ أَيْنَ مُرَّةٌ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ لَيْسَتْ مَقَالَةٌ مِنْ يَرِيدِ صَلَاحَا

إِنِّي لَأَحْسِبُ قَوْلَهُ وَفِعَالَهُ يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحَا

أَنْسَقَهُ الْأَشْيَاخَ حَيْثُ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ ذَلِكَ لَا أَصَابَ فَلَا حَا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أَمَرَ اللَّهُ عَيْشَهُ وَأَبْكَمَ لِسَانَهُ ، وَأَكَمَهُ بَصَرَهُ .

قال عمرو بن مرة : والله مامات حتى سقط فوه ، وكان لا يجد طعم الطعام ، وعى وخرس .

وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فرحب

بهم وحبّاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق ، وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهني ، لجهينة بن زيد : إن لكم بطون الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، ترعون نباته وتشربون صافيه . على أن تقرأوا بالتحس ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وفي التّبعة والصّريمة شاتان إن اجتمعتا ، وإن تفرقتا فشاة شاة . ليس على أهل الميرة صدقة ، ليس الوردة البقة » . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضى الله عنهم .

وذلك حين يقول عمرو بن مرة :

وَيَبِّينَ بَرَهَانَ الْقُرْآنِ لِعَامِرٍ	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ
وَأَخْلَفْنَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ	كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورٌ لَجَعْنَا
وَأَفْضَلُهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ الضَّرَائِرِ ^(١)	إِلَى خَيْرٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا
بَطُونُ الْأَعَادِي بِالظُّبَى وَالْخَوَاطِرِ	أَطْعَمْنَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ
إِذَا اجْتَلَبْتَ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ	فَنَحْنُ قَبِيلٌ قَدْ بَنَى الْجَدُّ حَوْلَنَا
وَيَبِيضُ تَلَالَا فِي أَكْفٍ الْمَغَاوِرِ	بَنُو الْجَرْبِ نَقْرِيهَا ^(٢) يَأْيِدُ طَوِيلَةَ
بَسْمُرِ الْعَوَالِي وَالصَّفَاحِ الْبَوَاتِرِ	تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ تَحْمِي أَمِيرَهُمُ ^(٣)
وَدَارَتْ رَحَاها بِالْيُوثِ الْهُوَاصِرِ	إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ
كَثَلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الزُّوَاهِرِ	تَبَاجَّ مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهَهُ

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدثنا عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله ، حدثنا المُجَالِدُ بن سعيد ، والأَجَلَحُ ، عن الشَّعْبِيِّ ، حدثني شيخ من جهينة

(١) ط خ : الصرائر ، وما أثبتته عن الوفا . (٢) ط خ : نقرها ، وما أثبتته عن الوفا . (٣) الوفا : يحمون سربه .

قال : مرض منا رجل مرضاً شديداً فنقل حتى حفرنا له قبره وهياًنا أمره ، فأغنى عليه
ثم فتح عينيه وأفاق فقال : أحفرتم لى ؟ قالوا : نعم ، قال : فما فعل الفصل - وهو ابن
عم له - قلنا : صالح مرَّ آنفاً يسأل عنك . قال : أما إنه يوشك أن يُجعل فى حُفرتى ، إنه
أتانى آت حين أغنى علىَّ فقال : ابك هُبَل ، أما ترى حفرتك تُنتنل ، وأملك قد كادت
تُشكَل ؟ أرايتك إن حولناها عنك بالحول ، ثم ملأناها بالجندل ، وقذفنا فيها الفصل ،
الذى مَضَى فأجزأك ، وظن أن لن يفعل ، أتشكر لربك وتصلِّ ، وتدع دين من أشرك
وصل ؟ قال : قلت نعم . قال : قم قد برئت .

قال : فبرئ الرجل . ومات الفصل فجعل فى حفرته .

قال الجهينى : فرأيت الجهينى بعد ذلك يصلى ويسب الأوثان ويقع فيها .

وقال الأموى : حدثنا عبد الله ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مجلس
يتحدثون عن الجن ، فقال خريم بن فاتك الأسدى : ألا أحدثك كيف كان إسلامى ؟
قال : بلى .

قال : إنى يومافى طلب ذؤدلى أنا منها على أثرٍ تنصب وتُصعد ، حتى إذا كنت
بأبرق العزَّاف^(١) أنخت راحلتى وقلت : أعوذ بعظيم هذه البلدة ، أعوذ برئيس هذا
الوادى ، فإذا بهاتف يهتف بى :

ويحك ، عُدْ بالله ذى الجلالِ والمجدِ والعليا والافضلِ

ثم اتلُ آياتٍ من الأنفالِ ووحد الله ولا تُبالى

قال : فذعرت ذعراً شديداً ثم رجعت إلى نفسى فقلت :

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد فى طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . وفى الأصل والمطبوعة :
أبرق العراق وهو تحريف . وما أثبتته عن الدلائل ومعجم البلدان ٨٤/١ أوربا .

يا أيها الهاتفُ ما تقول أرشدُ عندك أم تضليل ؟

* بَيْنَ هَذَاكَ اللَّهُ مَا الْحَوِيلُ ^(١) *

قال : فقال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَثْرِبُ يَدْعُو إِلَى النِّجَاةِ

يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَبِالصَّلَاةِ وَيَرْعُ النَّاسَ عَنِ الْهِنَاتِ

قال قلت له : والله لا أبرح حتى آتية وأومن به . فنصبت رجلى في غَرْزِ

راحلتى وقلت :

أَرْشَدَنِي أَرْشَدَنِي هُدَيْنَا لَا جُعْتَ مَاعِشْتَ وَلَا عَرِيَتَا

وَلَا بَرَحْتُ سِيداً مُقِيَتَا لَا تُؤَثِّرُ الْخَيْرَ الَّذِي أُتِينَا

* عَلَى جَمِيعِ الْجِنِّ مَا بَقِيَتَا *

فقال :

صَاحِبُكَ اللَّهُ وَأَدَّى رَحَلَكَا وَعَظَّمَ الْأَجْرَ وَعَاقَى نَفْسَكَا

أَمِنَ بِهِ أَفْلَحَ رَبِّي حَقَّقَكَا وَانْصَرَهُ نَصراً عَزِيزاً نَصْرَكَا

قال : قلت : من أنت عافاك الله ، حتى أخبره إذا قدمت عليه ؟ فقال أنا ملك بن

ملك ، وأنا نقيبه على جن نصيبين . وكُفِّتَ إِبْلَكَ حَتَّى أَضْمَمَهَا إِلَى أَهْلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال : فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة والناس أرسل إلى المسجد ، والنبي صلى

الله عليه وسلم على المنبر كأنه البدر يخطب الناس ، فقلت أنبئني على باب المسجد حتى يصلي

وأدخل عليه فأسلم وأخبره عن إسلامي ، فلما أنختُ خرج إليَّ أبو ذر فقال : مرحبا

وأهلاً وسهلاً قد بلغنا إسلامك ، فادخل فصلًا . ففعلت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأخبرني بإسلامي . فقلت : الحمد لله . قال : « أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل ذلك ، وأدّى إليك إلى أهلك » .

وقد رواه الطبراني ^(١) في ترجمة خريم بن فاتك من معجمه الكبير قائلاً : حدثنا الحسين بن إسحاق اليسيرى ، حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى ، حدثنا عبد الله بن موسى الإسكندرى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى ، عن أبي هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ؟ قال : بلى .

فذكره ، غير أنه قال : نخرج إلى أبو بكر الصديق فقال : ادخل ، فقد بلغنا إسلامك ، فقلت : لا أحسن الظهور . فعلمنى ، فدخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه البدر وهو يقول « مامن مسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويعقها إلا دخل الجنة » .

فقال لى عمر : لتأتين على هذا بيينة أو لأنك كن بك . فشهد لى شيخ قریش عثمان بن عفان فأجاز شهادته . ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، عن محمد بن تيم ، عن محمد ابن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثنى بحديث يعجبنى . فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشى الدمشقى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شَرَحْبِيل ، حدثنا إسماعيل بن عيش ، عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى ، عن عبد الله بن الديلمى ، قال : أتى رجل ابن عباس فقال : بلغنا أنك تذكر سَطِيحًا ، تزعم أن الله خلقه ، لم يخلق من بنى آدم شيئاً

(١) هذه الرواية ليست في ١ .

يشبهه؟ قال : قال : نعم إن الله خلق سطيحاً الغساني لهما على وضمن^(١) ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمة ، والكفان . وكان يُطَوَّى من رجله إلى ترقوته كما يُطَوَّى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه . فلما أراد الخروج إلى مكة مُجِلَّ على وضمة فأتى به مكة ، فخرج إليه أربعة من قريش : عبد شمس ، وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي ، والأحوص بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتموا إلى غير نسبهم وقالوا : نحن أناس من جُحَم أتيناك ، بلغنا قدومك فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا . وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية ، وصعدة رُدَيْنِيَّة ، فوضعت على باب البيت الحرام ، لينظروا أهل يراها سطيح أم لا .

فقال : ياعقيل : ناولني يدك . فناوله يده فقال : ياعقيل والعالم الخفيَّة ، والغافر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك لَجَائِي بالهدية ، الصفيحة الهندية ، الصعدة الردينية . قالوا : صدقت ياسطيح . فقال : والآتي بالفرح ، وقوس فَرْح ، وسائر الفرح ، واللَّطِيم المنبطح ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرَّ سنح ، فأخبر أن القوم ليسوا من جُحَم ، وأن نسبهم من قريش ذى البطح ، قالوا : صدقت ياسطيح نحن أهل البيت الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا وما يكون بعده ، فاعل أن يكون عندك في ذلك علم .

قال : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يامعشر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشون عقيمكم ذوو فهم ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الردم ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم .

(١) الوض : شراع من جريد النخل .

قالوا : يسطيح فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذى الأركان ، والأمن والسكان ، لينشأن من عقبكم ولدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرون عبادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن ، وينشرون دين الديان ، يشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان .

قالوا : يسطيح من نسل من يكون أولئك ؟

قال : وأشرف الأشراف ، والمفضى للأشراف ، والمزعزع الأحقاف ، والمضعف الأضعاف ، لينشؤن الألاف من عبد شمس وعبد مناف ، نشوءا يكون فيه اختلاف .

قالوا : يأسوءتاه يسطيح مما تخبرنا من العلم بأمرهم ، ومن أى بلد يخرج أولئك ؟ فقال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرُجَنَّ من ذا البلد ، فتى يهذى إلى الرشد ، يرفض يغوث والفند ، يبرأ من عبادة الضد ، يعبد رباً انفراد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفى السماء مشهوداً . ثم يلى أمره الصديق إذا قضى صدق ، فى رد الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلى أمره الحنيف ، مجرب غطريف ، ويترك قول العنيف ، قد ضاف المضيف ، وأحكم التحنيف . ثم يلى أمره داعياً لأمره مجرباً ، فتجتمع له جموعاً وعصباً ، فيقتلونه نعمة عليه وغضباً ، فيؤخذ الشيخ فيذبح إرباً ، فيقوم به رجال خُطباً . ثم يلى أمره الناصر ، يخلط رأى برأى الناكِر ، يظهر فى الأرض العساكر ، ثم يلى بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده ، ويأخذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال بعقبه من بعده ، ثم يلى من بعده عدة ملوك ، لا شك الدم فيهم مسفوك ، ثم بعدهم الصعلوك ، يطويهم كطى الدرنوك ^(١) . ثم يلى من بعده عظمور ^(٢) يقضى الحق ويدنى مصر ، يفتح الأرض افتتاحاً منكراً ، ثم يلى قصير القامة ، بظهره علامة ، يموت موتاً وسلامة . ثم يلى قليلاً باكر ، يترك الملك بأمر ، يلى أخوه بسنته سائر ، يختص بالأموال والنابر ثم يلى من بعده أهوج ،

(١) الدرنوك : نوع من البسط له خمل . (٢) الموجود فى المعاجم : عظيم كإردب ، وهو القوى الغليظ

صاحب دنيا ونعيم مخلص ، يتشاوره معاشره وذووه ، ينهضون إليه يخلعوناه يأخذ الملك ويقتلوناه ، ثم يلى أمره من بعده السابغ ، يترك الملك محلا ضائع ، بنوه فى ملكه كالمشوه جامع ، عند ذلك يطمع فى الملك كل عريان ، ولى أمره اللفهان . يرضى نزاراً جمع قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان بين بنيان ولبنان ، يصنف اليمين يومئذ صنفان : صنف المشورة ، وصنف الخذول . لا ترى إلا حباء محلول . وأسيراً مغلول ، بين القرباب والخيول . عند ذلك تحرب المنازل وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل ، وتظهر الزلازل ، وتطالب الخلافة وأئل ، فتغضب نزار ، فتندو العبيد والأشرار ، وتقصى الأمثال والأخبار . وتغلو الأسعار فى صفر الأصفار يقتل كل حيا منه ، ثم يسرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصدله الأنهار ويهزمهم أول النهار ، تظهر الأخبار فلا ينفعهم نوم ولا قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يحىء الرماة تلف مشاة ، لقتل الكماة ، وأسرى الحماة . وتهلك الفواة ، هنالك يدرك فى أعلى المياه . ثم يبور الدين ، وتقلب الأمور ، وتكفر الزبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا من كان فى جزائر البحور ، ثم تبور الحبوب ، وتظهر الأعاريب ، ليس فيهم معيب ، على أهل الفسوق والريب ، فى زمان عصيب ، لو كان للقوم حيا ، وما تغنى المنى .

قالوا : ثم ماذا يسطيح ؟ قال : ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتى .

وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وما تضمن من الفتى والملاحم ^(١) .

وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك تقدم قصة سطيح مع ابن أخته عبد المسيح ، حين أرسله ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . وذلك ليلة مولد الذى نسخ بشريعتة سائر الأديان .

(١) بل هو هذيان ما كان ينبغى أن يسطر فى الكتب . وما أشبهه بتنبؤات الفلكيين !

باب كيفية بدء الوحي

﴿ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم ﴾

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة .
وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث ، عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :
أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة^(١) في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان^(٢) يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها .

حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطَّننى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطَّننى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطَّننى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خالق . خلق الإنسان من علقٍ ، اقرأ وربك الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم » .

(١) البخارى : الصالحة . (٢) البخارى : وكان .

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بِرَجْفٍ فَوَّادِهِ ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زَمَّلُونِي زَمَلُونِي . فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ .

فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : لقد خَشِيتُ على نفسي .

فقال خديجة : كلا ؛ والله لا يَخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا . إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمَ وتَقْرَى الضَّيْفَ ، وتحمل الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءًا قد تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخًا كبيرًا قد عمى .

فقال له خديجة : يا بن عم ! اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعًا ، ليتني أكون حيًّا ، إذ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ يُخْرِجُنِي هُمْ ؟ ! » فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي وفَتَرَ الوحي ^(١) فترة . حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنًا غَدَاً منه مَرَارًا كى يتردَّى من رؤوس شواهد الجبال . فكلما أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَسَكى يَاقِي نَفْسَهُ تَبَدَّى له جبريل فقال : يا محمد ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا . فيسكن لذلك جأشه ، وتقرُّ نفسه ، فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحي غَدَا كمثل ذلك . قال : فإذا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جبريل فقال له : مثل ذلك .

هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخارى .

(١) إلى هنا رواية البخارى في صحيحه في باب بدء الوحي ٣/١

قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض : فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني . فأنزل الله « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرُّجُزَ فاهجر » فحى الوحي وتتابع . ثم قال البخاري : تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح ، يعني عن الليث ، وتابعه هلال ابن رَدَّاد^(١) عن الزهري . وقال يونس ومُعَمَّر : - بوارده^(٢) .

وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه ، وتكلمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي إسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة .

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومُعَمَّر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ، والله الحمد ، وانتهى سياقه إلى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة « أول ما بُدِيَ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » يقوَّى ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمير الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ ففَتَّنِي ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني » وذكر نحو حديث عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عُقبة عن الزهري ، أنه رأى ذلك في المنام ، ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : في كتابه « دلائل النبوة » : حدثنا محمد بن أحمد

(١) الأصل والمطبوعة : داود . وهو تحريف (٢) أى ترجف بوارده بدل رواية : يرجف فؤاده .

ابن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جناب بن الحارث ، حدثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ، ثم ينزل الوحي بعد^(١) . وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده .

ذكر عمره عليه الصلاة والسلام

وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فخيرت نبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا يتنافى هذا . فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكّل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بجراء ، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطّه ثلاث مرات ، فحكّت عائشة ما جرى له مع

(١) ليس في دلائل النبوة المطبوع .

جبريل ولم نَحْكُ ما جرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين .

وهكذا روى يحيى بن سعيد ، وسعيد بن المسيب .

ثم روى أحمد عن غُندَر ، ويزيد بن هارون ، كلاهما عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا عمَّار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب قبل بعثته . فمن ذلك ما فى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » . انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والافراد عن قومه ، لما يراه عليه من الضلال المبين ، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام ، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيماء الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة .

وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير . مثل ذلك .

وهذا يدل على أن هذا كان عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة . وهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وَتَوَرَّ وَمِنْ أَرْضِي ثَبِيراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْتَقِيَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ
هكذا صوّبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمهم الله ، وقد تصحّف على بعض الرواة فقال فيه : وراق ليرق في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحراء يُقَصَّر ويمدّ ، ويصرف ويمنع ، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المارّ إلى منى ، له قُلة مشرفة على الكعبة منحنية ، والفار في تلك الحنية . وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج :

فلا وربّ الأماناتِ القطنِ وربّ ركنٍ من حراءٍ مُنْحَنِ

وقوله في الحديث : « والتحنّث : التعبد » تفسير بالمعنى ، وإلا لحقيقة التحنّث من حيث البنية^(١) فيما قاله السهيلي : الدخول في الحنّث . ولكن سمعت ألفاظ قليلة في

(١) الأصل والمطبوعة : من حنّث البنية . وفي ١ : من حنّث الثنية وكلاه تحريف .

اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كتحنث أى خرج من الحنث . وتحوَّب وتخرج
وتأثَّم . وتهجد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة . وتنجس وتقذر . أوردها أبو شامة .
وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله « يتحنث أى يتعبد » . فقال : لا أعرف هذا ، إنما
هو يتحنف من الخنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

قال ابن هشام : والعرب تقول : التحنث والتحنف . يبدلون الفاء من الثاء ، كما
قالوا جَدَفَ وجذَف ، كما قال رؤبة :

* لو كان أحجارى مع الأجذاف *

يريد الأجداث .

قال : وحدثني أبو عبيدة ، أن العرب تقول فُمَّ فى موضع مُمَّ .
قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين : « وفومها » أن المراد ثومها .

وقد اختلف العلماء فى تعبدّه عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا ؟
وما ذلك الشرع ؟

ف قيل : شرع نوح .

وقيل : شرع إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى .

وقيل موسى . وقيل عيسى .

وقيل : كل ما ثبت أنه شرعٌ عنده اتبعه وعمل به .

ولبسَط هذه الأقوال ومناسبتها مواضع آخر فى أصول الفقه والله أعلم .

وقوله « حتى نجّاه الحق وهو بقار حراء » أى جاء بفترة على غير موعد ، كما قال تعالى :

« وما كنتَ تَرَجُو أن يُلقَى إليك الكتاب إلا رحمةً من ربك ^(١) » الآية .

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ،
وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير وكما سيأتى أيضا ، في
يوم الاثنين .

كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يومٌ ولدتُ فيه ، ويومُ أنزلَ
عليَّ فيه » .

وقال ابن عباس : ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبيُّ
يوم الاثنين .

وهكذا قال عُبَيْد بن عُمَيْر وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه عليه الصلاة
والسلام أوحى إليه يوم الاثنين ، وهذا مالا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الأول ، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد
عليه السلام ، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين ، وفيه بعث ، وفيه عُرج به
إلى السماء .

والشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عُبَيْد
ابن عُمَيْر ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

وقال ابن إسحاق مستدلا على ذلك بما قال الله تعالى : « شهرُ رمضان الذي أنزلَ
فيه القرآن هدى للناس » فقيل : في عشره .

وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قل : كان ابتداء الوحي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وقيل في الرابع
والعشرين منه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا عمران أبو العوام ، عن قتادة عن أبي المليح ، عن وائل بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت صُحُف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه .
ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين .

وأما قول جبريل « اقرأ » فقال : « ما أنا بقارى » فالصحيح أن قوله « ما أنا بقارى » نفى ، أى لست ممن يُحسن القراءة . ومن رجّحه النووى وقبّله الشيخ أبو شامة .

ومن قال إنها استفهامية فقله بعيد ، لأن الباء لا تزداد في الإثبات .

ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو خائف يُرعد : « ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما أقرأ » فأخذه جبريل فغتنه غتاً شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد صلى الله عليه وسلم « ما أرى شيئاً أقرأه ، وما أقرأ ، وما أكتب » .

يروى : « ففطنى » كما فى الصحيحين « وغتنى » ويروى « قد غتنى » أى : خفنى « حتى بلغ منى الجهد » يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع . وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطابى : وإنما فعل ذلك به ليلاؤه صبره ويحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ، ولذلك كان يعتره مثل حال المحموم ، وتأخذه الرُحْضاء أى : البهر والعرق .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأمر : منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقى إليه بعد هذا

الصنيع المُشَقَّ على النفوس . كما قال تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ^(١) . ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمرُّ وجهه ، ويفطُّ كما يغطُّ البكر من الإبل ، ويتفصَّد جبينه عرفاً في اليوم الشديد البرد .

وقوله : « فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يَرْجُفُ فؤاده » . وفي رواية : « بواده » جمع بادرة . قال أبو عبيدة : وهي لحة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هي عروق تضطرب عند الفزع .

وفي بعض الروايات ترجف بآدله ، واحدها بادلة . وقيل بادل ، وهو ما بين العنق والترقوة . وقيل أصل الندى . وقيل : لحم الثديين . وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » ، فلما ذهب عنه الرَّوْع قال لخديجة : « مالي ؟ أيُّ شيء عَرَضَ لي ؟ ! » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خَشِيتُ على نفسي » وذلك لأنه شاهدَ أمراً لم يَعهده قبل ذلك ، ولا كان في خلقه .

ولهذا قالت خديجة : أبشر ، كلاً والله لا يخزيك الله أبداً . قيل : من الخزي ، وقيل : من الحزن .

وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميلَ العوائد في خلقه ، أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يُخْزَى في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة . فقالت : « إنك لتصل الرَّحْمَ وتَصْدُقُ الحديث » وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند المواقف والمفارِق .

« وَتَحْمِلُ الْكَلَّ » أي عن غيرك ، تعطى صاحب العيلة ما يريحه من ثقل

مؤنة عياله .

« وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ » أى تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك . ويسمى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة ، فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم :

ليس من مات فاستراح بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
وقال أبو الحسن التهامي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم :

عُدَّ ذَا الْفَقْرِ مَيِّتًا وَكِسَاهُ كَفَنًا بَالِيًا وَمَأْوَاهُ قَبْرًا

وقال الخطابي : الصواب « وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ » أى تبذل إليه أو يكون تكسب المعدوم بعطيته^(١) مالا يعيش به .

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني أن المراد بالمعدوم ههنا المال المُعْطَى ، أى يعطى المال لمن هو عادمه .

ومن قال إن المراد أنك تَكْسِبُ بِاتِّجَارِكَ الْمَالَ الْمَعْدُومَ ، أو النفيس القليل النظير ، فقد أبعد النجمة ، وأغرّق في النَّزْعِ ، وتكلّف ما ليس له علم ، فإن مثل هذا لا يُمدّح به غالباً ، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم .
« وَتَقْرَى الضَّيْفَ » أى تكرمه في تقديم قراه ، وإحسان مأواه .

« وتعين على نوائب الحق » ويروى « الخير » ، أى إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش .
وقوله : « ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى » .

وقد قدّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ، وأنه كان ممن نصّر في الجاهلية ، ففارقهم وارتحل إلى الشام ، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ،
(١) معرفة بالأصل : أو يكون تلبس العدم بعطية .

وعُبِّدَ الله بن جحش ، فتنصروا كلهم ، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق .
إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتخبیطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً ،
فأبَتْ فطرته الدخول فيه أيضاً ، وبشره الأخبار والرهبان بوجود نبي قد أُرِفَ زمانه
واقترَبَ أوانه .

فرجع يتطلب ذلك ، واستمر على فطرته وتوحيده . لكن اختَرَمَتْهُ المنية قبل
البعثة الحمدية .

وأدرَكها ورقة بن نوفل وكان يتوسَّمها في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قدمناه ،
بما كانت خديجة تنمُّته له وتصفه له ، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة
وما ظهر عليه من الدلائل والآيات .

ولهذا لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به إليه ، فوقفت
به عليه وقالت : ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فلما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبر مارأى ، قال ورقة : سُبُوحٌ سُبُوح ، هذا الناموس الذي أنزل على موسى .

ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكحلة
لشريعة موسى عليهما السلام ، ونَسَخَتْ بعضها على الصحيح من قول العلماء . كما قال
﴿ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(١) .

وقول ورقة هذا كما قالت الجن : ﴿ يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) .

ثم قال ورقة : « ياليتني فيها جَدَا » أى ياليتنى أكون اليوم شاباً متمكناً من
الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح .

(١) سورة آل عمران ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٣٠

« ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك » يعنى حتى أخرج معك وأنصرك .
 فعندَهَا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ تُخْرِجَنِي هَمْ ؟ » قال الشَّهِيلُ :
 وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، فقال : « نعم ! إنه لم يأتِ أحدٌ
 بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يُدْرِكْنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نصراً مؤزراً » أى أنصرك
 نصراً عزيزاً أبداً .

وقوله « ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أن توفى » أى توفى بعد هذه القصة بقليل ، رحمه الله
 ورضى عنه ، فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديقٌ بما وجد ، وإيمانٌ بما حصل من الوحي ،
 ونيةٌ صالحةٌ للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة^(١) ، حدثني أبو الأسود ، عن
 عروة ، عن عائشة ، أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل
 فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثيابَ بياضٍ ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه
 ثيابَ بياضٍ » .

وهذا إسناد حسن ، لكن رواه الزُّهْرِيُّ وهشام عن عروة مرسلًا . فالله أعلم .
 وروى الحافظ أبو يعلى ، عن شريح بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن
 الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل
 فقال : « قد رأيته فرأيت عليه ثيابَ بياضٍ ، أبصرته في بطنان الجنة^(٢) » وعليه السندس .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال « يبعث يوم القيامة أمةً وحده » .
 وسئل عن أبي طالب فقال : « أخرجته من غمرة من جهنم إلى صحصحاح منها » .
 وسئل عن خديجة ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ، فقال : « أبصرتها

(١) بطنان : كل شيء وسطه .

على نهر في الجنة في بيت من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ .

إسناد حسن ، ولبعضه شواهد في الصحيح . والله أعلم .

~~و~~ وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن

هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تسبوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » . ~~و~~

وكذا رواه ابن عساکر من حديث أبي سعيد الأشج ، عن أبي معاوية ، عن هشام ،

عن أبيه ، عن عائشة ، وهذا إسناد جيد . وروى مُرسلاً وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما . « دلائل النبوة » من حديث

يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شرحبيل ، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خشيتُ

والله أن يكون لهذا أمر » .

قالت : معاذ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدّي الأمانة ، وتصل

الرحم ، وتصدّق الحديث .

فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكرت له خديجة فقالت :

ياعتيق اذهب مع محمد إلى ورقة .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده أبو بكر . فقال : انطلق بنا إلى

ورقة . قال : « ومن أخبرك ؟ » قال : خديجة . فانطلقا إليه فقصّا عليه . فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « إني إذا خلوت وحدي سمعتُ نداءً خلني : يا محمد يا محمد . فانطلق

هارباً في الأرض » . فقال له : لا تفعل . إذا أتاك فابثت حتى تسمع ما يقول لك ، ثم

اتنني فأخبرني .

فلما خلا ناداه : يا محمد ، قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) حتى بلغ (ولا الضالين) قل : لا إله إلا الله . هذا حديث مرسل فيه غرابة .
فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر . فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابنُ مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبي مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك .
فلما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة .

هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل ، وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل .
وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغامة تظله في هجير القيظ ، فقال ورقة في ذلك أشعارا قدمناها قبل هذا ، منها قوله :

لَأْمُرِ طَالِمًا بَعَثَ النَّشِيجَا	كَلَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ الْجَوْجَا
فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا	وَوَصَفٍ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصَفٍ
حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا	يَبْطُنُ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي
مِنْ الرِّهْبَانِ أَكْرَهَ أَنْ يَعُوجَا	بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ
وَيَنْخَصِمُ مِنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا	بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا
يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَعُوجَا	وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نَوْرٍ
وَيَلْقَى مِنْ يَسَالِهِ فُلُوجَا	فَيَلْقَى مِنْ يَحَارِبِهِ خُسَارًا
شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا	فَيَالَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم

ولوجاً في الذي^(١) كرهت قریش
أرجى بالذي كرهوا جميعاً
فإن يبقوا وأبق تكن^(٢) أمور
وقال أيضاً في قصيدته الأخرى :

وأخبارِ صدقٍ خُبرت عن محمدٍ
بأن ابنَ عبد الله أحمد مرسل
وظنى به أن سوف يُبعث صادقاً
وموسى وإبراهيم حتى يُرى له
ويتبعه حياً لؤى بن غالبٍ
فإن أبقى حتى يدرك الناس دهره
وإلا فإنى يا خديجة فاعلمى
يُخبرها عنه إذا غاب ناصحُ
إلى كلٍّ من ضمت عليه الأباطحُ
كما أرسل العبدان : هودٌ وصالحُ
بهاء ومنشور من الحق واضح
شبابهم والأشيبون الجحاحُ
فإنى به مستبشر الود فارحُ
عن أرضك في الأرض العريضة سائحُ

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق : قال ورقة :

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمى
وجبريلُ يأتيه وميكال معهما
يفوز به من فاز فيها بتوبة
فريقان منهم فرقة في جنانه
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعُ
فسبحان من تهوى الرياح بأمره
ومن عرشه فوق السموات كلها
حديثك إيانا فأحمدُ مرسلُ
من الله وحى يشرح الصدر منزلُ
ويشقى به العاني الغرير المضللُ
وأخرى بأحوال الجحيم تُعملُ
مقامعُ في هاماتهم ثم تُشعلُ
ومن هو في الأيام ما شاء يفعلُ
وأفضاؤه في خلقه لا تُبدلُ

(١) خ ط : ولو كان الذى . وما أثبتته هو الرواية المتقدمة لابن كثير ، وهى الموافقة لابن هشام والصحيحة أيضاً .

(٢) المضبوغة : يكن أموراً ، وهو تحريف .

وقال ورقة أيضاً :

يا للرجالِ وصَرَفِ الدهرِ والقَدَرِ
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها
وخبرتنى بأمرٍ قد سمعتُ به
بأن أحمداً يأتيه فيخبره
فقلت عـلَّ الذي ترَجِّين يُنجزه
وأرسله إلينا كـي نـسألـه
فقال حين أتانا منطِقاً عجباً
إني رأيت أمينَ الله واجهني
ثم استمرَّ فكاد الخوفُ يُدعرنى
فقلت ظنَّي وما أدري أيـضـدُفـني
وسوف يُبليـك إن أعلنت دعوتهم

وما لشيء قضاة الله من غـيـرِ
أمرأ أراه سيأتى الناسَ من آخرِ
فيما مضى من قديم الدهرِ والعصرِ
جبريلُ أنك مبعوثٌ إلى البشرِ
لك الإله فرَجِّى الخيرَ وانتظري
عن أمره ما يرى فى النومِ والسهـرِ
يقفُ منه أعالى الجلدِ والشعرِ
فى صورةٍ أكملت من أعظمِ الصُورِ
مما يسلِّمُ من حـوْلِى من الشجرِ
أنْ سوف يُبعثُ بتلو مُنزلِ السُورِ
من الجهادِ بلا منٍّ ولا كـدَرِ

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي فى الدلائل وعندى فى صحتها عن ورقة نظر
والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية
التقى - وكان واعية^(١) - عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته^(٢) أبعد حتى يحسر البيوت^(٣)

(٢) المطبوعة : الحاجة . وهو تحريف .

(١) المطبوعة داعية . وهو تحريف .

(٣) خ ط : الثوب . وهو تحريف شنيع .

عنه ويُقضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

قال : فإلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجرَ والحجارة ، فكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهبُ بن كيسان مولى آل الزبير ، قال سمعت عبدَ الله ابن الزبير وهو يقول لعُبَيْد بن عُمَيْر بن قَتَادَةَ اللَّيْثِي : حَدَّثَنَا يَا عُبَيْد : كيف كان بدءُ ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبَيْد وأنا حاضر ، يحدث عبدَ الله ابن الزبير ومن عنده من الناس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنَّثُ . قال : وكان ذلك مما تحنَّثُ ^(١) به قريش في الجاهلية ، والتحنَّثُ : التبرُّر .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور ذلك الشهر من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنَّة التي بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى .

(١) خ ط : يحبب . وهو تحريف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً ^(١) منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى .

فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علقٍ . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

قال : فقرأتها ثم انتهى وانصرف عني ، وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا .

قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

قال : فرفعت رأسى إلى السماء ، فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه في آفاق السماء فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك .

فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رُسَلَهَا في طلبى ، فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى نخذها مضيضا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رُسلى في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلى .

(١) ط : اقتدا وهو تحريف .

ثم حَدَّثَها بالذى رأيتَ فقالت : أبشريا ابن العم واثبُتْ ، فوالذى نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ورقة : قَدْؤوس قَدْؤوس ، والذى نفسُ ورقة بيده لئن كنتِ صدَّقْتَنِي يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، وقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقى ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتُسَكِّدَنَّه ولتُوذِّنْه ولتُخْرِجْه ولتقاتلنه ^(١) ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

وهذا الذى ذكره عُبَيْد بن عُمَيْر كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة ، كما تقدم من قول عائشة رضى الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَاقِ الصبح .

ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه فى اليقظة صبيحة ليلته . ويحتمل أنه كان بعده بمدة . والله أعلم .

(١) الماء هنا لاسكت .

وقال موسى بن عُقبة : عن الزُّهْرِي عن سعيد بن المسيَّب ، قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى أراه رؤيا فى المنام ، فشقَّ ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجة ، فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت : أبشرفان الله لم يصنع بك إلا خيراً .

ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنه شقَّ ثم غسل وطهر ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خير فأبشر .

ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة فأجاسه على مجلس كريم مُعْجَب ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أجلسنى على بساط كهيفة الدُرُّنُوكِ^(١) ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشَّره برسالة الله عز وجل ، حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل اقرأ . فقال : كيف اقرأ ؟ فقال : « اقرأ باسم ربِّك الذى خلقَ ، خلقَ الإنسان من علقٍ اقرأ وربُّك الأكرمُ ، الذى علَّمَ بالقلم ، علَّمَ الإنسان ما لم يَعْلَمْ » .

قال : ويزعم ناس أن « يا أيها المدثر » أول سورة نزلت عليه والله أعلم .

قال : فقَبِلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه واتَّبع ما جاء به جبريل من عند الله .

فلما انصرف مُنْقَلِباً إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلا سلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرايتك التى كنتُ حدِّثُكَ أنى رأيتَه فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلن إلىَّ ، أرسله إلى ربى عز وجل . وأخبرها بالذى جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشرفوا الله لا يفعل

(١) الدرنوك : نوع من البسط له خل .

الله بك إلا خيراً ، واقبل الذى جاءك من أمر الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها ، فأتت غلاماً لعُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس ، نصرانياً من أهل نَيْنَوَى يقال له عَدَّاس فقالت له : يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتنى : هل عندك علم من جبريل ؟ فقال : قدوس قدوس ، ما شأن جبريل يُذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرنى بعلمك فيه . قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما ألقاه إليه جبريل ، فقال لها ورقة : يا بُنَيَّة أختى ، ما أدرى لعل صاحبك النبى الذى ينتظر أهل الكتاب الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حى لأبلىن الله فى طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر .

فمات ورقة رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ البيهقى بعد إيراده ما ذكرناه : والذى ذكر فيه من شق بطنه يُحتمل أن يكون حكاية منه لما صنّع به فى صباه ، يعنى شق بطنه عنه حليمة ، ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء . والله أعلم .

وقد^(١) ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان

التيمي قال :

(١) من هنا إلى وقال البيهقى حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة .

بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة .
وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ
ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فوالله لا يفعل الله بك
إلا خيراً .

فبينما هو ذات يوم في حراء ، وكان يفرُّ إليه من قومه ، إذ نزل عليه جبريلُ ،
فدنا منه ، فخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة شديدة ، فوضع جبريلُ يده
على صدره ومن خلفه بين كتفيه ، فقال : اللهم احططْ وزَّره ، واشرح صدره ، وطهر
قلبه ، يا محمد أبشر ! فإنك نبي هذه الأمة ، اقرأ . فقال له نبي الله : وهو خائف يُرعد :
ما قرأتُ كتاباً قط ولا أحسنه ، وما أكتب وما أقرأ .

فأخذه جبريل فغتنَّ غتاً شديداً ثم تركه ، ثم قال له : اقرأ . فأعاد عليه مثله .
فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت
وقال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » الآيات ، ثم قال له : لا تحف يا محمد ، إنك
رسول الله .

ثم انصرف ، وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم همه ، فقال : كيف أصنع
وكيف أقول لقومي ؟ !

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه وهو في
صعرتة ^(١) ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً عظيماً ملاً صدره ، فقال له جبريل :
لا تحف يا محمد ، جبريل رسول الله ، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله ، فأيقن بكرامة
الله فإنك رسول الله .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد

(١) أي عظمته .

يقول : السلام عليك يا رسول الله . فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه . فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغير لونه ، فأفزعها ذلك ، فقامت إليه ، فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول : لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم .

فقال : يا خديجة أرايت الذى كنت أرى فى المنام والصوت الذى كنت أسمع فى اليقظة وأهال منه ؟ فإنه جبريل قد استعلن لى وكلنى وأقرأنى كلاماً فزعت منه ، ثم عاد إلى فأخبرنى أنى نبى هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلت على شجر وحجارة فقلان : السلام عليك يا رسول الله .

فقال خديجة : أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً ، وأشهد أنك نبى هذه الأمة الذى تنتظره اليهود ، قد أخبرنى به ناصح غلامى وبخيرى الراهب ، وأمرنى أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة . فلم تنزل برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طعم وشرب وضحك .

ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها ، قال : مالك ياسيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرنى عن جبريل .

فقال : سبحان الله ربنا القدوس ! ما بال جبريل يذكرك فى هذه البلاد التى يعبد أهلها الأوثان ؟ ! جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى .

فعرّفت كرامة الله لحمد .

ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عداس ، فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزید ، قال : جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون

وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطُّور ، وهو صاحب عيسى بن مريم الذى أَيْداه الله به .

ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل ، فقال لها مثل ذلك . ثم سألتها : ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتم ما تقول له ، خلف لها فقالت له : إن ابن عبد الله ذَكَر لى ، وهو صادق أحلف بالله ما كَذَب ولا كُذِّب ، أنه نزل عليه جبريل بحِراء ، وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة وأقرأه آيات أرسل بها .

قال : فدع ورقة لذلك وقال : لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبي ، وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم ، وقد صدقتك عنه ، فأرسلنى إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدِّثه ، فإنى أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بنى آدم ويفسدهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدَّكَّهاً مجنوناً .

فقامت من عنده وهى واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قال ورقة ، فأنزل الله تعالى : « ن . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون » الآيات . فقال لها : كلا والله إنه لجبريل . فقالت له : أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه .

فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : هذا الذى جاءك فى نور أو ظلمة ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه .

فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل ، وأن هذا كلام الله ، فقد أمرك بشىء تبلىه قومك ، وإنه لأمرُ نبوة ، فإن أدرك زمانك أتبعك . ثم قال : أبشُر ابن عبد المطلب بما بَشَّرَكَ الله به .

قال : وذاع قولُ ورقة وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشقَّ ذلك على الملائكة من قومه .

قال : وفَتَرَ الوحي ، فقالوا : لو كان من عند الله لَتَتَابَعُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّاهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ «وَالضُّحَى» و «أَلَمْ نَشْرَحْ» بكاملهما .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بيَّنه مما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقالت : إذا جاءك فأخبرني .

فَبَيَّنَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا خديجة ، هذا جبريل . فقالت : أترأه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فاجلس إلى شقي الأيمن . فتحوَّلَ فجلس . فقالت : أترأه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاجلس في حجري . فتحوَّلَ فجلس في حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم . فتحسَّرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا . قالت : ما هذا بشيطان إن هذا الملك يا ابن عم ، فاثبت وأبشر . ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق : فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أُمِّي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أَدْخَلَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

قال : البهقي وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً .

فأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم تسليماً .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا يحيى بن بُكَيْر ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثني سِمَاك بن حَرْب ، عن جابر بن سُمُرَةَ ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأعرف حَجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا سايان بن معاذ ، عن سِمَاك بن حرب ، عن جابر بن سُمُرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بمكة لحجراً كان يسلم على ليالي بُعثت إني لأعرفه إذا مررت عليه » .

وروى البهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير ، عن عَبَّاد بن عبد الله ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فنخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

وفي رواية : لقد رأيته أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .

فصل

قال البخارى فى روايته المتقدمة : ثم فَتَرَ الوحى حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً حتى يتردّى من رءوس شواهد الجبال ، فكلما أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لَمْ يَلْقَ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا .
فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشَهُ وَتَقَرَّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ .

فإذا طال عليه فترة الوحى غداً لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

وفى الصحيحين من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرَى ، قال : سمعت أبا سَلَمَةَ عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى قال : فبينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء ، فجنيت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض ، فجنيت أهلى فقلت زملونى زملونى . فأنزل الله : « يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر » .

قال : ثم حى الوحى وتتابع .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحى لا مطلقاً ، ذلك قوله ^(١) « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل « يا أيها المدثر » واللائق بحمل كلامه ما أمكن على ما قلناه ، فإن فى سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذى عرفه ثانياً بما عرفه ^(١) أى أن أول ما نزل مطلقاً هو « اقرأ » .

به أولاً إليه . ثم قوله : « يحدث عن فترة الوحي » دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء . والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سامة بن عبد الرحمن : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : « يا أيها المدثر » .

فقلت : و « اقرأ باسم ربك » ؟

فقال : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : « يا أيها المدثر » فقلت : « و اقرأ باسم ربك » ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذتني رعدة - أو قال وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني ، فأنزل الله : « يا أيها المدثر » حتى بلغ « وثيابك فطهر » .

وقال في زواية : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فحشيت منه » .

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه . والله أعلم .

ومنها من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة « والضحي والليل إذا سجي ما ودّعك ربك وما قلى » إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق .

وقال بعض القراء : ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولها فرحاً . وهو قول بعيد يرده ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح ، من أن أول القرآن نزولا

بعد فترة الوحي : « يا أيها المدثر قم فأنذر » ولكن نزلت سورة « والضحي » بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة .

كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث الأسود بن قيس ، عن جندب بن عبد الله البجلي . قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثا ، فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله « والضحي والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى » .

وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة .

وقد قال بعضهم : كانت مدة الفترة قريبا من سنتين ، أو سنتين ونصفا . والظاهر ، والله أعلم ، أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل . كما قال الشعبي وغيره .

ولا ينبغي هذا تقدّم إحياء جبريل إليه أولا « اقرأ باسم ربك الذي خلق » . ثم اقترن به جبريل بعد نزول « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » .

ثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع ، أى تدارك شيئا بعد شيء .

وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرسالة أتمّ القيام ، وشمر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كل ليبس نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد .

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق .

ومن الغلمان على بن أبي طالب .

ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .

ومن المهرالى مولاه زيد بن حارثة الكأبى رضى الله عنهم وأرضاهم .
وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وَجَدَ من الوحي ومات فى الفترة
رضى الله عنه .

فصل

فى مَنع الجن ومَرَدَةِ الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن
لثلاثيَختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه
فيلتبس الأمر ويختاط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أَنْ حَجَبَهُم عن السماء ، كما قال الله تعالى
إخباراً عنهم فى قوله : « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشُهَباً . وَأَنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَاباً رَصِداً ، وَأَنَّا لَا نَدْرَى أَشَرٌّ
أُرِيدَ بِمَنْ فى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْداً » ^(١) .

وقال تعالى : « وما تَنَزَّلَتْ به الشياطينُ وما يَتَّبِعِيْهُم وما يستطيعون . إلهم عن
السَّمْعِ لمعزولون » ^(٢) .

قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا سليمان بن أحمد ، وهو الطَّبْرانى ، حدثنا عبد الله بن
محمد بن سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن يوسف النيرى أبى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى
إسحاق ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء
يستمعون الوحي ، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً ،
وأما ما زادوا فتكون باطلا .

فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم مُنِعُوا مقاعدَهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث في الأرض .

فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي بين جبلين ، فاتوه فأخبروه فقال : هذا الأمر الذي حدث في الأرض .

وقال أبو عوانة : عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . فقالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها .

فمرّ نفر الذين أخذوا نحو تهامة ، وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء .

فرجموا إلى قومهم فقالوا : « يا قومنا إنا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَأَمَّانا به ، ولن نُشْرِكَ بربنا أحداً » فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عَجَبًا »
أخرجاه في الصحيحين .

وقال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع ، فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد ألقيتها على الصفا .

قال : فإذا سمعت الملائكة خرُّوا سجَّداً فلم يرفعوا رءوسهم حتى يزل ، فإذا نزل
نُقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحقّ وهو العليّ
الكبير . وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موتٍ أو شيء مما يكون
في الأرض تكلموا به فقالوا : يكون كذا وكذا . فتسمعه الشياطين فينزّلونه
على أوليائهم .

فلما بُعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم دُحِرُوا بالنجوم ، فكان أول من علم بها
ثَقِيفٌ . فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل فينحر كل
يوم بعيراً ، فأسرع الناس في أموالهم . فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ، فإن كانت النجوم
التي يهتدون بها ، وإلا فإنه لأمرٌ حَدَثَ . فنظروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي
لم يزل منها شيء ، فكفّوا .

وصرف الله الجنّ فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا .
وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه . فقال : هذا حَدَثٌ حَدَثَ في الأرض ،
فأتوني من كل أرض بتربة فأتوه بتربة . تهامة فقال : هاهنا الحدث .

ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب .
وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم ، عن عمر بن عبدان العبّسي ، عن
كعب قال : لم يُرمَ بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها ،
فأرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسَيِّبُونَ أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ،
فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ، ففعلت ثَقِيفٌ مثل ذلك .

فبلغ عبدَ ياليل بن عمرو ما صنعت ثَقِيفٌ . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رُمِيَ
بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء . فقال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تعجلوا

وانظروا ، فإن تكن نجوما تُعرَف فهو عندنا من فناء الناس ^(١) ، وإن كانت نجوما لا تُعرَف فهو لأمرٍ قد حدث .

فنظروا فإذا هي لا تُعرَف ، فأخبروه ، فقال : الأمرُ فيه مُهَلَةٌ بعدُ ، هذا عندَ ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيراً حتى قَدِمَ عليهم أبو سفيان بن حَرْبٍ إلى أمواله ، فجاء عبدُ ياليل فذاكره أمرَ النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبيُّ مُرْسَلٍ . فقال عبدُ ياليل : فعند ذلك رُمي بها .

وقال سعيد بن منصور ، عن خالد بن حُصَيْن ، عن عامر الشَّعْبِيِّ قال : كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بُعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسَيَّيَوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم . فقال عبدُ ياليل : انظروا ، فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمرٍ قد حدث ، فنظروا فإذا هي لا تُعرَف .

قال : فأمسكوا ، فلم يابثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم . وروى البيهقي والحاكم من طريق العَوْفِيِّ عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تُحْرَسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .

فلعل مرادَ من نَفَى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة ، ويجب حَمْلُ ذلك على هذا ، لِمَا ثَبَتَ في الحديث من طريق عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن علي ابن الحسين ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رمى بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رمى بهذا ؟ » قالوا : كنا نقول مات

(١) الوفا : فهو عند فناء الناس .

عظيم ، ولد عظيم . فقال : « لا ولكن . . » . فذكر الحديث كما ذكرنا عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق ^(١) والله الحمد .

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة قصة رمى النجوم ، وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلام السماء أو غيرها . ولكن سمّاه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السدّي : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد صلى الله عليه وسلم قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً رُجّحوا ليلة من الليالي ، ففرع لذلك أهل الطائف فقالوا : هلك أهل السماء ! لِمَا رَأَوْا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقّاءهم ، ويُسيّبون مواشيهم . فقال لهم عبدُ ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف ! أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرةً في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، وإنما هو من ابن أبي كبشة ، وإن أتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء .

فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم .

وفزع الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال : اثنوي من كل أرض بقبضة من تراب . فأتوه فشمّ ، فقال : صاحبكم بمكة .

فبعث سبعة نفر من جنّ نصيبين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أساموا ، فأنزل الله أمرهم على نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح عن ابن أبى حكيم - يعنى إسحاق - عن عطاء ابن يسار ، عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين فقالوا له : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً . قال : هذا نبى قد بعث فالتمسوه فى قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبه . فخرج يلتمسه فتودى : عليك بجنبه الباب^(١) - يعنى مكة - فالتمس به فوجد بها عند قرن الثعالب ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم ، قالوا : نزين الشهوات فى عين أصحابه ونحببها إليهم . قال : فلا آسى إذا .

وقال الواقدى : حدثنى طلحة بن عمرو ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب ، فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال : أمر قد حدث ، هذا نبى قد خرج عليكم بالأرض المقدسة فخرج بنى إسرائيل .

قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبه .

فخرج فى طلبه بمكة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا منحدراً معه جبريل ، فرجع إلى أصحابه فقال : قد بعث أحمد ومعه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحببها إلى الناس . قال : فذاك إذا .

قال الواقدى : وحدثنى طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت

(١) دلائل النبوة والوفا : عليك بحجة القلب مكة .

الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مُنعوا ، فشكّوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر . فرقى فوق أبي قبيس ، وهو أول جبل وضع على وجه الأرض ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى خلف المقام . فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء يخطر وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا ، فوَلَّى الشيطان هاربا .

ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيرى كلاهما عن رباح بن أبي معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد . فذكر مثل هذا ، وقال : فركضه برجله فرماه بعدن .

فصل

في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضا .

وقال مالك : عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال : « أحببنا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلّمني فأعني ما يقول » .

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة .

وقد رواه أيوب السخّتيّاني عن هشام عن أبيه ، عن الحارث بن هشام أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفي حديث الإفك قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه كان يتحدّر منه مثل الجُمَانِ من العرق ، وهو في يوم شاتٍ ، من ثِقَلِ الوحي الذي نزل عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم ، قال أُملي على يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القارى ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوى النحل ، وذكر تمام الحديث في نزول (قد أفلح المؤمنون) .

وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق .

ثم قال النسائى : مُنْكَر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن ، عن حِطَّان بن عبد الله الرقّاشى ، عن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتربّد وجهه . وفي رواية وغمض عينيه . وكنا نعرف ذلك منه .

وفي الصحيحين حديث زيد بن ثابت حين نزلت « لا يَسْتَوِى القاعدون من المؤمنين » فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت « غيرُ أولى الضّرَر » .

قال : وكانت تخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخذى وأنا أكتب ، فلما نزل الوحي كادت تخذ ترض نخذى .

وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى ، عن عطاء ، عن يعلى بن أمية . قال قال لى عمر : أيسرُّك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه ؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجفراة ، فإذا هو محمرُّ الوجه . وهو يفظ كما يفظ البكر^(١) .

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب ، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المنابع ليلا ، فقال عمر : قد عرفناك ياسودة . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده ، فأوحى الله إليه والعرق في يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك » .

فدلَّ هذا على أنه لم يكن الوحي يُغيب عنه إحساسه بالكلية ، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عباد بن منصور ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم .

وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسول الله هل تحسُّ بالوحي ؟ قال : « نعم أسمع صلاصلا ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تَفِيظُ^(٢) منه » .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا

عاصم بن كُتَيْب ، حدثنا أبي ، عن خاله العليّان بن عاصم قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحةً وفرَّغَ سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ لما يأتيه من الله عز وجل .

وروى أبو نعيم من حديث قتيبة ، حدثنا علي بن غراب ، عن الأخوص بن حكيم ، عن أبي عوانة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي صُدِعَ وَغَافَ رَأْسَهُ بالحناء .

هذا حديث غريب جدا

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا أبو معاوية سنان ، عن ليث ، عن عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عَضْدُ الناقة .

وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني جبر بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُلَيْلى ، عن عبد الله بن عمرو قال : أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها .

وروى ابن مَرْدَوَيْهِ من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول ، حدثتني أم عمرو ، عن عمها أنه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة ، فاندق عنق الراحلة من ثقلها .

وهذا غريب من هذا الوجه .

ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَرَّجَمَهُ مِنَ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ . فَكَانَ يَكُونُ تَارَةً وَتَارَةً بِحَسَبِ الْحَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنْوَاعَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ وَمَا ذَكَرَهُ الْحَلِيمِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ^(١) » .

وَقَالَ تَعَالَى : « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ^(٢) » .

وَكَانَ هَذَا فِي الْإِبْتِدَاءِ ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى اخْذِهِ مِنَ الْمَلِكِ مَا يُوْحَى إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَسَاوِقَهُ فِي التَّلَاوَةِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْصِتَ لَذَلِكَ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَتَكْفُلَ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ ، وَأَنْ يَيْسَرَ عَلَيْهِ تِلَاوَتُهُ وَتَبْلِيغُهُ ، وَأَنْ يَبَيِّنَهُ لَهُ وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحَهُ ، وَيُوقِفَهُ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ .

وَلِهَذَا قَالَ « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

وَقَالَ : « لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ » أَيْ فِي صَدْرِكَ « وَقُرْآنَهُ » أَيْ وَأَنْ تَقْرَأَهُ « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ » أَيْ تَلَاَهُ عَلَيْكَ الْمَلِكُ « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » أَيْ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَتَدَبَّرْهُ . « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » .

وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ؛ فَكَانَ يَحْرُكُ

شفتيه ، فأنزل الله « لا تحرك به لسانك لتعجل به إِنَّ علينا جمعه وقرآنه » قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه « فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَه » فاستمع له وأنصت « ثم إنَّ علينا بيانه » قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم تتابع الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدِّق بما جاءه منه ، وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله ، على رضا العباد وسخطهم .

وللنبوة أُنْقَال ومُؤَنَة لا يحملها ولا يستضع بها إلا أهلُ القوة والعزم من الرسل ، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يُردُّ عليهم مما جاءوا به عن الله عز وجل .

فرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدَّقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره .

وكانت أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاء منه .

نخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً يكرهه من ردِّ عليه ، ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تُثبَّتته وتخفف عنه ، وتصدِّقه وتهوِّن عليه أمرَ الناس ، رضى الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عُروة عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أبشِّرَ خديجة بيت من قصب ، لاصخب فيه ولا نصب » .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من حديث هشام .

قال ابن هشام : القَصَبُ هاهنا اللؤلؤ المجوّف .

قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ، قبل أن تفرض الصلاة .

قلت : يعنى الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضى الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن إسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء به .

ثم إن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بمقبه في ناحية الوادى فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجعات ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقرّ الله عينه ، وظابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركب ركعتين وأربع سجعات ، ثم كان هو وخديجة يصلّيان سرّاً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين . فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنّ ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء .

وسياتى بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان .

فصل

في ذكر أول من أسلم ، ثم ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن جرير إسحاق : ثم إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان ، فقال علي : يا محمد ما هذا ؟ قال : دين الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعث به رسله فادعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر باللات والعزى .

فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب .

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره . فقال له : يا على إذ لم تسلم^(١) فاكتم . فكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام ، فأصبح غادياً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضت علي يا محمد ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى ، وتبرأ من الأنداد » ففعل علي وأسلم ، ومكث يأتيه علي خوف من أبي طالب ، وكنتم على إسلامه ولم يظهره . وأسلم ابن حارثة ، يعنى زيداً ، فكنا قريباً من شهر ، يختلف علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) ف ١ : إذ لم تسمع فاكتم .

قال ابن اسحاق : حدثني ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : وكان مما أنعم الله به على عليٍّ أن قریشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة العباس ، وكان من أيسر بني هاشم : « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً فضمه إليه ، فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه عليٌّ وآمن به وصدقته .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي من أهل الكوفة ، حدثني إسماعيل بن أبي إلياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده عفيف ، وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه ، أنه قال : كنت امرأة تاجراً فقدِمْتُ منى أيام الحج ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجراً ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه .

قال : فبينما نحن إذ خرج رجل من خِباء فقام يصلي تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه . فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما ندرى ما هو !

فقال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى وقیصر ستُفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به .

قال عَفِيف : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً !

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وقال في الحديث : إذ خرج رجل

من خِباء قريب منه ، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلى . ثم ذكر قيام خديجة وراءه .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عُبَيْد المُحَارَبِي ، حدثنا سَعِيد بن خُثَيْم ، عن أسد ابن عُبْدَةَ البَجَلِي ، عن يحيى بن عَفِيف قال : جئت زمن الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة فقام مُستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجدا معه .

قلت : يا عباس أمر عظيم !

فقال : أمر عظيم . فقال : أتدرى من هذا ؟ قلت : لا . فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي . أتدرى من الغلام ؟ قلت : لا . قال : هذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدرى من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا . قال : هذه خديجة بنت خُوَيْلِد زوجة ابن أخي .

وهذا حَدَّثَنِي أن رَبَّكَ ربَّ السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير : حدثني ابن حُمَيْد ، حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد ، حدثنا محمد بن المُنْكَدِر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي . قالوا : على أول من أسلم .

قال الكلبي : أسلم وهو ابن تسع سنين .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة عن ابن اسحاق . قال : أولُ ذكر آمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقته على بن أبي طالب ، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال الواقدي : أخبرنا إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين .

قال الواقدي : وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة .

وقال محمد بن كعب : أول من أسلم من هذه الأمة خديجة ، وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي ، وأسلم على قبل أبي بكر ، وكان علي يكتُم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لقيه أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم . قال : وازر ابن عمك وانصره .

قال وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام .

وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شُعْبة عن أبي بَلَج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس . قال : أول من صلى على .

وحدثنا عبد الحميد بن يحيى ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر . قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء . وروى من حديث شُعْبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي حمزة - رجل من الأنصار - سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب .

قال : فذكرته للنَّخعي فأنكره . وقال : أبو بكر أول من أسلم .

ثم قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد ابن عبد الله ، سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ،

لا يقولها بعدى إلا كاذب مُفتر ، صليت قبل الناس بسمع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجة عن محمد بن إسماعيل الرازى ، عن عبيد الله بن موسى الفهمى - وهو شيعى من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدى الكوفى - وثقه - ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق الشيعة - وقال على بن المدينى : روى أحاديث منكبر ، والنهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الأسدى الكوفى - فقد قال فيه على بن المدينى : هو ضعيف الحديث ، وقال البخارى : فيه نظر . وذكره ابن حبان فى الثقات .

وهذا الحديث مُنكر بكل حال ، ولا يقوله على رضى الله عنه ، وكيف يمكن أن يصلى قبل الناس بسمع سنين ؟ ! هذا لا يتصور أصلا . والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق .

والجمع بين الأقوال كلها : أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات - وقبّل الرجال أيضا -

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة .

وأول من أسلم من الغلمان على بن أبى طالب ، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرّاً معظماً ، ورئيساً فى قریش مكرّماً ، وصاحب مال ، وداعيةً إلى الاسلام ، وكان محبباً متألّفا يبذل المال فى طاعة الله ورسوله . كما سيأتى تفصيله .

قال يونس عن ابن اسحاق : ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : أحقُّ ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا ، وتسفّيك عفولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلى ، إني رسول الله ونبيّه ، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته » .

وقرأ عليه القرآن ، فلم يقرّ ولم ينكر .

فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن التيمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كِبْوةٌ وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ، ما عمّ عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه » .
عكم : أى تلبّث .

وهذا الذى ذكره ابن اسحاق فى قوله : « فلم يقر ولم ينكر » مُنكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله ؟

ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعم ، ولا عكم .
وقد ذكرنا كيفية إسلامه فى كتابنا الذى أفردناه فى سيرته ، وأوردنا فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً ، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

من الأحاديث ، وما روى عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات والله الحمد والمنة .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن أبى الدرداء فى حديث ما كان بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الخصومة ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبي » مرتين . فما أودى بعدها .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضى الله عنه .

وقد روى الترمذى وابن جبان من حديث شعبة عن سعيد الجريرى ، عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ألت أحق الناس بها ، ألت أول من أسلم ، ألت صاحب كذا ؟

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد ، حدثنا أبو إسحاق السبى عن الحارث ، سمعت علياً يقول : أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق ، وأول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم من الرجال على بن أبى طالب .

وقال شعبة : عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

رواه أحمد والترمذى والنسائى من حديث شعبة ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد تقدم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم على بن أبى طالب .

قال عمرو بن مرة : فذكرته لإبراهيم النخعى فأنكره ، وقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وروى الواقدي بأسانيده عن أبي أروى الدؤسي وأبي مسلم بن عبد الرحمن في جماعة من السلف : أول من أسلم أبو بكر الصديق .

وقال يعقوب بن سفيان حدثنا أبو بكر الحميدى ، حدثنا سفيان بن عُيينة ، عن مالك ابن مِفْعُول عن رجل قال : سئل ابن عباس : من أول من آمن ؟ فقال : أبو بكر الصديق ؛ أما سمعت قول حسان :

إذا تذكرت شَجَوًا من أخِي ثقة فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
خير البرية أوفاهَا وأَعْدَلُهَا بعدَ النبي وأولَها بما حَمَلَا
والثالثَ الثانيَ المحمودَ مشهدهُ وأول الناس منهم صدَّقَ الرُّسُلَا
عاش حَيِّدًا لأمرِ اللهِ مُتَّبِعًا بأمرِ صاحبه الماضى وما انتقلَا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا شيخ لنا عن مجالد ، عن عامر قال : سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أى الناس أول إسلامًا ؟ قال : أما سمعت قول حسان ابن ثابت فذكره .

وهكذا رواه الهيثم بن عدى ، عن مجالد عن عامر الشَّعْبِي ، سألت ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثني سُريج بن يونس ، حدثنا يوسف بن الماجشون قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكُّون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعي ، ومحمد بن كعب ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالا : لم يكن أولهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلهم إسلاماً .

قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخاري من حديث همام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود ، عن زِرِّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعمه الله بعمه ، وأما أبو بكر فنعمه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوم أذرع الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا .

فأما ما رواه ابن جرير قائلا : أخبرنا ابن حميد ، حدثنا كنانة بن جبلة عن إبراهيم بن طهمان ، عن حجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ قال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاماً .

فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً .

قال ابن جرير : وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن حارثة ، ثم روى من

طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزُّهْرِي : من أول من أسلم من النساء ؟ قال : خديجة . قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد : أول من أسلم من الرجال زيد ابن حارثة .

وقد أجاب أبو حنيفة رضى الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان على بن أبي طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل . وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يفتشاه ويجلس إليه . فأسلم على يديه فيما بلغنى : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم .

فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا .

وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، [فصلوا و^(١)] صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله .

(١) من ابن هشام . ويلاحظ أن لفظ ابن هشام يختلف عما هنا كثيراً .

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن نَحْرمة بن سليمان الوالبي عن إبراهيم بن محمد بن أبي طلحة قال : قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بُصْرَى ، فإذا راهب في صومعته يقول : سَلُوا أهل الموسم : أفهيم رجل من أهل الحرم ؟

قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحد بعدُ ؟ قات : ومن أحد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، نخرجه من الحرم ، ومُهاجره إلى نخل وحرّة وسباخ ، فأياك أن تُسبق إليه .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ ، وقد اتبعه أبو بكر ابن أبي قحافة .

قال : فخرجت حتى قدّمت على أبي بكر ، فقلت : اتبعت هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلق إليّ فادخل عليه فاتبعه ، فإنه يدعو إلى الحق . فأخبره طلحة بما قال الراهب .

فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك .

فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية ، وكان يدعى أسد قريش ، فشدّهما في حبل واحد ، ولم يمنعهما بنو تيم ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفنا شرَّ ابن العدوية » . رواه البيهقي .

وقال الحافظ أبو الحسن خَيْثمة بن سليمان الأُطْرُبُلسِيّ : حدثنا عبيد الله بن محمد ابن عبد العزيز العمري قاضي المصيصَة ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثني أبي عبيد الله ، حدثني عبد الله

[بن محمد] بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال حدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم فقُدت من مجالس قومك ، واتهموك بالغيب لآبائها وأمهاتها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني رسول الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر .

ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص فأسلموا .

ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم .

قال عبد الله بن محمد : لحدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر إنا قليل » .

فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة .

فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمشوا منه بالسنتهم وعدلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه . فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله مالى علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه .

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم . فضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنيئاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم .

قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : اين هو ؟ قالت : فى دار ابن الأرقم .

قال : فإن الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمهلنا حتى إذا هدأت الرّجل وسكن الناس، خرجنا به يتكئ عليهما حتى أدخلتنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

وأكب عليه المسلمون ، ورقّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة .
فقال أبو بكر : بأبي وأمي يارسول الله ، ليس بي بأس إلا مانال الفاسق من وجهي ،
وهذه أُمِّي بِرَّةٌ بولدها ، وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها
بك من النار .

قال : فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسامت .

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة
وثلاثون رجلا .

وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرب أبو بكر .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب - أولأبي جهل بن هشام -
فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبّر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة .
وخرج أبو الأرقم ، وهو أعمى كافر ، وهو يقول : اللهم اغفر لُبَيٍّ عُبَيْد الأرقم
فإنه كفر .

فقام عمر فقال : يارسول الله علامٌ نُخْفِي ديننا ونحن على الحق ، ويظهر دينهم وهم
على الباطل ؟ قال : « يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا » .

فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبقئ مجلس جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ
فيه الإيمان .

ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام :
يزعم فلان أنك صَبَأْتُ ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله .

فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل إصبعه في عينه ، فجعل عتبة يصيح ، ففتحنى الناس ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان .

ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم ، قال : ماعليك ، بأبي وأمي . والله ما بقى مجلس كنت أجالس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمر أمامه وحزمة بن عبد المطلب ، حتى طاف بالبيت وصلى الظهر مؤمناً ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده ، ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة . كما سيأتى في موضعه إن شاء الله .

وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم^(١) من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما بعث وهو بمكة ، وهو حينئذ مُستخفٍ فقالت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي . فقلت : وما النبي ؟ قال : رسول الله . قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام . قال : قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد . يعنى أبا بكر وبلا لا .

(١) إسلام عمرو بن عبسة في صحيح مسلم ٥٦٩/١ حديث رقم ٨٣٢ ولفظه مطول مختلف .

قال فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا رُبُع الإسلام .
قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن الحق بقومك ، فإذا
أخبرت أنى قد خرجت فاتبعنى .

ويقال إن معنى قوله عليه السلام « حر وعبد » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبى بكر
وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة ، وقد كان زيد بن
حارثة أسلم قبل بلال أيضا ، فاعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه ، فإن المؤمنين كانوا
إذ ذلك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قرابتهم ، دَعِ الأُجانب ،
دع أهل البادية من الأعراب . والله أعلم .

وفى صحيح البخارى من طريق أبى أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المسيب قال :
سمعت [أبا إسحاق ^(١)] سعد بن أبى وقاص يقول : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه ،
ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام .

أما قوله : « ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه » فسهل ، ويروى : « إلا فى
اليوم الذى أسلمت فيه » وهو مُشْكَل ، إذ يقتضى أنه لم يسبقه أحد بالإسلام .

وقد علم أن الصديق وعليًا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حَكَى
الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد ، منهم ابن الأثير .

ونص أبو حنيفة رضى الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه .
والله أعلم .

وأما قوله : « ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام » فمُشْكَل وما أدرى
على ماذا يوضع عليه ، إلا أن يكون أخبر بحسب ماعلمه . والله أعلم .

(١) من صحيح البخارى ١٨٣/٢ . والرواية فيه : « إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه » .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، وهو ابن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا أُرعى غنما لعُقبّة بن أبي معيط بمكة . فأتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فرّا من المشركين ، فقال - أو قللا - : عندك يا غلام لبن تسقينا ؟ قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل بعد ؟ قلت : نعم .

فأتيتهما بها فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الضرع ودعا ، فَحَفَلَ الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متعرة فخلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع : اقلص . فقلص .

فلما كان بعدُ أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علّمني من هذا القول الطيب ، يعني القرآن ، فقال : « إناك غلام مُعَلَّمٌ » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن عفّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عرفة ، عن أبي بكر بن عيّاش ، عن عاصم بن أبي النّجود به . وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله بن بطة الأصبهاني ، حدثنا الحسن بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثني جعفر ابن محمد بن خالد بن الزبير ، عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال : كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديما وكان أول إخوته أسلم .

وكان بدّء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به . ويرى في النوم كأن آتٍ أتاه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بمِخْوَنِهِ ^(١) لا يقع ، ففرغ من نومه فقال : أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق .

(١) الحقو : الكشح ، وهو ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلف .

فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له ، فقال أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها ، وأبوك واقع فيها .

فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأجْيَاد ، فقال : يا رسول الله يا محمد إلام تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ، ولا يضر ، ولا يبصر ، ولا ينفع ، ولا يدرى من عبده ممن لا يعبد » .

قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

وتغيَّب خالد وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه فأتى به ، فأنبه وضر به بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه . وقال : والله لأمنعنك القوت . فقال خالد : إن منعني فإن الله يرزقني ما أعيش به .

وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكرمه ويكون معه .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبي

صلى الله عليه وسلم

قال يونس بن بكير : عن محمد بن إسحاق : حدثني رجل من أسلم^(١) - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجرة منكورة .

(١) المطبوعة : ممن أسلم . وهو تحريف . وأسلم : قبيلة .

وقامت رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه . وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت

قال حمزة : ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع ، فكفوا عما كانوا يتناولون منه . وقال حمزة في ذلك شعراً .

قال ابن إسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابى وتركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت .

فأقبل حمزة على نفسه وقال : ما صنعت اللهم إن كان رشداً فأجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فأجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً .

فبات ليلة لم يبت بمنزلها من وسوسة الشيطان .

حتى أصبح ففدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدرى ما هو أرشد أم هو غي شديد فخذني حديثاً ، فقد اشتفيت يا ابن أخي أن تحدثني .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره . فالتقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك ، فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء وأنى على ديني الأول .

فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ابن بكير به .

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن الرثومي ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن مالك بن مرثد ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع ، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا سياق مختصر .

وقال البخاري : إسلام أبي ذر : حدثنا^(١) عمرو بن عباس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن المشني عن أبي جحزة^(٢) ، عن ابن عباس . قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني .

فانطلق الآخر^(٣) حتى قدمه وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ماهو بالشعر .

فقال : ماشفتني مما أردت .

فتزوّد وحمل شئنه [له] فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل [اضطجع]^(٤) فرآه على عرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى

(٢) البخاري : حدثني . (٢) خ ط : حمزة . وهو تحريف وما أثبتته من صحيح البخاري ١٨٣/٢

(٣) البخاري : الأخ . (٤) ليست في البخاري .

أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليومَ ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه . فمر به على فقال : أما آن^(١) للرجل [أن^(٢)] يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد [على^(٣)] على مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني فعلتُ . ففعل فأخبره . قال : فإنه حق ، وإنه^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإنني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قت كائى أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلى .

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى » .

فقال : والذي بعثك بالحق^(٥) لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى آتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام [القوم^(٦)] فضربوه حتى أضجموه .

فأتى العباسُ فأكبَّ عليه فقال : ويلكم ! ألسنتم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ ! فأقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها^(٧) فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه .

هذا لفظ البخارى .

وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره .

فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر : خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يُحلون الشهر الحرام ، أنا وأخى أنيس وأمثنا .

(١) البخارى : أما نال . (٢) من البخارى . (٣) البخارى : وهو رسول الله .

(٤) البخارى : والذى قضى يده . (٥) البخارى : لمثلها .

فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذى مال وذى هيئة ، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس .
فجاء خالنا فنثنى ما قيل له ^(١) فقلت له : أما ما مضى من معروفك فقد كدّرتَه ، ولاجماع لنا فيما بعد .

قال : فقهرّبنا صرمتنا ^(٢) فاحتملنا عليها ، وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي .
قال : فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة ، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثاها ، فأتيا الكاهن فخير أنيسا . فأتانا بصرمتنا ومثاها .

وقد صليتُ يابن أخى ، قبل أن ألقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين .
قال : قلت لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين توجه ؟ قال : حيث وجهنى الله . قال : وأصلّى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفتُ كُنَى خفاء ^(٣) حتى تعلونى الشمس .
قال : فقال أنيس : إن لى حاجة بمكة فألقني حتى آتيك . قال : فانطلق فراث ^(٤) علىّ ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك قال : لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعر وساحر . وكان أنيس شاعراً .

قال : فقال : لقد سمعتُ الكهان فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلبثتم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون .
قال : فقلت له : هل أنت كافي حتى أنطلق ؟ قال : نعم ! وكُنْ من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنّعوا له وتجهموا له .

(١) نثى ما قيل له : أظهره وحدث به . (٢) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين (٣) الخفاء : الكساء . (٤) راث : أبطل .

قال : فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت : أين هذا الرجل الذى يدعو به الصابى ؟ قال : فأشار إلى . فقال أهل الوادى على بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشى على ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كائى نصب أحر ، فأنت زمزم فشربت من ماءها وغسأت عنى الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبثت به يابن أخى ثلاثين من يوم ويلة مالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على كبدى سخفة جوع .

قال فبينما أهل مكة فى ليلة قراء إضحيان^(١) وضرب الله على أشجمة^(٢) أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتتا على وهما يدعوان إساف ونائلة . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر . فماتناهما ذلك . فقلت : وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن .

قال : فانطلقتا يؤولولان ويقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا .

قال : فاستقباهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما باطنان من الجبل فقالا : مالكما ؟ فقالتا : الصابى بين الكعبة وأستارها . قالا : ما قال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم .

قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الخجر وطاف بالبيت ، ثم صلى .

قال : فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله . من أنت ؟ » قال : قلت : من غفار ، قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته ، قال : فقلت فى نفسى : كره أن انتميت إلى غفار .

قال : فأردت أن آخذ بيده ففقدنى صاحبه ، وكان أعلم به منى . قال : متى كنت ههنا ؟

قال : قلت : كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم .

(٢) الأشجمة : الآذان .

(١) إضحيان : مضبئة .

قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت
عُكُن بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم » .

قال : فقال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة . قال : ففعل .

قال : فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما ، حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض

لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أولَ طعام أكلته بها . فلبثت مالبثت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد وجَّهت إلى أرض ذات نخل

ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مُبلغ عني قومك ، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم » ؟

قال : فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا ، قال : فقال لي : ما صنعت ؟ قال : قلت

صنعت أنى أسلمت وصدقت .

قال : فما بى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت .

ثم أتينا أمنا فقالت : ما بى رغبة عن دينكما ، فإنى قد أسلمت وصدقت ، فتحملنا

حتى أتينا قومنا غفار ، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة ، وكان يؤمهم خُفَّاف بن أيماء بن رخصة الغفارى وكان سيدهم يومئذ . وقال

بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . قال : فقدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأسلم بقيتهم . قال : وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نسلم على الذى أسلموا

عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » . ورواه

مسلم عن هُذبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه . وقد روى قصة إسلامه على وجه

آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم . وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسى فى كتاب البشارات

بمبعثه عليه الصلاة والسلام .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضماد مكة ، وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرقى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء من سُفّه مكة يقولون : إن محمداً مجنون . فقال : أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي ؟

فاتميت محمداً فقات : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهلم .

فقال محمد : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثلاث مرات » .

فقال : والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلم يدك أبايعك على الإسلام .

فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومي .

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً فروا بقوم ضماد . فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مُظْهَرَةً^(١) . فقال رُدّها عليهم فإنهم قوم ضماد .

وفي رواية فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس^(٢) البحر .

(١) المظهر : البعر التي أتت عليه الظهيرة وهو يرعى .

(٢) قاموس البحر : أبعد موضع فيه غوراً . هذا والرواية في الوفا : أعد على كلماتك هؤلاء ، فأعادهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . فقال : لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغت قاموس البحر .

وقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الأعيان فصلا طويلا ، واستقصى ذلك استقصاء حسنا رحمه الله وأثابه .

وقد سَرَدَ ابنُ اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم .
قال : ثم أسلم أبو عُبَيْدة ، وأبو سَلَمَة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعُبَيْدة بن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب .
وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهى صغيرة .
وقَدَّامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

✓ وخبَّاب بن الأَرْتِّ ، ومُعمِر بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القارى^(١) ، وسَلِيط بن عمرو وعِيَّاش بن أبي ربيعة ، وامراته أسماء بنت سلمة^(٢) بن مُحَرَّبَة^(٣) التميمية ، وخُنَيْس بن حُذَّاقَة ، وعامر بن ربيعة .
وعبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عُمَيْس .

وحاطب بن الحارث [وامراته فاطمة بنت الجلال . وحطَّاب بن الحارث^(٤)]
وامراته فُكَيْمَة ابنة يَسَّار .

ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمَر الجَمَحَى ، والسائب بن عثمان بن مظعون .
والمطلب بن أزهري بن عبد مناف^(٥) ، وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن صُبَيْرَة بن سعيد بن سَهْم . والنَّحَّام ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر ،

(١) هو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمزة بن غالب بن مخلم بن عائذة بن سبيع ابن الهون بن خزيمه من القارة . والقارة لقب لهم . وهى قبيلة . ولهم يقال : قد أنصف القارة من رامها
(٢) ابن هشام : سلامة . (٣) الأصل والمطبوعة : مخزمة التيمي ، وهو تعريف وما أثبتته عن ابن هشام . (٤) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام . (٥) ابن هشام : عبد عوف .

وخالد بن سعيد ، وأُمَيَّة ابنة خَلَف بن أسعد^(١) بن عامر بن بَيَاضَة من^(٢) خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حَذِيفَة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمي حليف بنى عدى .

وخالد بن البُكَير ، وعامر بن البُكَير ، وعاقِل بن البُكَير ، وإياس بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث . وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وهم حلفاء بنى عدى بن كعب .
وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان .

ثم دخل الناس [فى الإسلام^(٣)] أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يَصْدَع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .
قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فبَدِنَا سعد بن أبى وقاص فى نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم .

فضرب سعد رجلاً من المشركين بأحجر جل فشجّه ، فكان أول دم هُرِيق فى الإسلام وروى الأموى فى مغازيه من طريق الوقاصى عن الزُّهْرَى عن عامر بن سعد عن أبيه .
فذكر القصة بطولها ، وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(١) ط ، خ : سعد وهو تحريف ، وما أثبتته عن ابن هشام . (٢) الأصل : ابن ، وهو تحريف (٣) من ابن هشام .

باب

أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم ، وذكر ما لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضى الله عنهم .

قال الله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) » .

وقال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ^(٢) » .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ^(٣) » أى إن الذى فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهى المعاد ، فيسألك عن ذلك . كما قال تعالى : « فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جداً ، وقد تقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول فى ذلك عند قوله تعالى فى سورة الشعراء « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » . وأوردنا أحاديث جمّة فى ذلك .

فمن ذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن مُنَمَّر ، عن الأعمش ، عن عمرو بن

(٢) الزخرف : ٤٤

(١) الشعراء : ٢١٤ - ٢٢٠

(٢) القصص : ٨٥ .

مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله « وأنذر عتيرتك الأقربين » أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » .

فاجتمع الناس إليه بين رجل يحىء إليه وبين رجل يبعث رسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفع هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

فقال أبو لهب ، لعنه الله : تبألك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا .

وأنزل الله عز وجل « تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » .

وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة . قال : لما نزلت هذه الآية « وأنذر عتيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعمَّ وخصَّ . فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سابغاً ببلاها^(١) » .

ورواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي سلمة عن أبي هريرة ، وله طرق آخر عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا وكيع بن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها . قالت : ..

(١) البلا : جمع بلل ، وفي الأصل : ببلاؤها . وفي البخارى ١٢٧/٣ : قال أبو عبد الله : ببلاها كذا ومع وببلاها أجود وأصح ، وببلاها لا أعرف له وجهاً .

لما نزل « وأنذر عشيرتك الأقربين » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالى ما شئتم » . ورواه مسلم أيضاً .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي فى الدلائل : أخبرنا محمد بن عبد الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل ، واستكتمنى اسمه ، عن ابن عباس ، عن على بن أبى طالب . قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرفتُ أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمتُ . فجاءنى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار » .

قال : فدعانى فقال « يا علىّ إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، فاصنع لنا يا علىّ شاةً على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عُسّاً ^(١) لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب » .

ففعلت ، فاجتمعوا له يومئذ ، وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه: أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث .

فقدّمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حذية ^(٢) فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : « كلوا بسم الله » فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، ما نرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل لياً كل مثلاً . ثم قال رسول الله صلى الله

(٢) الحذية : القضة .

(١) العس : التذح الضخم .

عليه وسلم : « اسقهم ياعلى » فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب لعنه الله فقال : لهدّ ماسحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عدّ لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدّر إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعهم له وصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله إن كان الرجل ليا كل مثلها . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقهم ياعلى ، فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله أن يكلمهم ، بדרه أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال : لهدّ ماسحركم صاحبكم ؟ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعلى عدّ لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم » .

ففعلت ، ثم جمعهم له . فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وأيم الله إن كان الرجل ليا كل مثلها ويشرب مثلها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابنى عبد المطاب إني والله ما أعلم شابا من

العرب جاء قومه بأفضل مما جئكم به ، إني قد جئكم بأمر الدنيا والآخرة » .
هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبيهم اسمه
عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن محمد بن حميد الرازي ، عن سلمة بن الفضل
الأبرش ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار أبو مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ،
عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس عن علي فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني
قد جئكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا
الأمر على أن يكون أخى » وكذا وكذا .

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت ولآئى لأحدتهم سنا وأرمصهم عينا ،
وأعظمهم بطنا ، وأخمشهم ساقا : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي فقال :
« إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » .

قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع
لأبنك وتطيع !

تفرد به عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى
وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

ولكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه : عن الحسين بن عيسى بن ميسرة
الحارثى عن عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله
ابن الحارث . قال : قال على : لما نزلت هذه الآية « وأنذر عشيرتلك الأقربين » . قال
لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع لى رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبنا ، وادع
لى بنى هاشم . فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل ، أو أربعون ورجل .

فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال : وبدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام . فقال : « أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ » .

قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال وسكت أنا لسن العباس .

ثم قالها مرة أخرى ، فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال : أنت ؟ ! قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإني لأعشى العينين ، ضخم البطن ؛ خمش الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فإله أعلم .
وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم — أو كالشاهد له — والله أعلم .

ومعنى قوله في هذا الحديث : « من يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي » ، يعني إذا مت ، وكأنه صلى الله عليه وسلم خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب ^(١) أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يُصالح أهله ، ويقضى عنه ؛ وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى « يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَيَّغَتْ رَسُولَهُ وَاللَّهُ يَعَصِيكَ مِنَ النَّاسِ » ^(٢) الآية .

والمقصود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، لا يَصْرِفُه عن ذلك صارف ولا يردُّه عن ذلك رادٌّ ، ولا يصدُّه عن ذلك صاد ، يَتَّبِعُ الناس في أُنْدِيَتِهِمْ ومجامعِهِمْ ومحافلِهِمْ ، وفي المواسم ، ومواقف الحج .

(١) ١ : إبلاغ مشركي العرب رسالة الله . (٢) سورة المائدة .

يدعو من لقيه من حرٍّ وعبد ، وضعيف وقوى ، وغنى وفقير ، جميع الخلق في ذلك عنده
شرع سواء .

وتسلَّط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفاءهم الأشداء الأقوياء من
مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية .

وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ، واسمه عبدالعزَّى بن عبد المطلب ، وامراته
أم جميل أَرْوَى بنت حَرْب بن أمية ، أخت أبي سفيان .

وخالفه في ذلك عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحبَّ خلق الله إليه طَبْعاً ، وكان يحنو عليه ويحسن إليه ، ويدافع عنه ويحمي ، ويخالف
قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خُلَّتْهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حبا
طَبْعياً لا شرعياً .

وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ،
إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا
يهابونه ويحترمونه . ولا جتروا عليه ، ولمدُّوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق
ما يشاء ويختار ^(١) . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً .

فهذان العمَّان كافران أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكون في القيامة في
ضَحْضَاح من نار ، وذلك في الدَّرَك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه
تتلى على المنابر ، وتقرأ في المواعظ والخطب ، تتضمن أنه سيصلي ناراً ذات لهب ، وامراته
حمالة الخطب .

(١) بل لو كان أبو طالب أسلم لكان ذلك داعياً إلى إسلام غيره من مشيخة قريش ، وبفهم من كلام
المؤلف أن الله سبحانه قضى على أبي طالب بالكفر حماية لرسوله !! وهو تعليل غير سائغ .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدَّيْل ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب . فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب .

ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه . وقال البيهقي أيضاً : حدثنا أبو طاهر الفقيه ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمر ، عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدَّيْل . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعومهم إلى الله ، ووراءه رجل أحول تقدُّ وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثم رواه من طريق شُعْبَةَ عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجل خلفه يسقي عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال : « أبو جهل » ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسند ذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه

وسجاياه ، واعتماده فيما يحامى به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم .

قال يونس بن بُكَيْر : عن طلحة بن يحيى ، عن عبد الله بن موسى بن طلحة ، أخبرني عُقَيْل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنهه عنا . فقال : ياعقيل انطلق فأتني بمحمد . فانطلقت فاستخرجته من كنس ، أو قال خنس ، يقول : بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر . فلما أتاهم قال : إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم ، فأنته عن أذاهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء . فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا نعم ! قال : « فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة » .

فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا .

رواه البخارى فى التاريخ ، عن محمد بن العلاء ، عن يونس بن بُكَيْر . ورواه البيهقى ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عنه به — وهذا لفظه —

ثم روى البيهقى من طريق يونس ، عن ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فأبقى على وعلى نفسك ولا تحملى من الأمر مالا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك .

فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسلمه ، وضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم لو وضعت الشمس

في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه » ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى .

فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي . فأقبل عليه ، فقال امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم قال أبو طالب في ذلك :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
فامض لأمرك ما عليك غصاصة أبشر وقرّ بذاك منك عيوناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت قدّم أميناً
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذارى سبّة لو جدتني سمحاً بذاك مبيناً

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً .

وفي ذلك دلالة على أنّ الله تعالى عصمه بعّمه مع خلفه إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما شاء ، لا معقب لحكمه . .

وقال يونس بن بكير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع^(١) وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة طويلة جرّت بين مشركي مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام رسول الله قال أبو جهل ابن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أتى إلا ماترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا وتسفيه أعلامنا وسب آلهتنا ، وإنّي أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر ، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

فلما أصبح أبو جهل ، لعنه الله ، أخذ حجراً ثم جاس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره .

وغداً رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام . فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليمنى ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ، وقد غدت قريش فجاسوا في أنديةهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منبهتها ممتقعاً لونه مرعوباً ، قد يئست يداه على حجّره ، حتى قذف الحجر من يده .

وقامت إليه رجال من قريش . فقالوا له : مابك يا أبا الحكم ؟ ! فقال : قمت إليه لأفعل ماقلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرّض لي دونه فخلّ من الإبل ؛ والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قصّرتة ^(١) ولا أنيابه لفحل قط ، فهمّ أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه » .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو النضر الفقيه ، حدثنا عثمان الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبان بن صالح ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال : إن لله عليّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته .

(١) القصرة : أصل العنق .

نُفِرَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتَهُ بِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ ،
فُجِرَ غَضِبَانٌ حَتَّى جَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَعَجِلَ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ فَاقْتَحَمَ الْحَائِطَ . فَقُلْتُ هَذَا
يَوْمٌ شَرٌّ ، فَاتَزَرْتُ ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » فَلَمَّا بَلَغَ شَأْنَ أَبِي جَهْلٍ « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ »
أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَى « فَقَالَ إِنْسَانٌ لِأَبِي جَهْلٍ : يَا أَبَا الْحَكَمِ هَذَا مُحَمَّدٌ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :
أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ سُدَّ أَفْقُ السَّمَاءِ عَلَيَّ . فَلَمَّا بَاغَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
آخِرَ السُّورَةِ سَجَدَ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ،
قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَمَّا رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّيُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ لِأَطَانٍ عَلَى عُنُقِهِ .
فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لِأَخَذْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَيْنَانَا » .
وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ .

قَالَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ : عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِالنَّبِيِّ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَ : أَلَمْ أَتُكِّمْ أَنْ تَصَلُّوا يَا مُحَمَّدُ ؟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا أَحَدٌ
أَكْثَرَ نَادِيًا مِنِّي .

فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ »
وَاللَّهُ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لِأَخَذْتَهُ زَبَانِيَةَ الْعَذَابِ .

رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَصَحَّحَهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ أَبُو زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا فُرَاتٌ ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ
عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : لَمَّا رَأَيْتُ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ يُصَلِّي
لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطَأَ عُنُقَهُ .

قَالَ : فَقَالَ : « لَوْ فَعَلَ لِأَخَذْتَهُ الزَّبَانِيَةَ عَيْنَانَا » .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال : أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه .

فأنزل الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » حتى بلغ من الآية « لنسفعا بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية » .

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فقبل ما يمنحك ؟ قال : قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب .

قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة . قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم .

قال : فقال : والللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبتة ، ولأعفرن وجهه بالتراب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليظاً على رقبتة ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه .

قال : فقبل له : مالك ؟ قال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » .

قال : وأنزل الله تعالى - لا أدري فى حديث أبي هريرة أم لا - « كلاً إن الإنسان ليظنى أن رآه استغنى » إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان ابن طرخان التيمي ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله قال : مارأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا على قریش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورهطاً من قریش جلوس ، وسلاً جزور قريب منه . فقالوا : من يأخذ هذا السَّلاَ فيأقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره . فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك بهذا الملاء من قریش ، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة ابن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - » شُعْبَةُ الشَّاكُّ .

قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي ، أو أمية بن خلف ، فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

وقد رواه البخارى فى مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به .

والصواب : أمية بن خلف ، فإنه الذى قتل يوم بدر ، وأخوه أبى إنما قتل يوم أحد كما سيأتى بيانه . والسَّلا : هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفى بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أى يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله .

وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبَّتْهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سکن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملاء منهم جملةً ، وعيَّن فى دعائه سبعة ، وقع فى أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عُتْبَةُ ، وأخوه شَيْبَةُ ، ابنا ربيعة

والوليد بن عُتبسة ، وأبو جهل بن هشام ، وعُتببة بن أبي مُعيط ، وأمّية بن خلف . قال ابن إسحاق : ونسيت السابع . قلت : وهو عُمارة بن الوليد ، وقع تسميته في صحيح البخارى . . .

قصة الإراشى

قال يونس بن بُكَيْر : عن محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الملك بن أبي سُفيان الثَّقَفِي قال : قَدِمَ رجل من إراش بإبل له إلى مكة ، فابتنعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الإراشى حتى وقف على نادى قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجل يُعَدِّني على أبي الحكم بن هشام ، فأني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حقى .

فقال أهل المجلس : ترى ذلك - إلى رسول الله - يهزأون به ^(١) صلى الله عليه وسلم ، لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يؤدِّيك ^(٢) عليه . فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا الرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ما يصنع .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : محمد فاخرج ، فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : أعطِ هذا الرجل حقه . قال : لا تبرح حتى أعطيه الذى له . قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشى : الحق لشأنك . فأقبل الإراشى : حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد أخذتُ الذى لى .

(١) الأصل : يهزون . ولا معنى لها . (٢) كذا ، ولعلها يعديك .

وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجا من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه نخرج وما معه رُوحه ، فقال : أعط هذا الرجل حقه . فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه . فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : وبلك مالك ! فوالله ما رأينا مثل ما صنعت .

فقال : ويحكم : والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملت رعبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ، ولا قصرتة ولا أنيابه لفحل قط ، فوالله لو أبيت لأكلني .

فصل

وقال البخارى : حدثنا عَيَّاش بن الوليد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير ، سألت ابن [عمرو بن] ^(١) العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله .

قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه ^(٢) فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الآية .

تابعه ابن إسحاق قال : أخبرني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو .

وقال عبدة : عن هشام ، عن أبيه قال : قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو : عن أبي سلمة ، حدثني عمرو بن العاص .

(٢) البخارى : فى عنقه .

(١) من البخارى ١٨٢/٢

قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة .
انفرد به البخارى . وقد رواه فى أماكن من صحيحه ، وصرح فى بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدم هذه القصة .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مارأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا وشم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصبرنا منه على أمر عظيم . أو كما قالوا .

قال : فبينما هم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، ففرقتها فى وجهه . فمضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها .

فقال : « أستمعون يا معشر قريش ؟ أما الذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » .
فأخذت القوم كلئله ، حتى مامنهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه ^(١) حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشدا فمأ كنت بجهول . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يرفأه : يترضاه .

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه . حتى إذا بادأكم بما تسكروهن تركتموه !
فبينما هم على ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأنحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ ! لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم أنا الذي أقول ذلك » .
ولقد رأيت رجلا منهم أخذ بجامع رداءه ، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول : ويلكم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) ثم انصرفوا عنه .
فإن ذلك لأكبر ما رأيت قريشا بلغت منه قط .

فصل

في تأليب الملاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
واجتماعهم بعمة أبي طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يُسلمه إليهم
فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ، وأُخِفْتُ في
الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي وإبلالي ما يأكله
ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال ! » .

وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي :

حسن صحيح .

وقال محمد بن إسحاق : وحَدِّبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لدينه لا يردُّه عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَهُم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعَيَّبَ آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حَدِّبَ عليه وقام دونه فلم يُسَلِّمَهُ لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب : عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة بن عبد شمس ، ابن عبد مناف بن قُصَيٍّ ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمينة بن عبد شمس ، وأبو البَخْتَرِي ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ ، والأسود بن المطَّلِب بن أسد بن عبد العزى ، وأبو جهل ، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْقَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، ونبیه ومُتَبِّه ، ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيده بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيِّص بن كعب بن لؤى ، والعاص بن وائل بن سعيده بن سَهْم . قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم .

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا وسفَّه أحلامنا ، وضلَّ آباءنا ، فإما أن تَكْفِّهَ عنا ، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردَّهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يُظْهِرُ دينَ الله ويدعو إليه .

ثم شَرِي^(١) الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاعفوا .
وأكثر قريش ذِكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذاَمَرُوا فيه وحَصَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استهنيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفَّ عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا ، للذي قالوا له ، فأبق على وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر مالا أطيع .

قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بدو^(٢) وأنه خاذله ومُسلّمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » .

قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام !

(١) شري : اشتد .

(٢) ابن هشام والمراجع : بداء .

فلما وَلَّى ناداه أبو طالب فقال : أَقْبِلْ يَا بْنَ أَخِي . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اذْهَبْ يَا بْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمْتُكَ لشيءٍ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خُذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِسْلَامَهُ ، وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعِدَاوَتِهِمْ ^(١) ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، فَقَالُوا لَهُ ، فِيمَا بَلَغْنِي : يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنَّهُدُ فِتْيَ قَرِيشٍ وَأَجْمَلَهُ ، نَخَذُهُ فَكَ عَقْلُهُ وَنَضْرُهُ ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلَمَ إِلَيْنَا ابْنُ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ ، وَسَفَّ أَحْلَامَنَا فَتَقْتَلُهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ !

قال : وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تَسْمُونَنِي ! أَتَعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ ، وَأَعْطِيَكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

قال : فَقَالَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدَى بْنُ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ : وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ وَجَهَدُوا عَلَى التَّخْلِصِ مِمَّا تَكْرَهُ ، فَمَا أَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا .

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِلْمُطْعَمِ : وَاللَّهِ مَا أَنْصَفُونِي ، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خُذْلَانِي وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ . أَوْ كَمَا قَالَ .

فَحَقَّبَ الْأَمْرَ ، وَحَمَيْتِ الْحَرْبُ ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ ، وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَعْزِضُ بِالْمُطْعَمِ بْنِ عَدَى وَيَعْمُ مِنْ خُذْلِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمَنْ عَادَاهُ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ ، وَيَذْكُرُ مَا سَأَلُوهُ وَمَا تَبَاعَدَ مِنْ أَمْرِهِمْ :

(١) الْأَصْلُ : وَعِدَاوَتِهِ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ أَلَا لَيْتَ حَظِّيَ مِنْ حَيَاتِكُمْ بَكْرٌ^(١)
 مِنْ الْخُورِ حَبَابٌ^(٢) كَثِيرٌ رُغَاوُهُ يُرْشُ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرٌ
 تَخَافُ خَلْفَ الْوَرْدِ لَيْسَ بِلَا حَقٍّ إِذَا مَا عَلَا الْفِيَاءُ^(٣) قِيلَ لَهُ وَبَرٌ
 أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْنَا وَأَمْنَا إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ
 بَلَى لَهَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجَرَّجَا كَمَا جُرَّجَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقِ الصَّخْرُ^(٤)
 أَخَصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلَا هَا نَبْذَانَا مَثَلُ مَا نَبْذِ الْجُرُ
 هَا أَغْمَزَا لِلْقُومِ فِي أَخَوَيْهِمَا فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفُهُمَا صَفْرُ
 هَا أَشْرَكََا فِي الْمَجْدِ مَنْ لَا أَبَا لَهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَ^(٥) لَهُ ذِكْرُ
 وَتَيْمٌ وَنَحْزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ
 فَوَ اللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عُدَاوَةٌ وَلَا مِنْكُمْ مَا دَامَ مِنْ نَسْلَانَا شَفْرُ^(٦)

فصل

في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تذاًمروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .
 ومنع الله منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعه أبي طالب .

(١) أي أن يكرأ من الإبل أنفع لي منكم ، فليت لي بدلا من حياتكم . . (٢) الخور : الضعاف ،
 والحجاب : الصغير . (٣) الفياء : الصحراء . والوبر : دوية كالسنور .
 (٤) الأصل : تجرجا : محرفة ، وما أثبتته من ابن هشام . وتجرجم : سقط وانحدر . وذو علق : جبل
 في ديار بني أسد . (٥) يرس : يعرف . (٦) شفر بفتح الشين وضمتها : أحد .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله .

فقال في ذلك يمدحهم ويحزّضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمُفَخَّرٍ	فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
وإنْ حُصِّلَتْ أشرافُ عبدٍ منافِها	ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإنْ نَفَرَتْ يوماً فإنَّ محمدًا	هو المصطفى من سِرِّها وكريمِها
تداعتُ قريشٌ غُثَّها وسمينِها	علينا فلم تَظْفَرِ وطاشت حُلومُها
وكنّا قديمًا لا نُقرُّ ظلامَةً	إذا ما ثَنَوْا صُغَرَ الرقابِ نُقيمُها
ونَحْمِي حماها كل يومٍ كريمةٍ	ونَضْرِبُ عن أحجارها من يرومِها
بنا انتعش العود الذواء وإنما	بأ كنفنا تَنَدَّى وتنمى أرومِها

فصل

فما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد ، لا على وجه طلب الهدى وانرشاد

فلهذا لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا الاستمرار في طغيانهم يعمهون ، ولظنوا في غيهم بضلالتهم يتردّون .

قال الله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ لِيُؤْمِنُوا بها ، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وما يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَالْمِ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَاسَكُنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ^(١) » .

وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ^(٢) » .

وقال تعالى : « وما منعنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَآتَيْنَا مُوْسَى النَّاقَةَ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ^(٣) » .

وقال تعالى « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُمُ الْمَلَائِكَةِ قُبُلًا ، أَوْ يَكُونَ لَكَ يَتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ^(٤) » .

وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد .

وقد روى يونس وزِيَاد ^(٥) عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، وهو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جُبَيْر وعِكْرَمَةَ ، عن ابن عباس قال : اجتمع عَلَيْهِ من أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، وعدَدُ أَسْمَاءِهِمْ ، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصموه حتى تُعْذِرُوا فِيهِ .

(١) سورة الأنعام ١٠٩-١١١ . (٢) سورة يونس ٩٦-٩٧ . (٣) سورة الإسراء ٥٩ .
(٤) سورة الإسراء ٩٠-٩٣ . (٥) يونس بن بكير ، وزِيَادُ الْبَكَّائِي ، وهما راويَا السيرة عن ابن إسحاق

فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك .

فجاءهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنه قد بدّأهم في أمره بدو ، وكان حريصا يحب رُشدهم ويعزُّ عليه عَتَمُهُمْ ، حتى جلس إليهم .

فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعِبت الدين ، وسَفَّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة ، وما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك .

فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد مُلكاً مَلَكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رَئياً تراه قد غلب عليك ، وكانوا يسمون التابع من الجن الرّئىّ - فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نُنبرئكَ منه أو نعذر قَتكَ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بى ماتقولون ، ماجئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عايكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتمكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا : يا محمد فإن كنت غير قابلٍ منا ماعرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقَ بلاداً ، ولا أقلّ مالا ، ولا أشدّ عيشاً منا ، فسَلْ لنا ربك الذى بعثك

بما بعثك به فليسِّر عنا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقتْ علينا ، وليَسِّطْ لنا بلادَنَا ، وليُجَرِّ فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مَضَى من آبائنا ، وليكن فيما يبعث لنا منهم قُصَى بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صَدُوقاً فَنسألهم عما تقول : أحقُّ هو أم باطل ؟

فإن فعلت ما سألتك وصدَّقوك ، صدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بهذا بُعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بَعَثَنِي به ، فقد بَلَّغْتُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، فإن تَقْبَلُوهُ فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتَسْأَلُهُ فيجعل لنا جَنَاناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويفنيك عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش ^(١) كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم .

فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليَّ أَصْبِرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فَعَلْ ، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فَعَلْ بكم ذلك » .

فقالوا : يا محمد ما عَلِمَ ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب

(١) الأصل : العايش محرفة . وما أثبتته عن ابن هشام .

منك ما نطلب ، فيتقدم إليك ويعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به .

فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليَمَامَةِ يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذَرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركك وما فعات بنا حتى نُهلكك أو تهلكنا .

وقال قائمهم : نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائمهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبِيلًا .

فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ، ثم سألوكم لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوكم أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب ، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ، ثم تَرَقِيَ منه وأنا أنظر حتى تأتينا ، وتأتى معك بنسخة منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وأيم الله لو فعلت ذلك لظننتُ أني لا أصدِّقُك .

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما^(١) طمع فيه من قومه حين دَعَوْه ، ولمَّا رأى من مُباعدتهم إياه .

وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملائكة مجلسٌ ظلم وعدوان وعناد ، ولهذا

(١) الأصل : بما . محرفة ، والعبارة في ابن هشام : مما كان يطمع به من قومه .

اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا إلى ما سألوا ، لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن ينحى عنهم الجبال فيزدرعوا ، ف قيل له : إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلك من قبلهم الأمم .

قال : « لا بل أستأني بهم » .

فأنزل الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ^(١) » .

وهكذا رواه النسائي من حديث جرير .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمران ابن حكيم ، عن ابن عباس ، قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال : وتفعلا ؟ قالوا : نعم .

قال : فدعا ، فاتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة .

قال : « بل التوبة والرحمة » .

وهذان إسنادان جيدان ، وقد بناءً مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبيرة وقتادة وابن جريج ، وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن ^(١) أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ : لَا يَأْرَبُ ، أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ » .

لفظ أحمد . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وعلى بن يزيد يضعف في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني شيخ من أهل مصر ، قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبي مغيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفاً لهم صفته ، وأخبرهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفاً لهم أمره وبعض قوله ، وقالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

(١) الأصل بن أبي أمامة . وهو تحريف . وهو القاسم بن عبد الرحمن ، لم يرو إلا عن أبي أمامة من الصحابة .

قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه رأيكم .
سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه]^(١) ؟
وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور . فأخبرهم بها .
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا . فسأله عما أمروهم به .
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم غداً بما سألتهم عنه » .
ولم يستثن .

فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أُرْجِفَ أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه . وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة الكهف ، فيها مغابته إياه على

(١) من ابن هشام .

حزنه عليهم [وخبر] ^(١) ماسأله عنه من أمر الفتية والرجل الطَّوَّاف ، وقال الله تعالى :
« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا » .

وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولا ، فمن أرادَه فعليه بكشفه
من هناك .

ونزل قوله : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ
آيَاتِنَا عَجَبًا » .

ثم شرع في تفصيل أمرهم ، واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا
في قوله « وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ، واذكر ربك
إِذَا نَسِيتَ » .

ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر ، ثم ذى القرنين ، ثم قال : « وَيَسْأَلُونَكَ
عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا » ثم شرح أمره وحكى خبره .

وقال في سورة سبحان : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » .
أى خَلْقٌ عَجِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وأمرٌ من أمرِهِ ، قال لها كوني فكانت ، وليس لكم
الاطلاعُ على كل ما خلقه ، وتصويرُ حقيقته في نفس الأمرِ يَصْعبُ عليكم بالنسبة إلى
قدرة الله تعالى وحكمته ، ولهذا قال : « وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » .

وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ، فتلا عليهم هذه الآية .

فإما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً ، وإن كان نزولها متقدماً . ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة سبحان ففي قوله نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما خشي أبو طالب دم^(١) العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غيرُ مُسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه . فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهمُ	وقد قطعوا كلَّ العُرى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى	وقد طاعوا أمرَ العدوِّ المزائيلِ
وقد حالفوا قومًا علينا أظنَّةً	يمضون غيظًا خلفنا بالأناملِ
صبرتُ لهم نفسي بسراءٍ سمحة	وأبيضَ غضبٍ من تراثِ المَقاولِ ^(٢)
وأحضرتُ عند البيتِ رهطِي وإخوتي	وأمسكتُ من أثوابه بالوصائلِ
قيامًا معًا مُستقبلين رِثاجَه	لدى حيثُ يقضي حلفه كلُّ نافلِ ^(٣)
وحيثُ يُبنيخ الأشعرون ركابهم	بمُفضي السيول من إسافٍ ونائلِ
موسمةَ الأعضاء أو قصراتها	مُخيسةَ بين السِّديسِ وبازلِ ^(٤)
تري الودعَ فيها والرخامَ وزينةً	بأعناقها معقودةً كالعناكلِ ^(٥)

(٢) المضب : القاطع . والمقاول : الملوك .

(١) ابن هشام : دماء .

(٣) النافل : التبرئ .

(٤) الموسمة : المعلة . والقصرات : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . والمخيسة : المذلة . والسديس من الإبل : الذي دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذي خرج نابه ، وذلك في السنة التاسعة .

(٥) العناكل : الأغصان التي ينبت عليها التمر . واحدها عثكول ، وجمعها عناكيل ، وحذفت الياء للضرورة .

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَةٍ
وَتَوَزٍّ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَبَالَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذَا يَمْسُخُونَهُ
وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
وَتَوَقَّاهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَةً
وَلَيْلَةً جَمَعَ الْمَنَازِلَ مِنْ مِئَى
وَجَمَعَ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجَزَتْهُ
وَبِالْحَجَرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا
وَكِنْدَةً إِذْ هُمْ بِالْحَصَابِ عَشِيَةً
حَلِيفَانِ شَدًّا عَقْدًا مَا اِخْتَلَفَا لَهُ
وَحَطَمَهُمْ سُمُرَ الرِّمَاحِ وَسَرَحَهُ

عَلَيْنَا بِسَوْءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلٍ
وَمِنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
وَرَاقٍ لَيَزُقَى فِي حَرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِاللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَفَافِلِ
إِذَا اكْتَفَوْهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ
وَمَا فِيهِمْ مِمَّا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
إِلَالٍ إِلَى مُفْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَابِلِ ^(١)
يَقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
مِرَاعَا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ
يُؤْثُونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجُنَادِلِ
تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ
وَرَدًّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ
وَشَبْرَقَهُ وَخَدَّ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ ^(٢)

(١) إلال : جبل عرفة . قال النابغة :

* يَزُرُّنَ إِلَّا لَا مَسِيرُهُنَّ التَّدَافُعُ *

وسمى إلالا لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير ، أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والتراج : جمع شرج وهو مسبل الماء . والقوابل : التقابله .

(٢) الشبرق : نبات يقال ليايسه الحلى والرطبة الشبرق . والوخد : السير السريع . والجوافل : السرعة والرواية في الروض : سمر الصفاح ، وعليها يكون هناك معنى لطف « وسرحه » على سمر . والسمر : من شجر الطلع . والصفاح : جمع صفح وهو عرض الجبل . والسرح : شجر عظام .

فهل بعدَ هذا مِنْ مَعَاذٍ لَعَائِدٍ وهل من معيذٍ يَتَّقِي اللهَ عادلٍ
يطاع بنا أمرُ العداودِ أنا يُسَدُّ بنا أبوابُ تَرْكِ وَكَايِلٍ ^(١)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ تَتْرُكُ مَكَّةَ وَنَظُنُّ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَابِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ تُنْزِي مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَظَاعِنُ دُونَهُ وَنُتَاضِلِ ^(٢)
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَـوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ نَهْوِضُ الرِّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ ^(٣)
وَحَتَّى نَرَى ذَا الضُّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ مِنْ الطَّعْنِ فَعَلَ الْأَنْكَبِ الْمَتَحَامِلِ ^(٤)
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَدِسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَائِلِ
بَكْفَى فَتَى مِثْلِ الشَّهَابِ سَمِيدِيعِ أَخَى ثَقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ ^(٥)
شَهْورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُحَرَّمًا عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بِمَدَقَابِلِ
وَمَا تَرَكُ قَوْمٌ ، لَا أَبَالِكَ ، سِيدًا يَحُوطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مَوَاكِلِ ^(٦)
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عَصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ ^(٧)
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهَمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَبِكْرُهُ إِلَى بُفْضِنَا وَجَزَّ آتَانَا لَا كِلِ ^(٨)

(١) الاكتفا : * يطاعُ بنا العَدَى وودوا لَوْ أَنَا *
وهي رواية بعض نسخ ابن هشام .

(٢) نَزَى : نَسَب . وَى الرُّوضِ نَبَذَى . محرفة .

(٣) الروايات : الإبل تحمل الماء ، واحتشها روايا ، والصلاح : الزادات لها صالحة بالماء .

(٤) الضغن : العداوة . ويركب درعه : يخر صريعاً لوجهه . والأنكب : المائل إلى جهة .

(٥) السديد : السيد . (٦) الذرب بالنسكين مخففة من الذرب بكسر الراء ، وهو : اللسان

الفاحش النطق ، والمواكل : العاجز الذي يعتمد على غيره . (٧) ثمال اليتامى : الذي يشملهم ويقوم بهم

(٨) أسيد وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

- وعثمان لم يَرْبَع علينا وقنفذ^(١)
أطاعا أئيباً وابنَ عَمَد يَفْوْهُمْ
كما قد لقينا من سُبَيْعٍ ونَوْفَلٍ
فإن يُلقَيا أو يُمكن الله منهما
وذاك أبو عمرو أبى غيرَ بُغْضِنا
يناجى بنا فى كلِّ مَمْسَى ومَصْبَحٍ
ويؤلى لنا بالله ما إن يَغُشُّنا
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعَةٍ
وسائلُ أبا الوليد ماذا حَبَوْتَنَا
وكنْتَ امرأً ممن يُعَاشِ برأيه
فَعُتِبَ لا تسمع بنا قولَ كاشِحٍ
ومرَّ أبو سفيان عَنِّي مُعْرِضاً
يفرُّ إلى نَجْدٍ وبرْدٍ مياهِه
ويخبرنا فَعَلَّ الْمَنَاصِحَ أَنه
أُمْطِعِمُ لم أَخْذَلْ فى يومِ نَجْدَةٍ
ولا يومَ خَصَمٍ إذ أتوك الدَّةَ^(٢)
ولكن أطاعاً أمرَ تلك القبائلِ^(٣)
ولم يَرْقُباً فينا مَقَالَةَ قَائِلٍ^(٤)
وكلُّ تَوَلَّى مُعْرِضاً لم يُجَامِلِ^(٥)
نَكَلٌ لها صاعاً بصاعِ المُكَايِلِ
لِيُظْعِنَنَا فى أهلِ شَاءٍ وجَامِلِ^(٦)
فناجِ أبا عمرو بنا ثم خَاتِلِ^(٧)
بلى قد نراه جَهْرَةً غيرَ خَائِلِ^(٨)
من الأرض بين أَخْشَبٍ فَمَجَادِلِ^(٩)
بَسَعِيكَ فينا مُعْرِضاً كَالْحَاتِلِ
ورحمته فينا ولست بِجَاهِلِ
حسودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذى دَغَاوِلِ^(١٠)
كما مرَّ قَيْلٌ من عَظَامِ الْمَقَاوِلِ
ويزعم أنى لست عنكم بِغَافِلِ
شَفِيقٍ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاحِلِ
ولا مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
أولى جَدَلٍ من الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ^(١١)

(١) عثمان بن عبيد الله أخو طلحة ، وقنفذ : ابن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة . (٢) أبى : الأخنس بن شريق . (٣) سبيع : ابن خالد ، أخو بلعازث بن فهر .
ونوفل : ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . (٤) أبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن
نوفل بن عبد مناف . ويضعنا : يخرجنا . والشاء : اسم جمع ، وكذلك الجامل . (٥) خاتل : خادع .
(٦) يؤلى : يقسم . وفى ابن هشام : غير حاتل . (٧) التلعة : المشرف من الأرض .
(٨) الدغاوِل : القوائِل . (٩) المساجل : جمع مسجل بكسر الميم ؛ وهو الحصم السدافع .
أو جمه مساجل بضم الميم ، على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، وتروى بالهاء جمع مسجل وهو اللسان .

أَمْطَعُمْ إِنْ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً
 جَزَى اللَّهُ عَنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا
 بَمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يَخِيْسُ شَعِيرَةً
 لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ نِزْوَانَةِ هَاشِمٍ
 وَسَهْمٍ وَمُخْزُومٍ تَمَالَوْا وَأَلْبُوا
 فَعَبْدَ مَنْافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ
 وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبٍ قَدِيرٍ وَأَنْتُمْ
 لِيَهِنِ بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ عُقُوقُنَا
 فَإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَيْزُ مَا صَنَعْتُمْ
 فَأَبْلَغُ قُصِيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصِيًّا عَظِيمَةً
 وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلَالَ بَيُوتِهِمْ
 فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنُ أُخْتٍ نَعْدُهُ
 سَوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ
 وَإِنِّي مَتَى أُوَكِّلُ فَلَسْتُ بِوَائِلٍ
 عَقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ
 لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ ^(١)
 بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بَنَاءً وَالْفَيَاطِلِ ^(٢)
 وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلٍ ^(٣)
 فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلٍ ^(٤)
 وَجِئْتُكُمْ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِلْمَقَاصِلِ
 الْآنَ حِطَابٌ أَقْدَرُ وَمَرَا جِلٍ ^(٥)
 وَخُذْلَانَا وَتَرَكْنَا فِي الْمَعَاقِلِ
 وَتَحْتَلِبُوهَا لِقَحَّةً غَيْرَ بَاهِلٍ ^(٦)
 وَبَشَّرُ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذِلِ
 إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
 لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ
 لَعَمْرِي وَجَدْنَا غِيَةً غَيْرَ طَائِلٍ ^(٧)
 بَرَاءً إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلٍ

- (١) يخيس . من خاس بالعهد إذا نقضه . وتروى لا يخس ، أى لا ينقص . والعائل : الظالم
 (٢) الفياطل : بنو سهم لأن أهمهم الفيلة . (٣) الطمل : اللص وهو الفاحش أيضاً .
 (٤) الواغل : التطفل . (٥) الحطب : اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع . وقوله : خطاب أقدر
 هو جمع حاطب . والمعنى : كنتم متفقين لا تحطبون إلا لأقدر واحدة فأنت الآن بخلاف ذلك .
 (٦) تنثر : تنأر . واللقحة : الناقة ذات اللبن . والباهل : النقة التى لا صرار على أخلافها فهى مباحة
 الحلب ، يقال : ناقة مصرورة إذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع .
 (٧) غيه : عاقبته .

ونعم ابنُ أختِ القومِ غيرُ مكذَّبٍ زهيرٌ حُساماً مُفرداً من حمائلِ
أشْمُ من الشَّمِّ البهاليلِ ينتمى إلى حسبٍ في حومةِ الجحد فاضلِ
لعمري لقد كُلِّفَتْ وَجداً بأحمدٍ وإخوته دأبُ الحبِّ المواصلِ
فمن مثله في الناسِ أيُّ مؤمِّلِ إذا قاسه الحكمُ عند التفاضلِ
حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غير طائشٍ يوالى إلهاً ليس عنه بغافلِ
كريمٌ المساعي ماجدٌ وابن ماجدٍ له إرثٌ مجدٍ ثابتٌ غير ناضلِ^(١)
وأيده ربُّ العبادِ بنصره وأظهر ديناً حقَّه غير زائلِ
فوالله لولا أن أجيء بسبِّة تُجرُّ على أشياخنا في المحافلِ
لكنا تبغناه على كلِّ حالةٍ من الدهرِ جدًّا غير قول التهازلِ
لقد علموا أنَّ ابننا لا مُكذَّبٌ لدينا ولا يُعْنَى بقول الأباطلِ
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومة تقصَّر عنها^(٢) سَورة المتناولِ
حدِّبْتُ بنفسى دونه وحيته ودافعت عنه بالذَّرى والكلالِ كلِّ

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها كثيراً .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أغلُ من المعلقات السبع ! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها^(٣) .
وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات آخر والله أعلم .

(١) هذا البيت وما بعده ليسا في ابن هشام . وناصل : زائل . (٢) ابن هشام : تقصّر عنه . (٣) أصدر ابن كثير رحمه الله هذا الحكم ، وفضل هذه القصيدة المفككة الأوصال على المعلقات السبع رغم ما فيها من ألفاظ متكلفة ومعاني ركيكة ، وعذره أنه لم يكن ناقداً أو خبيراً في الشعر . والقصيدة تخلو من طابع ذلك العصر في الألفاظ والمعاني والأساليب .

فصل

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدّوا على مَنْ أسلم واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم ، يفتنونهم عن دينهم .

فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ، ومنهم من يَصْلُبُ لهم ويعصمه الله منهم .

فكان بلال مولى أبي بكر ، لبعض بني جَحْجَ مولدًا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرج به إذا حمت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزرى .
فيقول ، وهو في ذلك : أحدٌ أحد .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرُّ به وهو يعذب لذلك وهو يقول : أحدٌ أحد . فيقول : أحدٌ أحد والله يا بلال !
ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جَحْجَ فيقول : أحلف بالله لئن قتلتنموه على هذا لآتخذنه حنّانا^(١) .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ،

(١) أى لآتخذن قبره منسكا ومستمرا .

وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول « يا أيها المدثر » فكيف يمرُّ ورقة ببلال ، وهو يعذَّب ؟ وفيه نظر .

ثم ذكر ابن إسحاق مرورَ أبي بكر ببلال وهو يعذَّب ، ناشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب .

وذكر مشتراه لجماعة من أسلم من العبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فُهيرة ، وأم عُميس^(١) [وزيرة^(٢)] التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها .

والنهدية وابنتها ، اشتراها من بنى عبد الدار ، بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً . فقال أبو بكر : حل^(٣) يا أم فلان . فقالت : حل ، أنت أفسدتهما فأعتقتهما . قال : فيكم ها ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليهما طحينها . قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما . قال : [أو] ذلك إن شئنا .

واشترى جارية بنى مؤمل ، حى من بنى عدي ، كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض أهله . قال : قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يا بني إني أراك تعتق ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلا جلداء يمنعونك ويقومون دونك .

قال : فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد .

(١) كذا بالأصل وابن هشام والروض الأثف . ولكن الزرقاني ضبطها بعين مهملة مضمومة فتون . وقيل بموحدة فتحتية . شرح المواهب ٢٦٩/١ .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام والمراجع . (٣) حل : تحللى من يمينك ، وفق الاكتفاء : حل . بالنصب وهو أفصح .

قال : فُيُحَدِّثُ أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ وَفِيمَا قَالَ أَبُوهُ : « فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْغَيْبِ » إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زُرِّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعُمَار ، وأمه سُمَيَّة ، وصُهَيْب ، وبلال ، والمقداد .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَعِمَ اللَّهُ بِعَمِهِ ، وأبو بكر منعهُ الله بقومه ، وأما سائرهم فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا ، إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ .

ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا .

قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمَّار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ ، إِذَا حَمَيْتِ الظَّهيرةُ يَعْذِبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ .
فيمرُّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول - فيما بلغني - : « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مُوعِدُكُمْ الْجَنَّةَ » .

وقد روى البيهقي عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمَةَ الْعَدْلِ ، حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بْنُ خُزَيْمَةَ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِعَمَارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يَعْذِبُونَ فَقَالَ : « أَبْشُرُوا آلَ عَمَارٍ وَآلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ » فَأَمَّا أُمُّهُ فَيَقْتُلُوهَا فَتَأْبِي إِلَّا الْإِسْلَامَ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال .
أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد : أم عمار سُمَيَّة ، طعنها أبو جهل بحربة في قلبها .
وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق : وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش ،
إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزّاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير
منك ، لنسفهم حلمك ، ولنفيان^(١) رأيك ، ولنضعن شرفك . وإن كان تاجراً قال :
والله لنكسبن تجارتك ، وإنه لكان ماله . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .
لعنه الله وقبحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني حَكِيم بن جُبَيْر ، عن سعيد بن جبیر قال : قلت لعبدالله
ابن عباس : أكان المشركون يبلفون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العذاب ما يُعذّرون به في ترك دينهم ؟

قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن
يستوى جالساً من شدة الضر الذي به ، حتى يعطيهم مأسأله من الفتنة ، حتى يقولوا له :
اللات والعزى إلهان من دون الله ؟ فيقول : نعم ! افتدأ منهم بما يبلفون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى « مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٢) .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجازنا الله من
ذلك بنحوه وقوته .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خبّاب بن الأرت . قال : كنت رجلاً قيناً ، وكان لى عَلَى العاص بن وائل دينٌ ، فأتيته أتناضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال فإني إذا متُ ثم بعثت جئتني ولى ثمَّ مال وولد فأعطيك ! فأنزل الله تعالى « أفرأيت الذى كَفَرَ بآياتنا وقال لا وتينَ مالاً وولداً » إلى قوله « ويأتينا فرداً » ^(١) . أخرجاه فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش به .

وفى لفظ البخارى : « كنت قينا بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتناضاه » فذكر الحديث .

وقال البخارى حدثنا الحميدى ، حدثنا سُفيان ، حدثنا بَيَّان ^(٢) وإسماعيل ، قالوا : سمعنا قيساً يقول : سمعت خبّاباً يقول : أتيت النبیَّ صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد ببردة ^(٣) وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدةً ، فقلت : ألا تدعو الله ؟

فقعد وهو محمّرٌ وجهه فقال : « قد ^(٤) كان من كان قبلكم ليُمَشَط بأمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب ، ما يَصْرِفه ذلك عن دينه ، ويوضع للمشار على مَفْرَق رأسه فيشق باثنين ^(٥) ما يَصْرِفه ذلك عن دينه ، وليَتَمَنَّ الله هذا الأمرَ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل » زاد بَيَّان ^(٦) « والذئب على غنمه » .

وفى رواية « ولكم تستعجلون » .

انفرد به البخارى دون مسلم .

(١) سورة مريم ٧٧-٨٠ (٢) فى ط ، خ : بنان وهو تحريف ، وما أثبتته من البخارى ١٨٢/٢

(٣) البخارى : بردة . (٤) البخارى : لقد . (٥) البخارى : نائتين .

(٦) خ ، ط : بنان وهو تحريف .

وقد روى من وجه آخر عن خَبَّاب وهو مختصر بن هذا والله أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان وابن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، عن خَبَّاب ، قال : شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم شدة الرَّمْضَاءِ فما أَشْكَانَا . يعنى فى الصلاة . وقال ابن جعفر : فلم يُشْكَنَا .

وقال أيضا : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبي إسحاق قال : سمعت سعيد بن وهب يقول : سمعت خَبَّابًا يقول : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكَنَا . قال شُعْبَةُ : يعنى فى الظهيرة .

ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق السَّيِّعِي ، عن سعيد بن وهب ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمْضَاءِ . - زاد البيهقي : فى وجوهنا وأَكْفَنَّا - فلم يُشْكَنَا .

وفى رواية شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فى الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكَنَا .

ورواه ابن ماجه ، عن على بن محمد الطَّنَافِسىّ ، عن وَكِيع ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب العبدي ، عن خباب قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكَنَا .

والذى يقع لى ، والله أعلم ، أن هذا الحديث مختصر من الأول ، وهو أنهم شكوا إليه صلى الله عليه وسلم ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرَّمْضَاءِ ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم على المشركين ، أو

يستنصر عليهم ، فوعدهم ذلك ولم يُنجزه لهم في الحالة الراهنة ، وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم ، ويبشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه ، وينشره وينصره في الأقاليم والآفاق ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون .

ولهذا قال : « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّ الرَّمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يُشكِنَا » أى لم يدع لنا في الساعة الراهنة .
فمن استدلل بهذا الحديث على عدم الإبرار ، أو على وجوب مباشرة المصلّى بالكف ، كما هو أحد قولى الشافعى ، فقيه نظر . والله أعلم .

باب

مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافيهم في أنفسهم بالحق ، وإن أظهروا الخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب السخّتيّانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبّله !

قال : قد علمت قريش أنى من أكرها مالا .
قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له .

قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُغْدِق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعَلَى ، وإنه ليحطم ما تحته .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

قال : قف عني حتى أفكر فيه .

فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يُؤَثِّرُ يَأْثُرُه عن غيره . فنزلت « دَرَنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ^(١) » الآيات .

هكذا رواه البيهقي عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة ، عن إسحاق به . وقد رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلاً . فيه أنه قرأ عليه « إن الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ^(٢) » .

وقال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جُبَيْر ، أو عكرمة عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قریش وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسم ^(٣) فقال : إنا وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً ^(٤) .

فقيل : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً تقوم به ^(٥) .

(١) سورة المدثر ١١-١٣ . (٢) سورة النحل ٩٠ . (٣) ط : المواسم . محرفة .

(٤) ابن هشام : ويرد قولكم بعضه بعضاً . (٥) ابن هشام والمراجع : قول .

فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا : نقول كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، رأيت الكهان ، فما هو بزمزمة الكهان . فقالوا : نقول مجنون . فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بجنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر . فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر . قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرم فما هو ببنقه ولا بعقده .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعدق^(١) ، وإن فرعه لجئي^(٢) ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا : هذا ساحر ، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون للناس حين^(٣) قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

وأُنزل الله في الوليد « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً^(٤) » الآيات ، وفي أولئك نفر الذين جعلوا القرآن عِصِينَ : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٥) » .

قلت : وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقولهم : « بل قالوا أضغاث أحلامٍ بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ^(٦) » فخاروا ماذا يقولون

(١) خ ط : لمغلق . وما أثبتته عن ابن هشام والعدق : النخلة (٢) ابن هشام : لجناة وهو ما يجنى من الثمر (٣) الأصل : حتى ، وما أثبتته عن ابن هشام . (٤) سورة المدثر ١١ - ١٣ (٥) سورة الحجر ٩٢ ، ٩٣ (٦) سورة الأنبياء ٥

فيه ، فكل شيء يقولونه باطل . لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ . قال الله تعالى :
« انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ^(١) » .

وقال الإمام عبدُ بنِ حميد في مسنده : حدثني أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ، حدثنا علي ابنِ مسنهر ، عن الأجلح ، هو ابن عبد الله الكِنْدِي ، عن الذَّيَّال بن حَرَملة الأَسَدِي ، عن جابر بن عبد الله ، قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلّمه ولينظر ماذا يرد عليه .

فقالوا : ما نعلم أحداً غير عُتْبَةَ بنِ ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد .

فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلّم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلةً ^(٢) قط أشأم على قومه منك ، فرَّقَت جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وعِبتَ ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ! إن كان إنما بك الحاجةُ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوجك عشرةً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرغت ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله

(١) سورة الإسراء ٤٨ (٢) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن .

صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » إلى أن بلغ « فإن أعرضوا قفلُ أنذرْتُكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود . »

فقال عتبة : حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركتُ شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .

قالوا : فهل أجابك ؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذي نصَّبها بنِيَّة ما فهمتُ شيئا مما قال ، غير أنه أنذرَكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود .

قالوا : ويلك ! يكلمك الرجلُ بالعربية لا تدرى ما قال ؟

قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذِكْرِ الصاعقة .

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم ، عن الأصم عن عباس الدُّوري ، عن يحيى بن معِين ، عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح به . وفيه كلام .

وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت .

وعنده أنه لما قال : « فإن أعرضوا قفلُ أنذرْتُكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود »

أمسك عُتبة ^(١) على فيه وناشده الرَّحْم أن يكفَّ عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم .

فقال أبو جهل : والله يامعشر قريش ما نرى عُتبة إلا صَبَا إلى محمد وأعجبه طعامه ،

وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابته ، انطلقوا بنا إليه فأتوه .

فقال أبو جهل : والله ياعتبة ماجئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن

كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد .

فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمداً أبداً . وقال : لقد علمت أنى من أكثر قریش مالا ،
ولكنى أثبتته ، وقصّ عليهم القصة ، فأجابنى بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة ،
قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم » حتى بلغ « فإن أعرضوا
فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عادٍ وثمود » فأمسكتُ بفيه وناشدته الرَّحْمَ أن
يكفَّ ، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، نفخت أن ينزل عليكم العذاب .

ثم قال البيهقي : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ،
عن محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال :
حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليماً ، قال ذات يوم وهو جالس في نادى قریش ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد : يامعشر قریش ألا أقوم إلى هذا
فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا .

قالوا : بلى يا أبا الوليد !

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له
عتبة وفيما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال والمالك وغير ذلك .

وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يامعشر قریش ألا أقوم إلى محمد فأكله وأعرض
عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرُونَ .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلّه .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا
حيثُ قد علمت من السَّطَّة ^(١) في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك فد أثبت قومك

(١) الأصل النطر . وهو تحريف وما أثبتته من الاكتفا للكلاعى . والسطّة : الشرف .

بأمرٍ عظيمٍ فرقت جماعتهم ، وسفّيت به أحلامهم ، وعبتَ به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الوليد أسمع » .

قال : يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيّاً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرّئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أفرغتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : اسمع مني . قال : أفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حمّ تنزّيلٌ من الرحمن الرحيم كتابٌ فضّلت آياته قرآنًا عربيًّا لقويمٍ يعلمون » فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، فلما سمع بها عتبة أنصت لها ، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه .

حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : « سمعتَ يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعتُ . قال : « فأنت وذاك » .

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جاسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأيتُ أني والله قد سمعت قولاً

ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه مملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيي لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم ذكر يونس ، عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة ابن الفضل الأدمي بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي ، حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا الثني بن زُرعة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » أتى أصحابه فقال لهم : ياقوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعصوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاماً ما سمعتُ أذنأي كلاماً مثله ، وما دريت ما أردد عليه .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه .

ثم روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني الزهري قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة لسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلورآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى تتعاهد ألا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها [وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها ^(١)] فقال الأحنس : وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا ^(٢) على الركب وكنا كفرسَى رهان قالوا : منا نبيٌ يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ! والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه . فقام عنه الأحنس بن شريق .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبه . قال : إن أولَ يوم عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

(١) من الاكتفا . (٢) الاكتفا : تحادينا .

صلى الله عليه وسلم لأبى جهل : « يا أبا الحكم ، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » .

فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنتهِ عن سبِّ آلِهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بَلَّغْتَ ؟ فنحن نشهد أن قد بَلَّغْتَ ، فوالله لو أنى أعلم أن ماتقول حق لا تبعثك .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل علىَّ فقال : والله إني لأعلم أن مايقول حق ، ولكن [يمنعنى] شىء ، إن بنى قُصَى قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا الذَّوَّة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللِّوَاء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكَت الرُّكَب قالوا : منا نبى ! والله لا أفعل .

وقال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا محمد بن خالد ، حدثنا أحمد بن خلف ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق . قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأبى سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بنى عبد شمس . قال أبو سفيان : وتَعْجَب أن يكون منا نبى ! فالنبيُّ يكون فيمن أقلُّ منا وأذل .

فقال أبو جهل : أعجبُ أن يخرج غلامٌ من بين شيوخ نبيًّا !
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ، فأتاهما فقال : « أمّا أنت يا أبا سفيان ، فالله ورسوله غضبتَ ولكنك حَمِيتَ للأصل . وأمّا أنت يا أبا الحكم ، فالله لتضحكنَّ قليلاً ولتبكين كثيراً » فقال : بئسما تَعِدُنِي يا بنى أخى من نبوتك .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وقول أبى جهل ، لعنه الله ، كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه « وإذا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوًّا ، أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ؟ إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مِنْ أَضَلِّ سَبِيلًا ^(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، حدثنا أَبُو بَشرٍ ، عن سعيد بن جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوارٍ بمكة « ولا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا » ^(١) .

قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « ولا تجهر بصلاتك » أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن « ولا تخافُتُ بها » عن أصحابك ، فلا تُسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك « وابتغ بين ذلك سبيلاً » . وهكذا رواه صاحبنا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله تعالى « ولا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ » فيتفرقوا عنك « ولا تُخَافُتُ بِهَا » فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به « وابتغ بين ذلك سبيلاً » .

إلى هنا ينتهى الجزء الأول من السيرة النبوية لابن كثير

وبليه الجزء الثانى وأوله باب الهجرة إلى الحبشة

فهرس الموضوعات

الصفحة

	الموضوع
	ذكر أخبار العرب :
٣	نسبة العرب
٣	الخلاف فى نسبة حمير
٤	الخلاف فى نسبة قضاعة
٨	له قصة سبأ
١٣	لم يخرج كل أهل سبأ من اليمن
١٤	قصة ربيعة بن نصر مع شق وسطيح
١٨	قصة تبع ملك اليمن مع أهل المدينة
٢٤	حسان بن تبان يلى أمر اليمن
٢٥	وثوب لخنيعة ذى شناتر على ملك اليمن
٢٦	ذو نواس يملك اليمن
٢٦	أصل النصرانية ببلاد العرب ، وأصحاب الأخدود
٢٧	انتقال ملك اليمن إلى الحبش
٢٨	قصة أبرهة الأشرم
٢٩	قصد أبرهة مكة ليخرب الكعبة ، وعاقبته
٣٩	أشعار العرب فى حادث الفيل
٤١	من ملك اليمن بعد أبرهة
٤٢	خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذى يزن
٤٥	أبيات لسيف بن ذى يزن فى هزيمة الحبشة

- ٤٥ أبو الصلت يهنيء سيف بن ذى يزن
٤٦ شعر لعدى بن زيد في انتقال الملك عن الحبشة
٤٧ مدة ملك الحبشة باليمن
٤٨ ما آل إليه أمر الفرس باليمن
٥٠ قصة الساطرون صاحب الحضرة
٥٢ شعر لأعشى قيس في قصة الحضرة
٥٣ وشعر لعدى بن زيد في أمر الحضرة
٥٥ خبر ملوك الطوائف

باب ذكر بني إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة :

- ٥٦ قصة إسماعيل
٥٧ نسبة عرب الحجاز إلى إسماعيل
٥٧ جُرهم تلى البيت الحرام
٥٨ القتال بين جُرهم وخزاعة
٥٨ صيرورة الأمر إلى خزاعة
٥٨ شعر لعمر بن الحارث الجهمي
٦٠ ولاية خزاعة للبيت
٦١ عمرو بن لحي وعبادة الأصنام بأرض العرب
٦٣ أحاديث في أمر عمرو بن لحي
٦٦ ما ابتدعه العرب في الدين
٦٨ أصنام العرب
٧٠ طواغيت العرب

الصفحة	الموضوع
٧٤	خبر عدنان جد عرب الحجاز
٧٤	عدة الآباء بينه وبين إسماعيل
٧٤	بين عدنان وأرمياء
٧٥	كراهية مالك لرفع النسب إلى مابعد عدنان
٧٥	نقول عن السلف في ذلك
٧٧	قصيدة أبي العباس الناشيء في نظم النسب النبوى
٨١	شئء عن أبي العباس الناشيء
٨٢	ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان :
٨٢	أولاد عدنان
٨٢	أولاد معد
٨٢	أولاد نزار
٨٣	أولاد مُضر
٨٣	أولاد إلياس
٨٤	أولاد مدركة
٨٤	أولاد خزيمه
٨٤	أولاد كنانة
٨٤	الكلام على قریش نسباً واشتقاقاً وفضلاً
٨٤	نسب قریش
٨٧	اشتقاق قریش
٨٩	أولاد النضر بن كنانة
٩٠	أولاد مالك بن النضر
٩٠	أولاد فهر .

الصفحة	الموضوع
٩٠	أولاد غالب
٩٠	أولاد لؤى
٩٠	خبر سامة بن لؤى
٩١	خبر عوف بن لؤى
٩٢	بنو مرة بن عوف
٩٢	أمر البسل
٩٣	أولاد كعب بن لؤى
٩٣	أولاد مرة
٩٣	أولاد كلاب بن مرة
٩٤	الجدرة
٩٤	خبر قصى بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت من خراقة .
٩٥	إجازة الحجيج كانت إلى صوفة
٩٥	وكانت الإجازة من مزدلفة في عدوان
٩٥	خبر عن عامر بن الظرب العدواني
٩٦	كان النسيء في بني قُقيم بن غدي
٩٦	أول من نسا الشهور على العرب
٩٦	شعر لجذل الطمان
٩٦	عود إلى خبر قصى
٩٧	ولاية قصى البيت
٩٧	كان اقصى جميع الرئاسة
٩٩	شعر في مدح قصى
٩٩	شعر لرزاح في إجابته أخاه قصيا

- ١٠٠ شعر ينسب لقصى بن كلاب - قصى يفوض المهام إلى عبد الدار
١٠١ أحفاد قصى يتنازعون على الرئاسة ثم يتقاسمونها
١٠٢ أولاد قصى - أولاد عبد مناف - أولاد هاشم - أولاد عبد المطلب
١٠٣ ولد عبد الله محمدًا صلى الله عليه وسلم

ذكر مجمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية ذكر جماعة مشهورين كانوا في الجاهلية

- ١٠٤ خبر خالد بن سنان
١٠٦ التحقيق أنه لم يكن نبيا
١٠٧ ذكر حاتم الطائي - أحاديث في أمر حاتم
١٠٩ خبر عن جود حاتم
١١١ أشعار لحاتم
١١٣ تعليق للقاضي أبي الفرج على بيت لحاتم - حاتم يقسم عطية النعمان على قومه -
١١٣ قيل لحاتم : هل في العرب أجود منك ؟
١١٤ كانت أم حاتم لا تمسك شيئا أيضا
١١٥ حاتم يقرى ضيوفه وهو ميت !
١١٦ ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان - سبب ثرائه
١١٧ لا ينفعه كرمه عند الله
١١٨ ذكر امرئ القيس - أحاديث في شأنه
١١٩ امرؤ القيس وذو الخلصة
١٢٠ موت امرئ القيس - المعلقات السبع

- ١٢٢ ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت - نزلت في شأنه آية من القرآن
- ١٢٣ خبر أمية مع أبي سفيان
- ١٢٩ رواية أخرى
- ١٣١ أخته تروى للرسول صلى الله عليه وسلم خبرا عنه
- ١٣٣ أمية يريد الإسلام ثم يُحْجَم
- ١٣٤ شهر له عند وفاته
- ١٣٥ أمية أول من قال : باسمك اللهم
- ١٣٦ كان يتفرس في لغة الحيوان
- ١٣٧ كاد أمية أن يسلم - الرسول يستمع إلى شعر أمية
- ١٣٨ ويصدق في شيء من شعره - من شعر أمية
- ١٤٠ بحيرى الراهب
- ١٤١ ذكر قس بن ساعدة - أحاديث عنه
- ١٥٣ التحقيق في حديث قُسّ - ذكر زيد بن عمرو بن نفيل - نسبه
- ١٥٤ ترك زيد عبادة الأوثان - أخبار في ذلك
- ١٥٥ الخطّاب يؤذى زيدا - كان زيد يعيب على قريش ذبائحهم - خرج يطلب الحنيفية دين إبراهيم .
- ١٥٦ يبعث أمة وحده
- ١٥٧ لقاءه لراهب بالموصل
- ١٥٨ كان لا يأكل مما ذبح على النصب - كان يصلى لِقَبْلَةِ إبراهيم
- ١٥٩ انتظاره لخروج النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه له - خبر البخارى في لقاء زيد للرسول صلى الله عليه وسلم
- ١٦٠ رَفَضَهُ لليهودية والنصرانية - كان يحبى الموءودة وينهى عن الفاحشة

الصفحة

الموضوع

- ١٦١ يحشر أمة وحده - توفي وقريش تبني الكعبة
١٦٢ ترحم الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وإخباره عنه - من شعر زيد بن نفييل
١٦٤ شعر لورقة بن نوفل في شأن زيد - مصير رفقة الذين خرجوا يلتمسون معه الدين

ذكر شيء مما وقع من الحوادث زمن الفترة :

- ١٦٦ بنيان الكعبة - ذكر كعب بن مالك
١٦٧ تجديد حفر زمزم وخبر عبد المطلب
١٧١ عبد المطلب يعثر على كنز الكعبة
١٧٢ فضل ماء زمزم
١٧٣ عبد المطلب لا يحملها لغتسل - أمر السقاية
١٧٤ ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده
١٧٦ فتوى لابن عباس وابن عمر - ذكر تزويج عبد الله من آمنه

كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٨٣ باب ذكر نسبه الشريف - من أسمائه صلى الله عليه وسلم
١٨٤ ابن عبد الله - عماته صلى الله عليه وسلم - ابن عبد المطلب
١٨٥ إخوة عبد المطلب - ابن هاشم - إخوة هاشم
١٨٧ أخواته - ابن عبد مناف - ابن قصي - ابن كعب - ابن لؤي - ابن غالب
١٨٨ ابن فهر - ابن مالك - ابن النضر - ابن كنانة - ابن خزيمه - ابن مدركة - ابن الياس - ابن مضر - ابن معد - ابن عدنان - لا خلاف في هذا النسب .

- ١٨٩ « نحن بنو النضر بن كنانة » - « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح »

الموضوع

الصفحة

- ١٩١ أحاديث في فضل نسبه صلى الله عليه وسلم
 ١٩٤ شعر لأبي طالب في مدح النبي
 ١٩٥ شعر للعباس في مدحه صلى الله عليه وسلم
 ١٩٦ رواية أخرى عن حسان بن ثابت
 ١٩٧ لم يسم أحد قبله أحمد - ولم يسم أحد قبله محمدا إلا ستة - ولم يدع أحد منهم النبوة .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١٩٨ ولد يوم الاثنين - نقول عن العلماء في ذلك
 ١٩٩ أخطأ من قال يوم الجمعة - كان ذلك في شهر ربيع الأول - روايات في يوم مولده
 ٢٠٠ قيل إنه ولد في رمضان - روايتان في زمن حمل أمه به
 ٢٠١ ولد في العشرين من نيسان - كان مولده عام الفيل - روايات في ذلك
 ٢٠٤ صفة مولده الشريف - مات أبوه وهو حمل في بطن أمه
 ٢٠٥ وقيل مات بعد مولده بشهور - الأول أثبت
 ٢٠٦ ما قيل لأمه حين حملت به
 ٢٠٧ وصف أمه لمولده
 ٢٠٨ فرح عبد المطلب بمولده
 ٢٠٩ ولد مختوناً مسروراً
 ٢١٠ وقيل ختنه جبريل حين طهر قلبه - انفلقت عنه البرمة - سماه جده محمدا .
 ٢١١ ألهمهم الله ذلك - حديث غريب عن العباس - ما وقع من الآيات ليلة مولده
 ٢١٥ ذكر ارتجاس الإيوان وخود النيران - خبر عبد المسيح مع سطيح وتأويله
 لرؤيا كسرى .

- ٢١٨ آخر ملوك الفرس - شيء عن سطيح
- ٢٢٠ من شعر سطيح - حديث موضوع عن سطيح - لم يدرك سطيح الإسلام - وفاته
- ٢٢١ وراثته الكهانة - شيء عن عبد المسيح بن عمرو الكاهن
- ٢٢٢ راهب يتنبأ بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٣ ذكر حواضنه ومراضعه صلى الله عليه وسلم : - أم أيمن - ثوبية
- ٢٢٥ رضاعه من حليلة السعدية - نسب حليلة - اسم زوجها - قصة حليلة وإرضاعها للرسول
- ٢٢٨ شق صدره عند حليلة وإرجاعه إلى أمه
- ٢٣٣ عفو الرسول عن قوم حليلة يوم هوازن
- ٢٣٥ عودة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمه - وفاة أمه - زيارة الرسول لقبر أمه ونهيها عن الاستغفار لها
- ٢٣٧ حال أبي الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٢٣٨ مات عبد المطلب على دين الجاهلية - التحقيق في شأن أبوي الرسول وجدّه
- ٢٣٩ لم يصح إسلام أبويه - كفالة عبد المطلب للرسول
- ٢٤٠ إكرام عبد المطلب له
- ٢٤١ وفاة عبد المطلب - كفالة عمه أبي طالب
- ٢٤٣ خروجه مع عمه أبي طالب وقصته مع بحيرى
- ٢٤٦ رواية أخرى في قصة بحيرى
- ٢٤٧ نقد هذه الرواية
- ٢٤٩ شب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قومه

- (٢٥٠) فصل في منشأه عليه السلام وكفالة الله له - شُدَّ عليه إزاره وهو ينقل الحجارة
- ٢٥٢ ما همَّ بشيء من عمل الجاهلية - كراهته للأصنام
- ٢٥٤ كان يقف بعرفات توفيقاً من الله
- ٢٥٥ شهوده حرب الفجار
- ٢٥٧ شهوده حلف الفضول
- ٢٥٩ سبب حلف الفضول
- ٢٦١ منازعة بين الحسين بن علي والوليد بن عتبة
- ٢٦٢ زواجه بخديجة
- ٢٦٣ أولاده من خديجة
- ٢٦٥ عمره حين تزوج خديجة - ما كان يشتغل به قبل الزواج
- ٢٦٦ رواية غريبه في زواجه بخديجة
- ٢٦٨ شعر لورقة في أمر النبي
- ٢٧٠ تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث
- ٢٧١ إبراهيم أول من بنى الكعبة - فضل المسجد الحرام
- ٢٧٣ آدم يحج البيت - بناء قريش البيت - وضع الحجر الأسود
- ٢٧٥ السبب في بناء قريش الكعبة
- ٢٧٧ تجزأت قريش الكعبة
- ٢٧٨ قصة المهدم
- ٢٧٩ ما وجد فيها من الكتب
- ٢٨٠ رواية ابن إسحاق في بناء الكعبة ووضع الحجر
- ٢٨١ لم يبنوها على قواعد إبراهيم

الصفحة

الموضوع

٢٨٣

شعر الزبير بن عبد المطلب

٢٨٤

أمر الخمس

كتاب مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر شيء من البشارات بذلك

٢٨٦

بشرت به الأخبار والرهبان

٢٨٧

دعوة إبراهيم وبشرى عيسى

٢٨٨

تقدم نبوته صلى الله عليه وسلم

٢٨٩

حديث الكهان من العرب

٢٩٠

فرغت العرب للرمي بالنجوم

٢٩١

كان اليهود يستفتحون بالرسول على المشركين ثم كفروا به

٢٩٤

بشارة ابن الهيثبان بالرسول

٢٩٥

إسلام زيد بن سعية

٢٩٦

إسلام سلمان الفارسي

٣٠٣

رواية أخرى في إسلام سلمان

٣٠٤

رواية البيهقي في إسلام سلمان

٣٠٨

أخبار غريبة في البشارة بالنبي - خبر عن هاشم بن عبد مناف

٣٠٩

رؤيا لعبد المطلب

٣١١

خبر عن أبي سفيان

٣١٤

قصة عمرو بن مرة

٣١٦

أخذ الميثاق على الأنبياء بالتصديق به

٣١٧

تقدم نبوته

الصفحة	الموضوع
٣٢٠	أخذ الله ميثاق النبيين
٣٢٢	بشارة لأهل بَصْرَى
٣٢٣	من شهادة اليهود للرسول
٣٢٥	رؤيا مختصر
٣٢٦	صفة النبي في التوراة
٣٢٩	العلم بوجوده في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين بالضرورة
٣٣٠	ذكره عند النصارى
٣٣٤	بشارة سيف بن ذى يزن بالنبي
٣٣٨	بشارة راهب بالنبي
٣٣٩	بشارة الأوس بن حارثة به

باب في هواتف الجان

٣٤١	خبر سواد بن قارب برواياته
٣٤٩	قصة مازن بن العضوب
٣٥٢	تابع من الجن يهتف بظهور النبي
٣٥٣	روايات في ذلك
٣٥٦	قصة ورقة بن نوفل ورفقته
٣٥٨	قصة العباس بن مرداس
٣٦١	هاتف يهتف : يا أيها الناس ذوو الأجسام ..
٣٦٢	قصة رافع بن عمير
٣٦٣	قصص غريبة في ذلك
٣٦٧	بشارة النجاشي

الصفحة	الموضوع
٣٦٨	قصة صمغ عذرة
٣٧٠	هاتف من الجن على أبي قبيس
٣٧١	خبر عن سعد بن عباد
٣٧٣	خبر عن تمسيم الدارى - منادٍ عند سِوَاع
٣٧٤	خبر عن راشد بن عبد ربه
٣٧٥	قصة عمرو بن مرة الجهني
٣٧٨	خبر عن شيخ من جهينة
٣٨١	خبر سطيح الكاهن
٣٨٥	باب كيفية بدء الوحي
٣٨٥	كان عمره أربعين سنة - أول ما بدى به الرؤيا الصالحة - مجيء جبريل إليه
٣٨٦	فترة الوحي
٣٨٨	عمره عليه السلام وقت البعثة وتاريخها - قُرْن به إسرائيل ثلاث سنين
٣٨٩	ما كان الرسول يراه قبل البعثة من العجائب
٣٩٠	كان رسول الله يتحنث بمحراء كل سنة
٣٩١	على أى شرع كان يتعبد الرسول
٣٩٢	جاءه جبريل يوم الاثنين - أوحى إليه في ربيع الأول أو في رمضان
	وهو المشهور
٣٩٣	شرح حديث مجيء جبريل
٣٩٥	معنى « تكسب المعدم » - شيء عن ورقة بن نوفل
٣٩٧	إخبار الرسول عن ورقة
٣٩٨	كان الرسول يسمع صوتا يناديه قبل البعثة
٣٩٩	من شعر ورقة

- ٤٠٢ رواية عبيد بن عمير في بدء الوحي
- ٤٠٥ رواية موسى بن عُمَيرة عن الزهري في ذلك
- ٤٠٦ رواية ابن عساكر عن سليمان بن طرخان
- ٤١٠ خديجة تطلب من الرسول إعلامها بحبريل
- ٤١١ إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على
- ٤١٢ رواية البخاري عن فترة الوحي - أول ما نزل من القرآن والخلاف فيه
- ٤١٤ تتابع الوحي

فصل في منع الجان من استراق السمع

- ٤١٧ تعجب ثقيف من الرمي بالشهب
- ٤١٨ رواية الشعبي في ذلك
- ٤١٩ رواية ابن إسحاق
- ٤٢٠ تنكيس الأصنام - تعجب الشياطين

كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله

- ٤٢١ رواية البخاري في ذلك
- ٤٢٢ روايات في صفة نزول الوحي
- ٤٢٥ لا تحرك به لسانك
- ٤٢٦ تتابع الوحي - إسلام خديجة
- ٤٢٧ الدعوة سرا - كانت خديجة أول من آمن
- ٤٢٧ حبريل يعلم الرسول الصلاة

فصل في ذكر أول من أسلم ومتقدمي الصحابة

٤٢٨

إسلام علي بن أبي طالب

٤٢٨

كان علي أول من أسلم

٤٢٩

٤٣٠

عمره حين أسلم

٤٣٢

وقيل أبو بكر أول من أسلم - الجمع بين الأقوال

٤٣٣

صفة إسلام أبي بكر

٤٣٤

منزلة أبي بكر

٤٣٥

شعر لحسان في أبي بكر

٤٣٦

أول من أظهر الإسلام سبعة

٤٣٧

أبو بكر يدعو إلى الإسلام - من أسلم على يديه

٤٣٩

أبو بكر يؤذى في سبيل الله

٤٤٢

رواية عمرو بن عبسة

٤٤٤

إسلام عبد الله بن مسعود - إسلام خالد بن سعيد بن العاص

٤٤٥

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب

٤٤٧

إسلام أبي ذر الغفاري

٤٥٢

إسلام ضماد الأزدي

٤٥٣

السابقون الأولون في رواية ابن إسحق

٤٥٥

باب أمر الله رسوله بإبلاغ الرسالة

٤٥٥

وأنذر عشيرتك الأقربين

٤٥٧

الرسول يدعو أهله

٤٥٨

رواية أخرى

الصفحة

الموضوع

٤٦١

أبو لهب يشتد على الرسول - وأبو طالب ينصره

٤٦٣

قريش تفاوض أبا طالب

٤٦٤

شعر لأبي طالب - أبو جهل يحاول قتل الرسول فيمنعه الله

٤٦٥

روايات في ذلك

٤٦٨

الرسول يدعو على رؤوس الكفر

٤٦٩

قصة الإراشي

٤٧٠

أشد شيء صنعه المشركون بالرسول

٤٧٢

تأليب الملأ من قريش على رسول الله :

٤٧٢

أوذيت في الله وما يؤذى أحد

٤٧٣

قريش تلجأ إلى أبي طالب

٤٧٤

عودتهم إليه مرة أخرى

٤٧٥

أبو طالب لا يخذل الرسول صلى الله عليه وسلم - قريش تسامو أبا طالب

٤٧٦

شعر لأبي طالب - مبالغة الكفار في إيذاء المسلمين

٤٧٧

شعر لأبي طالب

٤٧٧

ما اعترض به المشركون على رسول الله :

٤٨٠

طلبهم منه تسيير الجبال وتفجير الأنهار

٤٨٢

سألوه أن يجعل له الصفا ذهابا

٤٨٣

أشيع يوما وأجوع يوما - وفد قريش إلى أحبار المدينة

٤٨٥

أهل الكهف والخضر والروح

٤٨٦

قصيدة أبي طالب : - ولما رأيت القوم لا ودَّ فيهم

٤٩٢

عدوان الكفار على من أسلم - تعذيب بلال

الموضوع

الصفحة

٤٩٣

أبو بكر يشتري العبيد المسلمين

٤٩٤

تعذيب آل ياسر

٤٩٥

أبو جهل يُغَرِّى بالمسلمين - كان المشركون يَبلغون من أصحاب رسول الله ما يُعذرون به في ترك دينهم

٤٩٦

تعذيب خَبَّاب بن الأرت - يارسول الله ألا تدعو لنا؟! - شكونا إلى رسول الله شدة الرمضاء

٤٩٨

مجادلة المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم - بين أبي جهل والوليد ابن المغيرة

٤٩٩

الوليد بن المغيرة يشاور قريشاً في ما يقولون في رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥٠١

مجادلة عُتْبَةَ بن ربيعة للرسول

٥٠٣

رواية أخرى في ذلك

٥٠٥

عتبة يدعو قريشاً إلى مهادنة الرسول - قريش تستمع إلى قراءة النبي

٥٠٦

رأى أبي جهل فيما سمع

٥٠٧

بين أبي جهل وأبي سفيان

٥٠٨

ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها

فهرس القوافى

(أ)

٣٨	الحارث بن حلزة	إبقاء
١٣٩	أمية بن أبى الصلت	الحياة
٣٩٥	—	الأحياء

(ب)

٢٨٣	الزبير بن عبد المطلب	اضطرابُ
٣٧٤	راشد بن عبد ربه	النعالبُ
١٢٠	امرؤ القيس	عسيبُ
١٢١	علقمة بن عبدة	مشيبُ
٥٣٠	عدى بن زيد	مناكبها
٤٦	» » »	مواهبها
٣٤٨، ٣٤٥	سواد بن قارب	بكاذبِ
٣٦٦	—	العربِ
٣٥٦	—	والغربِ
٧٧	أبو العباس الناشئُ	المآربِ
٣٥٦	عثمان بن الحويرث	قربِ
٤٠	أبو قيس بن الأسات	الأخشبِ
٧٣	—	ذنبِ
٣٤٧، ٣٤٤	—	بقنابها

(ت)

١٠٠	قصي بن كلاب	ريث
١١١	حاتم الطائي	رويت
٣٨٠		عريتا
٣٨٠		النجاة

(ث)

١٥١		عبث
-----	--	-----

(ج)

٣٩٩ ، ٢٦٨	ورقة بن نوفل	الشيخا
٣٥١	مازن بن العسوب	العرج

(خ)

١٣٤	أمية بن أبي الصلت	ججاج
٢٦٩	ورقة بن نوفل	فادح
٤٠٠	» » »	ناصح
٣٧٧		صلاح

(د)

٨٣		معد
١٧١	عبد المطلب	المعيد
٢٧٠	ورقة بن نوفل	أحد
١٣٨	أمية بن أبي الصلت	وأبلدوا
١٣٨	أمية بن أبي الصلت	مُرْصَد

٢١١	أبو طالب	محمد
١٢١	—	عهد
١١٢	حاتم الطائي	يزيد
٣٧٣، ٣٧١		الهجود
١١٧	أمية بن أبي الصلت	ينادي
٧٢	أعشى بن قيس	سنداد
١١٢	المتلمس	الفساد
٣٧٤		مهتدي
٣٥٩، ٣٥٨		المسجد
١٣	عباس بن مرداس	مطرود
٦٩	رجل من بني ملكان	سعد
٢١٠	—	الحمد
١٢٠	الناعبة الذبياني	الأمدة
١٢١	طرفة بن العبد	اليدي
(ر)		
١٤٢، ١٤١	قُس بن ساعدة	بصائر
١٧٠	—	مير
٣١	سبيعة بنت الأحب	الكبير
١٤٧	قُس بن ساعدة	نهار
١٣٦	—	قبر
١١١	حاتم الطائي	ستر
٥٨	عمرو بن الحارث	الحاجر

٢٣٣	زهير بن صرد	وندخرو
٢٣٤	أبو صرد بن زهير	ونتظرو
٤٧٦	أبو طالب	بكر
١٦٣	زيد بن نفيل	الصبور
٤٠	أمية بن أبي الصلت	الكفور
٥٣	عدى بن زيد	الموفور
١٦٣	زيد بن نفيل	الأمور
٢١٧	عبد المسيح بن عمرو	وتغير
١٦٧	كعب بن أوى	ونهارها
١١١	حاتم الطائي	أستثيرها
٣٩٥	أبو الحسن التهامي	قبرا
٣٧٠	—	المنكرا
٨٩	كثير عزة	أزهرها
١٣٩	أمية بن أبي الصلت	كبيرا
٢٥٩	الزبير بن عبد المطلب	دار
٥٠	—	الأخيار
٣٦٢	—	وإزارى
٣٦٣		العزيز
٣٦٧		غزار
٣٤٨، ٣٤٥		بأنوارها
٣٣٩	أوس بن حارثة	الحجر
٢٢٠	سطيح الكاهن	بالقدر

١١٢	حاتم الطائي	مجزري
٥	عمرو بن مرة	تنزري
١٧٨	فاطمة بنت مر	القطري
٢٥٩	—	والنفر
٣٧٨	عمرو بن مرة	لعامر
٧٨	حذافة بن غانم	فهر
١٧٨، ٩٩	—	فهر
٤٠١	ورقة بن نوفل	غير
	(س)	
٣٤٤		ب حلاسها
	(ش)	
٨٨	—	قريشا
٨٨	الجمحي	قريشا
	(ع)	
١١٤	أم حاتم الطائي	جانعا
١١٢	حاتم الطائي	أجمعا
٢٥٥	البراض	ضلوعي
	(ف)	
١٨٥	مطروذ بن كعب	عجاف
٣٩١	رؤبة بن الحجاج	الأجذاف
١٨٦	—	مناف

(ق)

٥	أعشى بن قيس	عنة
١١٣	حاتم الطائي	خرق
١٥١	قس بن ساعدة	خرق
١٩٥	العباس بن عبد المطلب	الورق
١٩٦	حسان بن ثابت	الورق
١٣٢	أمية بن أبي الصلت	سابقها
٣٣٨	أمية بن عبد شمس	ونوق

(ك)

٣٥	عبد المطلب	رحالك
٩٢	ثعلبة بن سعد	لك
٣٦٠	العباس بن مرداس	مشاركاً
٣٨٠		نفسكا
٣٧٦، ٣١٥	عمرو بن مرة	تارك

(ل)

٩٣	—	سئل
٤٠٠	ورقة بن نوفل	مرسل
١٣٧	ليد بن ربيعة	باطل
٣٨٠		تضليل
١٤٤	الجارود بن المعل	فالاً
١٦٢	زيد بن عمرو بن نفيل	ثقالا
١٥	أبو الصلت بن ربيعة	أحوالاً

٤٣٥	حسان بن ثابت	فعلاً
٢٦٠	نبيه بن الحجاج	جيلاً
٩٩	رزاح	الخليل
١٣٤ ، ١٣٣	أمية بن أبي الصلت	يزولاً
٤٨٦	أبو طالب	والوسائل
٧٠	أبو طالب	ونائل
٣٧٩	—	والإفضال
٣٥٠	مارن بن العضوبة	بتضال
٢٥٦	ليد بن ربيعة	موالى
١٨٦	أبو طالب	آجل
١١٨	امرؤ القيس	ومنز
١٨٦	أبو طالب	ونازل
٦١	إسماعيل بن رافع الأنصارى	المتحامل
٣٦٩	زمل بن عمرو	الرم

(م)

٣٧٠		الأفهام
١٥٠		الحرم
١٢	أعشى بنى قيس	العرم
٣٩	أبو قيس بنى الأسلت	رزم
٢٣	تبّع	النسم
٥٢	أعشى بنى قيس	نعم
١٥٠		الم

٤٩	خالد بن حق الشيباني	اللحام
١١١	حاتم الطائي	حرام
٢٦٠	الزبير بن عبد المطلب	ظالم
٤١	عبيد الله بن قيس الرقيات	مهزوم
١١٥	حاتم الطائي	شتامها
١٢١	لبيد بن ربيعة	فرجامها
٣٩	عبد الله بن الزبيري	حريمها
٤٧٧، ١٩٤	أبو طالب	وصميمها
٢٥	سيف بن ذي يزن	التأما
٧١	المستوغر	أسحما
٩٦	جذل الطعان	كراما
١٧٧	أم قتال	غلاما
١٤٩	قس بن ساعدة	كراكما
١٣٣	أمية بن أبي الصلت	الما
٣٦٤		الأشائم
١١٩	امرؤ القيس	دامى
٨	سبا	الحرام
٣٦١	—	غلام
٨٩		والتكرم
١٢٠	زهير بن أبي سلى	فالمشلم
١٢١	عنقرة بن شداد	توهم
	(ن)	
٢١٦	عبد المسيح بن عمرو	العنن

٣٥٢	مازن بن العضوب	لَيْنُ
٣٧٢		أَنَا
١٣٣	أمية بن أبي الصلت	مجرانا
٣٦٥		قهرنا
٧٢	المستوغر	مِثِينَا
٣٦	نفيل بن حبيب الخثعمي	عِينَا
٤٦٤	أبو طالب	دَفِينَا
٦٠	عمرو بن الحارث	الهونا
٥٩	عمرو بن الحارث	تَسِيرُونَا
٢٠٨	عبد المطلب	الأردانِ
١١٧	أمية بين أبي الصلت	بالعيدانِ
١٧٩	فاطمة بنت مر	يعترِكانِ
١١٧	أمية بن أبي الصلت	الديانِ
٣٩١	رؤبة بن العجاج	منحني
١١٢	حاتم الطائي	يرتجيني

(ه)

٩١	سامة بن لؤي	مهرآه
١٧٨	عبد الله بن عبد المطلب	فأستبينه

(ي)

١٦٢	زيد بن عمرو بن نفيل	باقيا
١٦٤، ١٥٦	ورقة بن نوفل	حاميا

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٧	٧	حَرِير
٧	٨	أَبِي حُبَيِّ
٧	٨	عَنْ ذِي مَخْمَرٍ
<p>خلافًا لما في الأصل من تحريف . وما أثبتته عن ترتيب مسند أحمد ١٥٧/٢٠</p>		
٦٤	٧	يُمْنَع . ويحذف الهامش
١٠٧	٣	الطائي
١٢١	٣	بِبُرْقَةٍ
١٢١	٥	ابن قطيعة
١٤٩	١٢	أَجَدَّ كَمَا
<p style="text-align: right;"> ١٧٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٣٠ </p>		
<p>يونس بن بكير</p>		
٢٤١	١٧	مَعْمَر
٢٦٠	١٤	وَلَمْ أَحِ
٢٦٠	١٦	عَشِيَّة
٢٦٤	١٩	أَنْصَاء
٣٠٤	٧	لَقِيتَ
٣٢٥	٨	بِحُتْمَصَّر
٣٣٦	١٤	ثَلَج
٣٩٨ ، ٣٨١		شَرَّ حَبِيل
٤٢٢	٣	السَّخْنِيَانِي

تعليقات

- ١ — في صفحة ١٤٢ سطر ٣ : « محمد بن حسان السهمي » وهو تحريف والصواب السَّمِّي كما في ميزان الاعتدال .
- ٢ — ص ٢٨٨ س ٦ : « وسأنتبكم بأول ذلك » كذا بالأصل وفي ترتيب مسند أحمد : « بتأويل ذلك » وهو أصوب .
- ٣ — ص ٢٨٨ س ٧ : « وكذلك أمهات المؤمنين » كذا وفي ترتيب المسند ١٨١/٢٠ « وكذلك ترى أمهات النبيين » .
- ٤ — ص ٢٩٥ س ١٩ ، ص ٢٩٦ س ١٣ : « زيد بن سَعْيَة » كذا بالأصل والدلائل ولكن الذهبي في المشتبه ٣٩٦/٢ قال : « وبمهملتين ونون زيد بن سَعْنَة الحَبَر »
- ٥ — ص ٣١٦ س ٧ : « ليس الوردة اللبقة » كذا ولا يتضح معناها .
- ٦ — ص ٢١١ س ١٤ « أحمد بن إبراهيم الميثي » كذا بالأصل والصواب كما في شرح المواهب : « أحمد بن إبراهيم الحلبي » قال عنه أبو حاتم : أحاديثه باطلة تدل على كذبه . وفي الخصائص « الحلبي » وهو تحريف .
- ٧ — ص ٢٤٠ س ١٧ « قريب » كذا والصواب « قريبا » .
- ٨ — ص ٣٥٢ س ١٠ : « ومنع منا القرار » كذا بالأصل ، ولكن الرواية في ترتيب مسند أحمد ٢٠/٢٠٤ : « ومنع من القرار » والمعنى : منع من الفرار يوم الزحف في الجهاد .